البعثات اليسوعية

مهمة اعداد النخبة السياسية في لبنان

دراسة وثائقية تاريخية

د. طلال عتريسي

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الوكالة العالمية للتوزيع



قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾

القصص ٨٥

« حين ننشر في هذا البلد ، بواسطة اللغة الفرنسية ، التعليم والاخلاق والفنون المفيدة والزراعة ، فإننا سنسيطر على الشعب ، وسيكون لفرنسا هنا في كل وقت ، جيش متفان » .

ج . دي بريتون .

١٨٤١

تقديم

ثمة اعتقاد شائع ، من خلال نظرة تاريخية أو سياسية أو تعليمية ، أن انتشار الارساليات المختلفة منذ القرن التاسع عشر في داخل الدول الاسلامية والعربية التي عاشت في ظل الحكومة العثمانية ، أدى إلى « نهضة » فكرية عالية ، وإلى تحولات ثقافية وعلمية رفعت سكان هذه البلاد إلى مصاف « الامم الراقية » ونقلتهم من « ظلمات الجهل إلى نور المعرفة » ، فكان فضلها عليهم كبيراً وعلى العلم والمعرفة عظيماً ، وذلك قياساً ومقارنة مع حالة التردي العامة التي بدأت تتسلل إلى الولايات العثمانية في فترة ضعف حكومتها المركزية ، وبداية تفككها وتقسيمها . . فكانت « النهضة » من هذا المنظار ، ما نجح المرسلون في تأسيسه من مدارس في مواجهة المدرسة الاسلامية العثمانية ، ومحاولات اصلاحها من جهة أو تحديثها من جهة أخرى . . . ، وقد تكرر هذا المفهوم « للنهضة » في كتابات متفرقة ، خاصة ما تناول منها بلاد الشام وتاريخها بحيث تلازم الامران وترافقا : النهضة والارساليات التعليمية ، وبات الاقرار « بنعمة » الاولى يستلزم حتماً توكيداً لفضائل الثانية ، وأصبح الرأي من خلال تكراره ، في الدراسات والابحاث التاريخية والسياسية والتعليمية ، مسلمة تريد أن ترقى إلى مصاف اليقين . . . .

إلا أن هذا التوكيد ، رغم شيوعه ، ورغم التقاطع في وجهات النظر

حوله تارة انطلاقاً من تأييد مطلق للدور الارسالي ولمؤسساته التعليمية وما قدمته ولا تزال من خدمات جلى ، (كما برز ذلك مؤخراً بشكل واضح في حملات الدعم والبيانات التي صدرت من كل حدب وصوب والتي كانت بمعظمها أحادية النظرة في رؤية ذلك الدور وتلك المؤسسات) ، وقد يكون لذلك اسباب أخرى لا مجال للخوض في تفصيلاتها . وتارة من منطلقات تستبطن ، ادانة العهد العثماني للنيل من الحكم الاسلامي عموماً . . . إلا أن كل ذلك ، وسواه من ادعاءات ومنطلقات وغَيْرة على مستوى العلم والمعرفة ، لا تمت إلى الحقيقة التاريخية أو حتى الراهنة بصلة فعلية . بل هو توكيد سياسي غير علمي سوف لن يجد له مرتكزاً أمام الوثائق والبيّنات .

فالارساليات التي اتسم عملها في مختلف انحاء العالم بتداخل مميز وبارز بين التبشير والتعليم ، ارتبط نشاطها في الوقت نفسه ، وفي فترات متلاحقة بسياسات الدول الاستعمارية ، أي أنها انتقلت من اطار توجهات الكنيسة . إلى فلك النفوذ الأوروبي وسياساته ، وهو أمر يقر به « الآباء » والقناصل على حد سواء ، وبحيث تحول هدف التبشير « من غرس للكنيسة في بلد جديد » ، إلى غرس للنفوذ الأوروبي ولغته وثقافته . أي أن هذا الارتباط بتلك السياسات لا يقع في حيز الافتراض ، أو الاتهام ، الذي نسوقه اعتباطاً، أو هو عداوة تسقط لالف سبب على الدور الارسالي ، بل هو ، كما سيتبين لنا ، مجرد تنظيم لاعترافات ومراسلات نطق بها او كتبها مرسلون وقناصل ومبعوثون ، وهو تحليل وتوثيق لما تشتت منها في غير مكان وتاريخ ، كما يخبرنا ملحق هذا البحث وفصوله المختلفة .

لهذا السبب ، رأينا أنه لا يمكن ، بل لا يجوز أن يبحث في النشاط الارسالي عموماً بمعزل عن ارتباطه ، أهدافاً وانجازات ، بسياسات الدول الأوروبية المستعمرة في شتى أقاصي الأرض ، لأن هذا الارتباط الضروري ، هو الذي يفسر لنا على سبيل المثال القريب ، عودة بعثات المبشرين الكثيفة ونشاطها الدؤوب المتلاحق منذ اوائل القرن التاسع عشر ، وعلى امتداد ما يقارب المائة عام ، لا إلى بلاد الشام وحسب ، بل إلى مختلف أنحاء الدولة

العثمانية التي كانت تلفظ انفاسها الاخيرة ، وتتلاشى وحدة اراضيها ، منطقة اثر منطقة ، وولاية خلف ولاية ، تحت سياط التدخل الأوروبي المباشر ، من « الامتيازات » ، إلى الحشود العسكرية ، إلى السياسة .

فعام ١٨٣٠ فرنسا تحتل الجزائر .

وعام ١٨٨١ تحتل تونس .

ويحتل الانكليز مصر عام ١٨٨٢ . ثم السودان عام ١٨٨٩ . . .

وتكر سبحة الاحتلالات المباشرة ، من ليبيا إلى المغرب ، إلى بلاد الشام التي تسقط أخيراً عام ١٩١٨ . . .

هذه الفترة التاريخية من السقوط المريع والمتتالي لبلاد الدولة العثمانية ، كانت ضربة قصمت ظهر المتشبثين بوحدتها ، الداعين لها ، والمؤمنين بعقيدتها ، وكانت ايذاناً بأفول أنجمهم التي سطعت ردحاً طويلاً من الزمن . إلا أن هذه الفترة التاريخية نفسها كانت من جهة أخرى ، عصراً ذهبياً براقاً لنشاط تعليمي تبشيري حملت لواءه الارساليات المختلفة حيثما حطت رحالها ، ونشرت آباءها ، ورهبانها . كما كانت في الوقت نفسه عصراً ذهبياً لانتشار أفكار هؤلاء المبشرين والرهبان ومن تتلمذ على أيديهم من الناشئة والصبيان الذين حملوا فيما بعد لواء الدعوة لمجد البعثات وللدول الأوروبية سياسة وثقافة وانتماء . كما حملوا وبثوا لواء القدح والتعريض والتشكيك بالدولة العثمانية وحدة ووجوداً وعقيدة . . .

ولهذا السبب أيضاً ، لا يمكن أن نكتفي ، كما يحلو للبعض أن يفعل ، اقناعاً لنفسه وللآخرين ، بتعداد أو ابراز ما أنجزته الارساليات في بلاد الشام أو في غيرها من البلاد الاسلامية من مدارس ومياتم ومهنيات وثانويات وكليات ، واعتباره غرسة حضارة أينعت علماً وتقدماً في أرض جدباء قاحلة ، أو بصيص نور في ظلمات ليل الاسلام الحالك . . . لا يمكن أن نكتفي بذلك التعداد دون الالتفات أو التدقيق في الاطار السياسي والاجتماعي الذي

احتضن كل تلك الانجازات وأمدها بالغذاء الذي كفل لها الحياة والبقاء . ونحن لا نصرْ على هذا الترابط لأنه من بديهيات ، أو مبدأيات العلاقة بين التربوي والسياسي والاجتماعي فقط، بل لأن علاقات البعثات فيما بينها، وعلاقاتها مع سكان البلاد ، وصِلتها السياسية والثقافية والمادية بالدول الأوروبية ، هي التي تحكمت أساساً في محصلة هذه « الانجازات » التربوية عدداً ، ومكاناً ، وأهدافاً ، حتى بات انشاء مدرسة هنا ، أو بناء ميتم أو مهنية في مكان آخر ، جزء من الصراعات الأوروبية على النفوذ ، وليس استجابة لحاجات محلية للمعرفة والتعليم . . . وهذا ما يؤكده لنا الأب بلانشيه Plan-chet اليسوعي بقوله : « لا يمكننا أن نعمل لنصرة وفائدة هذه الشعوب (السورية) ، إلا من خلال افشال محاولات الجمعية الاميركية ومواجهتها جهداً بجهد ، ومؤسسة بمؤسسة ، وأن نعطل وسائلهم بأن نلجأ لمثلها . » أي أن الغاية من المؤسسات ، كما يقر بذلك الاب بلانشيه ، ليس سوى تعطيل مثيلاتها المنافسة لها . وفي مناسبة أخرى يحدد أحد المسؤولين الفرنسيين أهداف كلية الطب اليسوعية في بيروت قائلاً : « أن غاية المؤسسين(*) الأولى ، أن يجعلا من هذه الكلية فكرة سياسية ومؤسسة دعائية . . » .

فإذا كانت كلية الطب ، رغم سمو الطب ونبله ، وسيلة لغاية سياسية ودعائية كما يقر بذلك الفرنسيون أنفسهم. أفلا تكون المدارس والمهنيات والثانويات وسائل أخرى لغاية مماثلة ؟

لا بد اذن أن تصبح « النهضة » ، رغم ما يفيض عليها من نعوت ، ورغم ما تحمله في التسمية نفسها ، حالة من الانتقال إلى دائرة الغايات والثقافة التي رسمها الفرنسيون والارساليات من خلال النفوذ الأوروبي وصراعاته . هي اذن حالة « نهوض » ، من موقع إلى آخر ، ومن انتماء إلى انتماء ، وليس من تخلف إلى ارتقاء ، كما يريد أن يوهمنا الكثيرون . لذلك

(*) هما : gambetta والكاردينال lavigerie

نرى من نافل القول ، أن أي تغييب أو تجاهل متعمد لهذا الترابط السياسي التربوي في الدور الارسالي ومؤسساته ، يحمل فيما يحمل من تشويه تاريخي وتضليل ، دعوة ضمنية أو علنية في بعض الاحيان ، للتشبث بما أفرزه ذلك الترابط من خلل ثقافي واجتماعي في الكيان اللبناني فيما بعد ، وفي علاقات طوائفه فيما بينها ، وفي « نهوضه » بقلة منها إلى مواقع السلطة والاستئثار والغلبة .

ضمن هذا الاطار ، يتضح لنا أيضاً ، لماذا تختزل الكتابات المغرضة أو المشوهة تاريخ التعليم في لبنان ، إلى مجرد تاريخ للنشاط الارسالي فيه ، أو إلى مجرد تاريخ للتعليم في جبل لبنان(*) حيث حلت البعثات في بداية أمرها ووثقت علاقاتها الدينية والسياسية والفكرية مع قسم من السكان. كما يتضح لنا أيضاً ، لماذا تتحول الكتابة عن تاريخ لبنان في الكتب المدرسية وغير المدرسية إلى تاريخ تلك المنطقة وسكانها فقط ، مع نفي مطلق وتهميش حاد لدور المناطق الاخرى ، ودون أي اعتبار حتى لتاريخ سكانها ، أو حتى لمؤسساتها التعليمية التي حفرت عميقاً في صخور المعرفة والثقافة على مر الاجيال ، كما تنبئنا المصادر التاريخية المختلفة ، وتراث رجالات العلم والمعرفة الذين ترعرعوا فيها ويشار إليهم بالبنان . لم يكن مصدر ذلك التوجه الفكري الذي يستمد مبررات وجوده من نفي الآخر وتهميشه ، علة منهجية في البحث أو قلة في معلومات تاريخية ، أو نقص في مصدر أو مرجع ، بل هو مشروع واع تمت حياكته ببطء وتمهل وتأن متين على امتداد نصف قرن من الزمان ، ليجسد ذلك الترابط بين السياسي والثقافي والديني الذي برعت فيه الارساليات براعة قل نظيرها حيثما حطت الرحال . أي ليجسد بمعنى آخر ، تلك الثقة التي كان يجب أن تشعر بها فرنسا ، وهي تعلن بلسان جنرالها « غورو » ولادة « دولة لبنان الكبير » ، لأن هذه الدولة المولودة ، بمن سيحيي أمرها ، لن تكون إلا ضمن الدائرة التي رسمها الجنرال أو في الفلك الذي تدور فيه سياسة دولته .

(*) راجع على سبيل المثال : فؤاد افرام البستاني : تاريخ التعليم في لبنان/مجلة الندوة اللبنانية : السنة الرابعة النشرة ٩ ـ ١٢/٢٥ك ١/ ١٩٥٠ .

وهذه الثقة ، لن تكون سوى ثمرة الجهد اليسوعي بشكل خاص ، الذي بذلته الارساليات منذ منتصف القرن التاسع عشر ، لاعداد « القادة الاوفياء » « والنخبة المؤهلة لقيادة الأمم المحررة » ، كما يقر بذلك أكثر من « أب » وقنصل ، في أكثر من اعتراف . . .

هذا التوجه الفكري ، هو أيضاً ثمرة الغرسة التعليمية التي رواها اليسوعيون تعباً وعرقاً في المراحل الابتدائية والثانوية والجامعية ، وفي المياتم والمهنيات . . . ولا يبتغي ذلك التوجه من جوهر النفي والتهميش التاريخي والراهن أيضاً ، سوى التمسك والتأكيد على مبررات تاريخية مزعومة ومصطنعة ، والتشبث بها ، لأنها تتيح لمن رفع إلى سدة القيادة والرياسة ، أن يبقى فيها أبداً - وتمنع - حتى فكرياً وتاريخياً - من غلبته الاساطيل الأوروبية وقهرته منذ ١٨٦٠ أن يحرك عقله ويديه ، أو أن يجرؤ على التفكير في تغيير أوضاع « وثوابت » يجب ألا تهتز أو تتبدل لأنها ثمرة ميزان معين للقوى . بل على المغلوب أن يبقى كذلك إلى الابد ، ينهل من معين التنكر لتاريخه ومستقبله ، وشعبه ، فكرياً وسياسياً ، ليسلك سبيل الرفعة والرضى ويحظى بنعم السلطان وخيره . . .

هذا ما حصل بشكل نموذجي في لبنان ، ضمن مشروع استهدف تفتيت بلاد الشام بأسرها إلى دويلات صغيرة ، امعاناً في تذويب شخصيتها وخشية من تكرار وحدتها . وقد فرض على المغلوبين في لبنان في ذلك الوقت ، ما اعتبر « أمراً واقعاً » ، في التركيبة السياسية والبنية التربوية . . رضي به هؤلاء على قاعدة « مكره أخاك لا بطل » ، في ظل هزيمة اسلامية عثمانية عامة ، واجتياح أوروبي غربي عنيف واتفاقيات تتلاعب بمصير الشعوب والحدود . . . وتدرجت المواقف من رفض الهزيمة والتمسك بالوحدة ورفض الاجنبي . . . إلى الاذعان والتفكير في معايشة الامر الواقع . . لكن شرط الولاء والارتقاء ، كان قد تحدد مسبقاً ، قبل عشرات السنين ، من خلال تلك الغرسة التعليمية اليسوعية ، بما هي ثقافة ولغة وانتماء ، ومن خلال « أم حنون » امدت تلك الغرسة بالغذاء والحياة ما يقارب العشرين عاماً ، حتى بلغت أشدها .

وأصدرت خلالها سلسلة مقررات تربوية وتعليمية ، بقيت أساساً للنظام التعليمي اللاحق في « دولة الاستقلال » ، من حق الارساليات في حرية العمل ، إلى فرض الفرنسية لغة في التعليم .

« . . . فلا يجوز بأي حال ، حصر نشاط الارساليات الدينية ، كما لا يجوز التضييق على اعضائها بحجة الجنسيات التي ينتمون إليها ، على أن تكون هذه النشاطات محصورة في النطاق الديني . وبامكان الارساليات الدينية الاشتغال في التعليم والاغاثة . . . »[1] . « واللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية في جميع دوائر الدولة ، واللغة الفرنسية هي أيضاً لغة رسمية ، وسيحدد قانون خاص الاحوال التي تُستعمل بها . »[2] . هذا الإقرار برسمية اللغة العربية إلى جانب الفرنسية ، لم يتعـ حدود الادارات الرسمية والمعاملات الخاصة بها التي تطبع وتكتب باللغتين . فقد ورد فيما يتعلق بالمناهج التعليمية :

« إن تعليم اللغة الفرنسية هو ، كسائر اللغات الرسمية في سوريا ولبنان اجباري في جميع معاهد التعليم الخاصة »[3] .

وفي أول مناهج رسمية صدرت في فترة الانتداب ، أكد النص على أن « تدرس علوم الرياضيات والطبيعيات والكيمياء والعلوم الطبيعية باللغة الفرنسوية . . »[4] .

كان القبول بكل ذلك ، نصوصاً ومقررات ، شرطاً « وحيداً » للاقرار بصدق ولاء المسلمين واختبارا لمدى التحاقهم وقبولهم بالنموذج الكياني الجديد . . أي اختبار لمدى ابتعادهم عن ثقافتهم ولغتهم وتاريخهم . . أما مجرد وعي هذا التاريخ وقيمه أو الاصرار على تلك الثقافة وحقها ، أو حتى مجرد

---

(١) لاحظ حصر نشاط الارساليات في النطاق الديني من جهة وامكانية اشتغالها في التعليم في الوقت نفسه !! .

منير بشور . النظام التربوي في لبنان ـ المركز التربوي للبحوث والانماء . بيروت ١٩٧٨ . الفصل الأول ـ وفيه أيضاً تفصيلات احصائية مفيدة .

(٢ ـ ٣ ـ ٤) ـ المرجع نفسه .

التململ والرغبة في طيف عدالة خجولة أو مساواة مقبولة . . محروب لا تنتهي وشراسة في التدمير تجرف معها أسس الكيان نفسه ، وكل شيء . .

هذا ما شكل ولا يزال ، مكمن الخطر ، ونقطة الاختلال الكبرى ، في العلاقات الانسانية والسياسية ، لا في بنية النظام التعليمي في لبنان وحسب ، بل في معظم النظم التعليمية والثقافية في البلدان العربية والاسلامية التي تمكن الاحتلال الأوروبي منها عشرات السنين ، وتركها أشباه قردة في التقليد والايقاع . . . . أما ما دون ذلك الخلل، من هموم وقضايا تربوية وتعليمية ورغم الاقرار بوجودها ، فلا يجب أن تحتل مرتبة الاهتمام أو الخطورة الرئيسة ان على مستوى البحث والدراسة ، أو على مستوى الالحاح في التعيين والمواجهة والمعالجة . لان انفراط واسطة العقد ، يبعثر حباته جميعاً . فلا نغرق في متاهات تتفرع أصلاً عن الخلل الرئيس . . .

ضمن هذا الاطار يجب أن يتقدم مضمون التعليم وأهدافه ، ومضمون الثقافة وغاياتها ، على كافة الهموم أو الشعارات التربوية والتعليمية التي لا يفعل معظمها سوى الاستئناس ، بنقل وتقليد بعض المشاكل الجاهزة عبر نظريات شتى ، لا ينفع نعت اصحابها لها بالعلمية والموضوعية ، حين تصطدم بالواقع الذي يحولها إلى زبد يذهب جفاء ولا ينفع الناس .

يحاول هذا الكتاب أن يسلط الضوء ، **في اطار الدور الاستعماري الثقافي الذي مارسته البعثات التعليمية والتبشيرية داخل الدول العربية والاسلامية ، على علاقة بعثة اليسوعيين مع الموارنة في لبنان بشكل خاص، منذ منتصف القرن التاسع عشر** . وذلك كاحدى مراكز النشاط النموذجية التي أفلحت في انجاز وقطف ثمار ما غرسته خلال فترة طويلة من الزمن . لذلك تناول الفصل الأول « التبشير المسيحي بين الكنيسة وأوروبا الاستعمارية » اشارة اساسية إلى ذلك الارتباط بين الانطلاق التبشيري والتعليمي وبين التوسع الأوروبي العسكري والسياسي . وكذلك سيرة جمعية يسوع ، تأسيسها ، نشاطها على مستوى العالم ، والعقبات التي واجهتها من جراء تداخل نشاطها بين التبشير والتعليم والسياسة . أما الفصل الثاني « التعليم

الرسمي والاهلي » ففيه محاولة للوقوف على مستوياته عند الطوائف المسيحية والاسلامية كي يتبين لنا بوضوح ، مدى التأثير اليسوعي في هذا الميدان قبل وصول بعثاتهم وبعدها .

وتناول الفصل الثالث « اليسوعيون في سوريا ولبنان » علاقاتهم مع فرنسا ، الظروف التي ساهمت في تعزيز دورهم وانجاحه ، نظرتهم الخاصة إلى دونية الموارنة ، اساليب عملهم وتفكيرهم ، والمنافذ التي عبروا منها إلى قلوب السكان وعقولهم . . .

أما الفصل الرابع « التعليم اليسوعي واعداد النخبة » ففيه عرض للاسلوب اليسوعي في التربية من حيث الاهتمام بالطفولة والتركيز على دورها ، والمراحل التعليمية الابتدائية ، والثانوية ، والجامعية ، التي يبقى خلالها الطالب تحت الاشراف اليسوعي ما يزيد على العشرين عاماً من حياته ، تؤهله للانجذاب التام نحو فرنسا ، فكراً ، وثقافة ، وعاطفة ، وسياسة . وهي القاعدة المتينة التي تسمح باعداد وانتقاء « النخبة » .

وفي الفصل الرابع « البعثات الفرنسية والبروتستانية والبعثات الأوروبية الأخرى ، عرض لأهمها ، والدور الذي ساهمت فيه ثقافياً وسياسياً إما إلى جانب اليسوعيين ضمن النفوذ الفرنسي ، وأما في مواجهتهم ضمن نفوذ الدول الأوروبية الأخرى .

ولا بد من القول هنا إلى أن اقتصارنا على فصل وحيد للاشارة إلى الدور الذي مارسته البعثات البروتستانية أو سواها من البعثات ، لا يقلل من أهميته على الاطلاق لكن محاولتنا للتركيز على الدور اليسوعي هي التي ارغمتنا على ذلك ، لاننا نعتقد ، حقيقة ، أن البعثات البروتستانية تحتاج إلى دراسة مستفيضة مستقلة ، خاصة وأن تأثيراتها واهدافها لم تنحصر في لبنان كما غلب على اليسوعية ، بل امتدت إلى معظم الدول العربية والاسلامية من تركيا إلى مصر .

كما يجب أن نقر أيضاً بأن السبب عينه ، هو الذي جعل للتعليم عند

الطوائف في لبنان فصلاً واحداً ، بينما تفرض أهميته بحثاً خاصاً . هذا بالاضافة إلى أننا آثرنا ألا نكرر بعض ما ورد في كتب أخرى حول هذا التاريخ التعليمي ، واقتصرنا على التقاط السمات التي تميز بين مستوى تعليمي وآخر لدى الطوائف اللبنانية .

يبقى أن نشير في نهاية هذا التقديم ، إلى أننا جعلنا للمعلومات التي جمعناها اساساً من ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية في باريس ، ملحقاً خاصاً في نهاية كل فصل . وهي بما تضمنته من صراحة متناهية في التعبير عن الاهداف الفرنسية والغايات اليسوعية ، حجة متينة تبعد عنا تهمة الافتراء على الارساليات عموماً أو على اليسوعيين خصوصاً . وقد اضفنا إليها بعض الوثائق التي انتقيناها من مقتطفات « عادل اسماعيل » من ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية نفسه ، الذي صدر في بيروت في سلسلة بالفرنسية ، تجاوزت الثلاثين مجلداً ولم تكتمل أجزاء لغاية الآن . وقد اشرنا إلى مصدرها في نهاية كل وثيقة . كما لخصنا مضمون الوثائق في ملحق كل فصل تسهيلا لمراجعتها أو الاطلاع عليها .

وقد ساهمت الكتب والمجلات الفرنسية التاريخية التي ألفّها أو كتب فيها آباء يسوعيون ، في تدعيم حجتنا في هذا المجال . لذلك اكثرنا من ذكر مقاطع منها في ثنايا البحث ، فكانت بالاضافة إلى ملاحقه ، عوناً لنا على كشف ما التبس من غايات ، وبرهاناً يتّسم بالموضوعية ما توصلنا إليه من استنتاجات . .

والله الموفق وبه نستعين . .

ـ طلال عتريسي ـ

الفصل الأول

التبشير المسيحي
من الكنيسة الى أوروبا الإستعمارية

جمعية يسوع :

- تأسيسها وسيرة مؤسسها .
- نشاط الجمعبة .
- الجمهورية اليسوعية .

لم يستطع العمل التبشيري الذي رعته الكنيسة الكاثوليكية ، رغم انتشاره في أقاصي الأرض منذ قرون ، أن يحقق ، حتى بدايات القرن التاسع عشر ، تبدلات هامة إن على مستوى « نشر الدين وخلاص النفوس » أو على المستويات الاجتماعية والسياسية . وبالرغم من تفاوت نشاط المبشرين في قارات العالم ودوله ، وما تمتعت به بعض البعثات من أوضاع خاصة ، وما عرفته من ازدهار وتوسع في بعض الأحيان ، فإن ثمار العمل لم تؤت أكلها . ولهذا الأمر ، كما يُستنتج من آراء الأباء ومسؤولي البعثات أسباب عديدة . منها ما يتعلق بالكاثوليكية نفسها وبما تعرضت له من صراعات ومشاكل . ومنها ما يتعلق بالعقبات التي واجهت المبشرين بين « الأمم غير المؤمنة » . ففي أوروبا « أدى تنافس الممالك الأوروبية وتدمير قواها الذاتية في حروب داخلية متواصلة إلى عدم اتحاد البعثات الكاثوليكية ، وبالتالي عدم اتحاد المسيحية إلى أن تحولت أوروبا الكاثوليكية إلى حلم . وبات واضحاً حتى منتصف القرن الثامن عشر أن توسع الكنيسة الكاثوليكية قد دخل في أزمة خطيرة جداً »[1] ،

---

(١) histoire universelle des Missions catholiques 4 tomes. Librairie Grund. Sous la direction de M.S. De la croix.

Tome I: les Missions des origines au XVI siècle-1956

= tome II : les Missions modernes 1957 .

كما تهددت مواقع الكاثوليكية بالهجمة المزدوجة من روسيا الأرثوذكسية ومن البروتستانتية الانكلوساكسونية والألمانية[1] . هذا بالاضافة إلى أن الضربة التي وجهتها الثورة الفرنسية إلى الكنيسة « أدت إلى انقسام الاكليروس إلى اتجاهات متخاصمة ، وإلى حل الأخويات الدينية ، وإلغاء الحلقات الدراسية ، وتقليص الهبات ومصادرة أملاك الكنيسة »[2] .

أما خارج الحدود الأوروبية ، وفي إفريقيا مثلاً « فقد أدى النشاط التبشيري الذي أعقب الاكتشافات البرتغالية الأولى ، والذي استمر ثلاثة قرون (من ١٤٠٢ - ١٧٨٩) إلى فشل تام . وعندما استؤنف النشاط المسيحي في منتصف القرن التاسع عشر ، لم يجد المرسلون الجدد أي أثر للذين سبقوهم »[3] ويلخص G.Bouchaud ، أحد مسؤولي البعثات ، أسباب الفشل في تلك القارة ، بعقبات ثلاث :

« أولاً : تبعية المبشرين المطلقة للسلطة الاستعمارية ، مما أدى إلى تقييد حرية عملهم وخضوعهم للضباط ورجال البلاط .

ثانياً : جهل المرسلون الأوائل بالبلاد وسكانها جهلاً تاماً . . وممارستهم للوعظ بذهنية الحروب الصليبية ، واعتبارهم أن كل ما لا يتفق معهم هو من عمل الشيطان . . . هذا بالإضافة إلى تجاهلهم لسياسة بيع العبيد ، ولجوئهم إلى تعميدهم قبل ترحيلهم إلى أميركا .

ثالثاً : نشر المسيحية عبر المترجمين . . وفشل عمليات التعميد السريع التي لم تؤد إلى تغيير عقلية الأفارقة وعاداتهم . . . والدليل على ذلك ، أنه بالرغم من حملات إرسال الأطفال الأذكياء إلى أوروبا ليتعلموا ما يتعلمه الأطفال الأوروبيون ، وإعادتهم إلى بلادهم بعد سنوات . . فقد حافظ الأفارقة

Tome III les Missions Contemporaines 1958

Tome IV : l'Elgise catholique en face du monde non chrétien 1959

Voir tome II. p.363-366-367-391.

(١) المرجع السابق tome III. p.394

(٢) المرجع السابق tome III. (L'aggravation de la crise. p.27).

(٣) المرجع السابق : tome II. p.241.

على ارتباطهم الشديد بمعتقداتهم وممارساتهم التقليدية . . . وقد تم انتظار منتصف القرن التاسع عشر تقريباً لاستعادة النشاط المسيحي في إفريقيا السوداء »[١] .

كما اصطدمت بعثات المبشرين بالدين الإسلامي في بعض دول إفريقيا السوداء ولم تتمكن من القضاء على بعض عاداته « كالحجاب وطقوس تضحية الحيوانات ، ولم يتراءى لها أي بصيص أمل بعمل قريب »[٢] ، كما وقفت البوذية والكونفوشية سداً آخر بوجهها في جنوب شرقي آسيا والهند والصين[٣] .

إلا أن هذه العقبات داخل أوروبا وخارجها ، لم تمنع إعادة شحذ الفكر التبشيري ، وتحديد أهدافه ، وبعث فكرة الحروب الصليبية القديمة . خاصة وأن الدولة العثمانية ، الخصم المعاصر ، توحدها عقيدة الإسلام ، وتمتد أطرافها إلى قلب أوروبا . فانتشرت الدعوات بين الآباء والرهبان « لإعادة المسيح إلى موطنه وطرد المحتل من الأماكن المقدسة » ، وتحريض الملوك « لإعادة البحر المتوسط مسيحياً كما كان » ، وعلت الصرخات التي تطالب بسقوط الأتراك « اللصوص ، والقتلة ، والمجرمين » ووصل الأمر بأحد الرهبان اليسوعيين ، الأب جوزف ، في ظل هذه الأجواء إلى تأليف قصيدة من ٤٠٣٧ بيتاً باللغة اللاتينية ، يتحدث فيها عن الحرب المقدسة ضد الإسلام ، أطلق عليها اسم « La Turciade » (لا تركياد) نسبة إلى تركيا[٤] .

لكن الظروف لم تكن مؤآتية لشن حرب صليبية جدية وتحرير « الأرض المقدسة » بقوة السلاح وحماية المسيحيين . لذا كان لا بد من التركيز على الوسائل التبشيرية[٥] . فترافقت دعوات الآباء والرهبان مع انتشار للبعثات في

---

(١) tome II. chapitre XI-Les Missions d'Afrique. j.Bouchaud. p.241-245.

(٢) tome III. p.407.

(٣) tome III. p.411.

(٤) tome II. p.89-92.

(٥) المرجع السابق : tome 2- p.94.

إنحاء البلاد الواقعة تحت حكم الدولة العثمانية أملاً في التمكن من « توجيه الضربة إلى امبراطورية الشيطان »[1] . فوصل أربعة يسوعيين إلى القسطنطينية عام ١٦٠٩ بقيادة كانيلاك وأقاموا قرب السفارة الفرنسية . وأسس الكبوشيون حوالي ١٦٣٠ مركزاً لبعثتهم في حلب ، وتبعهم اليسوعيون عام ١٦٥٠[2] . كما أرسل الأب جوزف ثلاث مجموعات من البعثات حوالي عام ١٦٥٤ : واحدة إلى القسطنطينية واليونان ، وأخرى إلى صيدا ، امتدت منها إلى سوريا ومصر ، وثالثة إلى بلاد فارس في زمن الشاه عباس[3] .

إلا أن العقبات التي اعترضت عمل المبشرين ، بالإضافة إلى تشدد السلطات العثمانية حيال البعثات لم يسمح هذه الأخيرة طيلة ما يقارب ثلاثة قرون من نشاطها بتقويض « إمبراطورية الشيطان » أو « بتخليص النفوس » إلا مع بداية القرن التاسع عشر زمن التحولات الكبرى في أوروبا .

ففي هذا القرن دخلت أوروبا في عصر جديد من التوسع العسكري والسياسي بدأ مع الثورة الصناعية التي قبلت الأوضاع الاجتماعية والفكرية داخل أوروبا وأدت إلى ولادة الرأسمالية ، وخروج أوروبا من حدودها لمواجهة الكتلة الاسلامية الضخمة المتمثلة في « الإمبراطورية العثمانية » المترامية الأطراف . وقد كانت الامتيازات التي حصلت عليها دول أوروبا « لحماية المسيحيين » داخل « الامبراطورية » ،حجة وجسراً عبرت عليه البعثات المختلفة إلى الطوائف المسيحية والأقليات الدينية ، تحميها شرعية القنصليات والسفارات ، أو القوة العسكرية المباشرة ، فأسست مدارسها الخاصة بها ، وأرست أسس نظام تعليمي يستلهم الثقافة الأوروبية ويبشر بها .

في هذا الوقت بالذات ، قطفت أوروبا ثمار تدخلها . وبدأ الجسد الكبير يترنح والسلطنة تتفكك ، « وتستقل » بلدانها الواحدة تلو الأخرى . « وبين ١٨٠٤ و ١٨٣١ حصل الصرب على استقلالهم الكامل . وكذلك

(١) المرجع السابق : tome 4- p.7

(٢) المرجع السابق : tome 2 p.91-94-95.

(٣) المرجع السابق : tome 2- p.94.

اليونان ، وفرضت روسيا على السلطان استقلال رومانيا الحالية ، كما باتت مصر في عهد محمد علي قوة عسكرية خارج وصاية السلطان ، وعلى استعداد وشيك لغزو سوريا عام ١٨٣١ »[١]

وفي هذا الوقت أيضاً ، استأنفت البعثات نشاطها بقوة ، وانتشرت في مختلف أنحاء السلطنة . فعادت طلائع بعثة اليسوعيين إلى لبنان لتأسيس حلقة مركزية لرجال الدين الشرقيين . ثم أعقبها سيل من البعثات في السنوات اللاحقة .

ففي عام ١٨٣٢ اسس غريغوار السادس عشر بعثة بابوية في بلاد ما بين النهرين وكردستان وارمينيا الصغرى ، وألحقها بعد سنتين ببعثة إلى اليونان وتركيا ، وعام ١٨٣٩ بثالثة الى مصر والجزيرة العربية[٢] .

ومن باريس وصل سبعة عشر مبعوثاً عازارياً إلى القسطنطينية بين ١٨٣٠ و ١٨٣٥ ، وأعادوا افتتاح مدرستهم المقفلة منذ ١٨١٢ ، كما فتحوا المدارس في ازمير ، وفي عينطورة معقل اليسوعيين السابق[٣] .

وفي عام ١٨٣٩ افتتحت بعثة « أخوات المحبة » مركزاً للتربية في القسطنطينية وآخر في ازمير . ووصلت إلى بيروت عام ١٨٤٧ . ثم لحقت بها « أخوات مار يوسف الظهور » .

ووصل « الدومينيكان الطليان » عام ١٨٤٠ إلى كردستان والموصل لتلبية حاجة البعثات لدى النساطرة واليعاقبة في تلك البلاد .

وعام ١٨٤١ وصل الكبوشيون الاسبان إلى ديار بكير . وأقاموا عام ١٨٥٠ في Mardin , Orfa بين السوريين والأرمن الارثوذكس .

وفي ١٨٦٥ عين المونسينيور Lavigerie بطريركاً للجزائر ، وافتتح فيها ميتماً للأطفال العرب ، على غرار ما فعل اليسوعيون قبل سنة لدى القبائل

(١) tome III. Les Missions des Balkans et du proche -Orient. p.387.

(٢) tome III. p.389.

(٣) tome III. p.389.

« حيث سُمح للأطفال باعتناق المسيحية إذا رغبوا في ذلك . . . »[١] .

ثم وصل اليسوعيون عام **١٨٧٩** الى القاهرة لافتتاح حلقة دراسية صغيرة للاقباط .

وعام **١٨٨١** افتتح الكبوشيون في القسطنطينِة حلقة دراسية لجميع الفرق .

وفي عام **١٨٨٢** افتتحت الحلقة السريانية الكلدانية للدومينيكان في الموصل . كما افتتح الآباء البيض في القدس عام **١٨٨٢** حلقة دراسية للاكليروس المالكي .

وتأسست في روما عام **١٨٨٣** حلقة دراسية للأرمن وأخرى للموارنة عام **١٨٩١**[٢] .

هذا التوسع الهائل للبعثات ، وسط الأقليات الدينية بشكل خاص كما لاحظنا ، لم يكن ليحصل في تلك الفترة بالذات لولا ظل القوى الأوروبية العسكري والمعنوي على السواء . **وهذا في حقيقة الأمر سمة أساسية من سمات العمل التبشيري في العصر الحديث** . فقد سار جنباً إلى جنب مع الرغبة الاستعمارية في الاحتلال والتجزيء ، أو مهد لها في بعض الأحيان ، فنجح حيث تحقق المشروع الاستعماري ، وأخفق حيث تخلف هذا الأخير . وما يضفي على هذا التلازم توكيداً إضافياً ، أن حالة العداء لرجال الدين التي كانت منتشرة في أوروبا في الفترة نفسها ، والصراع العنيف مع الكنيسة ، لم تُنقل ، عن وعي وتصميم ، إلى بلدان الاحتلال والمستعمرات ، بل على العكس من ذلك أغدقت الهبات على البعثات ، واستصدر لها « فرمانات » الحماية ، وأوكلت إليها مهمة « فرض الحضارة الغربية على القسم الباقي من العالم »[٣] .

---

(١) tome III. p.310.

(٢) tome 3- p.389-90-93-94-95

(٢) tome 3- p.72.

كانت بلاد الشام محطة نموذجية لنشاط البعثات وأطماع الدول الأوروبية وتنافسها[1] ، ولانتشار المدارس التي رافقت عمل المبشرين ، بحيث تحولت الخصوصيات الاجتماعية والطائفية إلى صراعات وولاءات ثقافية وسياسية تحتضنها الارساليات ويدعمها القناصل والتجار . وتحول الهدف الأساسي لتعليم المرسلين ، بعد أن تداخل مع السياسة والتجارة ، إلى إعداد « لعقول » تتلاءم مع الأوضاع الجديدة ، و« نخب » ستتربع على رأس كيانات التجزئة التي فُرضت قسراً .

وكان لجبل لبنان قبل أن تلحق به أقضية ومناطق من سوريا ، ويتحول إلى « دولة لبنان الكبير » عام ١٩٢٠ ، وبعد ذلك أيضاً ؛ حصة وفيرة من نشاط البعثات وأهدافها . لا بل نقطة جذب قوية لها بسبب كاثوليكيتها من جهة ، والحضور الفرنسي السياسي والعسكري والاقتصادي من جهة أخرى . وهي عوامل أدت إلى إلحاق سكان الجبل المسيحيون بفرنسا على جميع المستويات . وانعكس ذلك بطبيعة الحال على المسلمين في تلك البلاد ، الذين أُلحقوا قسراً بالكيانات الحديثة ، بعد أن تقطعت أوصالهم الجغرافية وانكفأت وحدتهم المعنوية .

إلا أن هذا الإلحاق لم يكن عبثاً أو صدفة فقد حددت أطرهُ ومعالمه مسبقاً ، منذ عشرات السنين ، بعد أن مهدت له موازين عسكرية دولية وثقافة تبشيرية محلية .

فمن هم هؤلاء المبشرون اليسوعيون الذين نجحوا ، بعد أن زاوجوا بين التبشير والتعليم ، وبين التعليم والسياسة في التأثير على مستقبل الكيان اللاحق في لبنان ؟ وكيف تقاطعت عندهم أهداف الكنيسة ومبادىء « لويولا » مؤسس جمعيتهم ، مع مشاريع فرنسا السياسية والعسكرية ؟ .

---

(١) راجع عادل اسماعيل ، السياسة الدولية في الشرق العربي . الجزء الرابع . بيروت ١٩٦٠ (ص ١١٣ - ١١٦) .

جمعية يسوع

تأسيس الجمعية / وسيرة مؤسسها :

أسس « جمعية يسوع » القديس الاسباني إينـاس دي لويـولا Ignace de Loyola بعد فترة صاخبة بالمشاكل والمعاناة شملت حياته الخاصة وظروف تأسيس الجمعية .

ولـد لويـولا عام ١٤٩٢ ، من أسـرة تنتمي لنبلاء البـاسك . عـاش في شبـابه عيشـة لهو وتـرف « وانغماس في ملذات الحيـاة الدنيـوية » . يقـول عنه صديقه الأب لاينز Lainez الذي خلفه في رئاسة الجمعية عـام ١٥٥٦ أنه كـان في بداية حيـاته « أسيـراً لهفوات الجسـد » . وهو مـا يعبر عنـه لويـولا نفسه في مذكراته بقوله « فحتى السادسة والعشرين تركت نفسي لملذات الحياة وخصوصاً للمبـارزة بالسـلاح التي كنت أرغب في التفاخـر بها . »[1] أمـا التحول الكبـير الذي حصل في حياته فكان أثناء مرضه . إذ طالع بالصدفة « حياة المسيح » و « حياة القديسين » فتأثر بذلك تأثراً دفعه نحـو الاهتمام الـديني وولد في نفسـه شعوراً بالندم على حياته الماضية . إلا أن عاماً من الشـك والقلق عصف به مـا بين ١٥٢٢ و ١٥٢٣ قبل أن يقرر السفر إلى القدس أسوة بالقديسـين فوصلهـا بعد سفر طويل . اعترضته هنـاك مشاكـل عدة ومنعتـه من البقاء . فتـوجه إلى اسبانيا حيث درس فترة من الزمن سافر بعدها إلى باريس فوصلهـا عام ١٥٢٨ وتابع دراسته فيها .

عاش لويولا في باريس عيشة الفقراء وهو يتابع تحصيله العلمي . فأنجز شهـادة في الفنون ، ومـا لبث أن بدأ يجمـع بعض الشبان حـوله أثنـاء متابعتـه للدراسة ووعظه للنفوس . وتوثقت علاقته مـع ستة منهم ، فتـوجه معهم ذات يوم إلى « مونمارتر » وكـان ذلك عـام ١٥٣٤ وهناك حلفـوا حلفاً مقـدساً يعتبـر النـواة الأولى لجمعيـة يسـوع وفيـه « التـزمـوا إذا لم يتمكنـوا من الـذهـاب إلى

---

(١) Alain Guillermon:«ST Ignace de Loyola et la Compagnie de jésus». edition du Seuil - Paris 1960. p.6.

الأراضي المقدسة ، بأن يتوجهوا إلى البابا ليقرر لهم أين وكيف يمكن أن يساهموا في مجد الله وخلاص النفوس »[1] .

تنقل لويولا ورفاقه بين اسبانيا وإيطاليا . ولم يتمكنوا من الذهاب إلى القدس بسبب الصراع بين الأتراك والغرب . فقرروا العودة إلى روما . « وفي الطريق عام ١٥٣٨ شعر لويولا بتغيير في نفسه وأن الله ، الأب ، يضعه مع المسيح ابنه ، وهو لا يمكن أن يشك في ذلك مطلقاً . . » . ويقال أنه قرر بعد هذه الرؤ يا أن يطلق على مجموعته اسم « جمعية يسوع » .

لم تحصل الجمعية على الإذن الشرعي من البابا والكرادلة بممارسة الوعظ والتبشير إلا عام ١٥٤٠ بعد سنتين من المعارضة لها .. ويعتبر هذا التاريخ هو التاريخ الفعلي لولادة « جمعية يسوع » ولبدء نشاطها .

توفي لويولا عام ١٥٥٦ .

نشاط الجمعية :

امتد نشاط الجمعية منذ تأسيسها وحتى منتصف القرن الثامن عشر إلى مختلف بقاع العالم . فوصلت بعثاتها التعليمية والتبشيرية إلى آسيا وأوروبا وإفريقيا والصين « من أجل خدمة المسيح ، والتضحية في سبيل زعماء الكنيسة ، والوعظ الانجيلي ، وتعليم الشباب ، وتعمير الكنائس » كما شدد على ذلك مؤسس الجمعية .

وخلال مائتي عام من النشاط لجأ اليسوعيون إلى عدة وسائل ميزت عملهم في البلدان المختلفة التي وصلوا إليها وساهمت في بلوغهم أوج مجدهم وازدهارهم إلى حين . ففي الصين مثلاً كانت البعثة التي وصلت إلى بكين عام ١٥٨٣ مؤلفة من شخصين يمتلكان ثقافة واسعة في العلوم الرياضية والفلكية ، كما يجيدان الصينية قراءة وكتابة . لذا بذلا جهوداً مضنية لدمج بعض مفاهيم

---

(١) Alain Guichard Les Jésuites. édit Grasset. Paris 1974. p.25.

الكونفوشية في المسيحية حتى تصبح هذه الأخيرة حقيقة فكرية للنخبة الصينية . وبعد أن بقي أحدهما في الصين هو الأب Ricci ارتدى زي أهل البلاد واتخذ لنفسه اسماً صينياً . وقد سُمح للبعثة بممارسة الوعظ العلني في مختلف أنحاء الامبراطورية حين تمكن أحد مرسليها من شفاء الامبراطور Hang Hsi من مرض عضال . فتمكنوا عبر ذلك من إعداد نواة للاكليروس المحلي .

أما في الهند فقد تخلى اليسوعي الايطالي Roberto de Nobili عن اسمه حين وصل إليها واتخذ لنفسه إسماً هندياً Tatuva Podapar . كما كان يجيد السنسكريتية والتامول .

هذه السمة الهامة في العمل اليسوعي من « التكيف » مع العادات واللغة والأزياء إلى استخدام الطب وإعداد الاكليروس المحلي ، كما فعلوا في الصين والهند وسوريا ولبنان ، كما سنرى لاحقاً ، سمحت لهم بتوسيع دائرة نفوذهم وتأثيرهم من التبشير إلى الشؤون السياسية خاصة في المناطق التي وصلوها خلف الفتوحات الاستعمارية ، فتلازم هذان الأمران في نشاطاتهم كافة، وبات واحدهما مكملاً للآخر فَفُتح بذلك باب العداء الواسع للجمعية على مصراعيه وتعرض اليسوعيون لسيل من الانتقادات حتى من أشد الناس قرابة ، لأنهم تركوا الأمور الروحانية شيئاً فشيئاً واهتموا بالسياسة » أو لأنهم كما يقول الأب Aquaviva « يتدخلون في الشؤون الداخلية بحجة تخليص النفوس وهم يتسللون إلى قصور الأباطرة مدفوعين بحبهم لذاتهم وللعالم الخارجي »[1] .

وقد توج الأمر ، إثر حملات عنيفة من النقد والتشهير ، بمنع نشاط الجمعية على مستوى العالم ككل في فترات متلاحقة ومتقاربة ، بعد فترة طويلة من المجد والتربع على القمة تجلى في « المقاطعات » التي أنشأوها في الأورغواي والبراغواي وأطلقوا عليها « مقاطعات القديس إيناس » تيمناً باسم مؤسس الجمعية ، وكانت بمثابة جمهوريات يسوعية . ولعل اللمحة الموجزة عنها تكشف

---

(١) اليسوعيون في الشرق الأقصى والعالم ، دار النهار للنشر . بيروت ١٩٧١ ص ٢٢ - ٢٣ .

لنا مدى ذلك التداخل والتشابك بين التبشير والتعليم والمشاريع السياسية في عمل اليسوعيين قبل القرن التاسع عشر على مستوى العالم عموماً وبعده في سوريا ولبنان بشكل خاص .

« الجمهورية اليسوعية »

مقاطعات البراغواي :

يقول اليسوعيون دفاعاً عن أنفسهم وعن هذه الجمهورية : « أنهم وقفوا في البلدان التي سيطر عليها الاسبان والبرتغاليون في بداية القرن السابع عشر ، إلى جانب الشعوب البدائية . وحاولوا إقناع المستعمرين بأن هؤلاء المساكين مساوين لهم على المستوى الماورائي ، وأدنى منهم على المستويات الأخرى . وأنهم ساهموا مع عائلات دينية أخرى كالدومينيكان والفرنسيسكان في الحركة التبشيرية في تلك المناطق واستقروا في عواصم البيرو والتشيلي والبراغواي وغيرها . . وأنشأوا المدارس والجامعات لأولاد المستعمرين ، وساهموا في إحياء الحياة العقلية في البلاد ، كما قاموا بتدريس اللغات المحلية .

وتمكنوا بعد فترة وجيزة ، وبتشجيع رسمي من ملك اسبانيا فيليب الثالث من تأسيس أول قرية مسيحية في الدولة الجديدة عام ١٦١٠ . تلاها فيما بعد عدة قرى سميت مقاطعات réductions ، كان الهدف من تأسيسها « جلب السكان المحليين إلى الكنيسة وإلى حياة المدينة » . . . . والوصول بهم إلى أعلى مستوى من الحضارة . . » .

وقد سيطر اليسوعيون على هذه المقاطعات وحكموها بشكل مباشر . إذ « ترأس كل واحدة منها اثنان من الآباء اليسوعيين ، يتوزعان المهام الروحية والزمنية . ويشكل مجموع هذه المقاطعات نوعاً من الكونفدرالية يديرها مسؤول يسوعي يزور القرى ويتفقد أحوالها الاقتصادية والدينية والاجتماعية . . ويجمع الضرائب التي يدفعها المواطنون ، باستثناء الزعماء ، ويقدمها للتاج الاسباني . أما هذا الأخير فيهب للآباء مساعدة سنوية .

بالإضافة إلى خمر للقداس وزيت للمصابيح . . » .

وقد خضعت جميع هذه المقاطعات لنسق واحد من التنظيم : الكنيسة ومقر الآباء في الوسط . حولها المدرسة والأبنية الاجتماعية ، يليها بيوت السكن ، وعلى الأطراف المعامل . أما الأراضي الزراعية الممتدة فهي ملكية جماعية . يتولى شؤون العدل فيها اليسوعيون أنفسهم . « باختصار كل شيء في حياة القرية منظم وفقاً لدقات الأجراس »[١] .

إلا أن المجد اليسوعي الذي تجلى في هذه « الجمهورية المسيحية » لم يستمر طويلاً . فقد تبدلت التحالفات السياسية ووقف اليسوعيون إلى جانب شقيق ملك البرتغال في محاولته الانقلابية الفاشلة ، كما لجأوا إلى السلاح وخاضوا صراعاً لمواجهة تقسيم هذه المقاطعات بين الاسبان والبرتغاليون استمرت ست سنوات حتى ١٧٥٦ وانتهى بمذبحة كبيرة ، « وقد كان ذلك غلطة فظيعة »[٢] . . أدت إلى طرد اليسوعيين من المقاطعات كافة ، فكان ذلك ضربة قاسية لهم دفعت بالمواقف المعادية لهم إلى البروز تتهمهم باستخدام هذه المقاطعات « لجمع الأموال لجمعيتهم » ، وبأنهم « أخضعوا الغوارانيين لعبودية أشد قسوة من تلك التي عاناها هنود الأرجنتين أو البرازيل » . وإن عنصريتهم ورغبتهم في الهيمنة هي التي منعتهم من تشكيل اكليروس محلي . وأنهم عملوا خلافاً لقول يسوع المسيح « مملكتي ليست من هذا العالم » وهو اتهام بالخروج عن التعاليم[٣] . يضاف إلى ذلك حملة المعارضة الواسعة لهم التي تشكلت من البروتستانت، والجانسنيست Jansénistes (مذهب اخلاقي متشدد)، الجامعيين ، القضاة ، قسم من الاكليروس ، الموسوعيين ، والفلاسفة الجدد . مما أدى في نهاية الأمر إلى صدور قرار من روما نفسها[٤]

---

(١) حول تفاصيل هذه المقاطعات يمكن العودة إلى :
Alain Guillermou st ignace de loyola et la compagnie de Jésus. p.139-149.

(٢) f.Ribadeau Dumas: «Grandeur et Misére des jésuites». Paris 1963- p.269.

(٣) المرجع السابق : Guillermou

(٤) المرجع السابق : f.Ribadeau Dumas p.271

بمنع الجمعيةعن العمل . ويلخص الأب فرانسوا ريبادو ديما هذه المرحلة التاريخية من عمل اليسوعيين . من صعودهم إلى القمة إلى الانهيار و « المنع » . فيقول : « إن جمعية يسوع في منتصف هذا القرن السابع عشر تتربع على القمة . فالجميع يحترمها ويقدرها أو يخاف منها . ولطالما استفاد البابا من الخدمات الفعالة لعملاء الجمعية السريين المرنين والنشيطين . . . يسيطر اليسوعيون على عدة دول مستقلة ، وكذلك على النُخب من خلال كلياتهم ، حيث يُدرّس الأساتذة المرموقين العقيدة والعلوم والفلسفة ، ويعملون لجعل النبلاء الشباب في خدمة الكنيسة . إن شبكة مدارسهم وجامعاتهم وبيوتهم وحلقاتهم الدراسية تزرع البذرة اليسوعية في كل مكان . . . اليسوعيون في مقدمة الاستعمار ببعثاتهم الخارقة للعادة التي تستوطن في أقصى بقاع الأرض ويقومون بإدارتها والاستفادة من عائداتها . الجمعية في قمة مجدها . لكن الأحداث تتأتى من كل جانب . . . ففي عام ١٧٥٠ تتلقى الجمعية من روما نفسها من عرش القديس بطرس ، وهذا مذهل ، طعنة السيف الأخيرة . . »[1] .

أدى تضافر هذه العوامل إلى طرد اليسوعيين من البرتغال عام ١٧٥٩ ومن فرنسا عام ١٧٦٢ ، ومن إسبانيا عام ١٧٦٧ . وتوج الأمر Clément الرابع عشر حين أصدر الأمر بمنع الجمعية عام ١٧٧٣ .

إلا أن هذا « الحصار » لم يستمر طويلاً . فقد عاد ملوك أوروبا وسمحوا لليسوعيين مع بداية القرن التاسع عشر ، بتجديد نشاطهم . وعادت جمعية يسوع إلى نشاطها العلني على مستوى العالم سنة ١٨١٤ . أي بعد ٤١ عاماً من الانقطاع (١٧٧٣ - ١٨١٤) . أما في فرنسا فقد استمر منع اليسوعيين إلى فترة أطول من ذلك بكثير . وتعرضوا عام ١٨٨٥ إلى حملات عنيفة من العداء أحرقت بيوتهم وممتلكاتهم وأدت إلى طردهم من أنحاء فرنسا كافة . ولم يسمح لهم بمزاولة نشاطهم مجدداً إلا بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩٢٣ . إذن ،

---

(١) المرجع السابق : f.Ribadeau Dumas. p.269-271

عاد اليسوعيون إلى استئناف نشاطهم في مطلع القرن التاسع عشر ، عصر التوسع والاستعمار الأوروبي ، كما ذكرنا ، ولم يتم ذلك في أنحاء العالم كافة دفعة واحدة ، وإنما في فترات متلاحقة[1] : فهم لم يعودوا إلى سوريا ولبنان إلا عام ١٨٣١ في ظل ظروف سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية مؤآتية .

ومن المفارقات ذات الدلالة الواضحة في النشاط اليسوعي ، إن عودتهم « التربوية » والتبشيرية ، والحماية التي وفرتها فرنسا لنشاطهم ومؤسساتهم فيما بعد ، والدعم والتعاون المتبادل بينهما ، حصل كل ذلك في وقت كانت فيه جمعية يسوع لا تزال ممنوعة في فرنسا .

فكيف نجح هؤلاء المبشرون ، مع الصعوبات التي اعترضت عملهم في بداياته ، في إرساء علاقاتهم مع موارنة الجبل بشكل خاص ؟ وكيف استطاعوا غرس بذور نظام تعليمي - اجتماعي سيحدد مستقبل الصراعات والتناقضات في الكيان اللاحق في لبنان؟ وكيف انتقوا وأعدوا «نخبة» من الموارنة لقيادة هذا الكيان ؟ وهل كان الوضع التعليمي أو الثقافي لدى الطوائف المختلفة يسمح للموارنة بالتميز عن أقرانهم ويمهد لهم سبل الارتقاء والعزة ؟ بينما يفرض الجهل والأمية على الآخرين حتمية الانقياد والولاء ؟ .

(١) f.Ribadeau Dumas . المرجع السابق . ص ٢٧١ - ٢٧٥ .

الفصل الثاني

التعليم الرسمي والأهلي

● مؤشرات التعليم والثقافة عند الموارنة

- مقررات «المجامع» وصعوبة التنفيذ
- مقررات «مجمع اللويزه»
- خريجو روما . والتأثير الضائع
- «تحت السنديانة»

● التعليم الرسمي العثماني

- الكتّاب
- مراحل الدراسة المنظمة

● التعليم عند المسلمين

- جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت
- التعليم في جبل عامل

مما لا شك فيه ، ان تأريخ التعليم في لبنان ، على اختلاف مستوياته لا يبدأ مع وصول بعثة اليسوعيين او سواها من البعثات التي توافدت تباعاً وفي فترات زمنية مختلفة . فالبعثات لم تأت إلى أرض قاحلة جدباء ، ليس لاهلها اي صلة مع الحروف والكلمات ، رغم وصمة الجهل التي اطلقها اليسوعيون على من حلوا بينهم من اهالي البلاد . كما ان تمركز النشاط الارسالي في جبل لبنان لا يبرر معظم الدراسات التي حصرت تاريخ التعليم في لبنان في تاريخ هذا الجبل ، انطلاقاً من اسباب سياسية واضحة تارة ودفينة تارة أخرى . كما ذكرنا في التقديم .

الا ان ما تقدم ، لا يقلل من تأثير اليسوعيين في هذا الميدان الذي ادى إلى تكوين حالة جديدة سياسية ثقافية ، ساهمت فيها عوامل أخرى ، في علاقات الطوائف اللبنانية فيما بينها . فالجهل الذي لاحظه اليسوعيون مثلاً في منتصف القرن التاسع عشر في الاوساط المسيحية والمارونية ، تحول إلى « تفوق ثقافي » وإلى « اصول حضارية متميزة » تضرب في اعماق التاريخ ، وأصبح ريادة وتفرداً منذ « لبنان الكبير » . وإذا كان لهذا التوجه جذراً تاريخياً سياسياً وعسكرياً يشتد حيناً ويضعف حيناً آخر ، فإن نشاط اليسوعيين ، في ظل الظروف الدولية والمحلية الملائمة ، كما سنرى ذلك ، هو الذي ارسى الدعائم الثابتة وخط السبيل امام هذا الانعطاف الواضح في الفترة المعاصرة . ويكفي

أن نعود إلى تلك الفترة التاريخية ، عشية وصول اليسوعيين ونتطلع إلى الوضع التعليمي في لبنان ، خاصة في جبله حيث السكان الموارنة ، لنتبين مدى تأثير هؤلاء المرسلين ببعثاتهم التعليمية والتبشيرية على الطوائف كافة .

ضمن هذا الاطار ، اذن ، سنحاول أن ننظر اولاً إلى ما بلغته هذه الطوائف ، وإلى ما كان عليه حال التعليم الرسمي العثماني ، من اهتمام بالافكار المدرسية والتربوية ، ومحاولات نشرها وتنظيمها ، وما أنجز فعلياً على صعيد التنفيذ والتطبيق . وثانياً إلى المتغيرات التي حصلت نتيجة الوجود اليسوعي ، التعليمي والديني والسياسي .

مؤشرات التعليم والثقافة عند الموارنة

مقررات « المجامع » ، وصعوبة التنفيذ

لم تؤد المجامع الدينية المارونية التي عقدت منذ ١٥٥٧ وعلى فترات متقطعة طيلة ثلاثة قرون حتى سنة ١٨٥٦ رغم ما ورد في بعضها من دعوات تربوية واضحة ، إلى نشر العلم والمعرفة وتعميم القراءة والكتابة في اوساط الطائفة . ورغم اختلاف البطاركة في تحديد عدد هذه المجامع ، الذي يتراوح بين الثلاثة عشر والثمانية عشر[١] ، « فإنه لم يتخذ سوى في خمسة منها مقررات بالنسبة للأمور التربوية . كان اولها ما صدر عن مجمع « قنوبين » سنة ١٥٨٠ (بعد ٢٣ عاماً على انعقاد المجمع الاول) حيث فرض على الاساقفة والكهنة وجوب تعليم الاولاد الامور الدينية نهار الأحد من كل اسبوع . فقد جاء في القانون العاشر من قوانين هذا المجمع ما يلي :

---

(١) مجلة المنارة . العدد الأول . ١٩٨٣ . ص ١٩ . نقلاً عن بيار عيد . الدور التربوي للاكليروس الماروني في جبل لبنان في القرن التاسع عشر . رسالة كفاءة في علم اجتماع التربية . معهد العلوم الاجتماعية . الفرع الأول بيروت ١٩٨٥ .

« يجب على كل مطران أو أسقف أن يأمر في رعيته في البلدان والقرا أن يكون دايماً احداً من الكهنة في كل ايام الاحد يعلم في الكنيسة جميع اولاد القرية الامور الضرورية اي الصلاة الربانية وصلاة العذرى والامانة والعشر كلمات واسرار البيعة وما اشبه ذلك . وأنهم يكونوا طايعين للمسيح وللكهنة ولوالديهم وبالجملة يثبتوهم في جميع امور الامانة الكاثوليكية »[1]

أما أهم تلك المقررات على الاطلاق فهي ما صدر عن المجمع اللبناني الذي انعقد في دير سيدة اللويزة سنة ١٧٣٦ في عهد البطريرك يوسف الخازن وبحضور يوسف السمعاني بصفة مندوب من قبل الكرسي الرسولي[2] .

مقررات « مجمع اللويزة » :

شدد هذا المجمع في مقرراته على ضرورة تعليم الناشئة أمور الدين ، وطلب من اجل تحقيق ذلك تعيين المعلمين ، وارغام الاهالي على ارسال أولادهم إلى المدرسة ، وتقديم المساعدات للايتام والمعوزين. وقد أفرد .

الباب السادس من مقرراته لهذا الشأن ، ومما جاء فيه :

« . . . نأمر بأن تقام المدارس في المدن والقرى والاديار الكبيرة وأن تصرف العناية إلى حفظها قائمة فيتعلم فيها صبيان تلك المدينة أو القرى المجاورة الامور الضرورية . . نحث ونناشد باحشاء يسوع المسيح كلا من المتولين رئاسة الابرشيات والمدن والقرى والمزارع والاديار جملة وافرادا أن يتعاونوا ويتضافروا على ترويج هذا العمل الكبير الفائدة . . . نريد بهم الاساقفة والخوارنة الاسقفيين والخوارنة ورؤساء الاديار فيعنون أولاً بنصب معلم حيث لا يوجد معلم ويدونون اسماء الأحداث الذين هم أهل لاقتباس العلم ويأمرون آباءهم بأن يسوقوهم إلى المدرسة ولو مكرهين . وإن كانوا ايتاماً

(١) المرجع السابق . ص ٤٤ نقلاً عن بيار عيد

(٢) عيد . المربع السابق ص ١٨ .

أو فقراء فلتتقدم هم الكنيسة أو الدير ضروريات القوت وفي حالة تعذر الكنيسة أو الدير يجمع هم في كل يوم أحد من صدقات المؤمنين ما يفي بمعاشهم اما أجرة المعلم فيترتب جزء منها على الكنيسة أو الدير (على شرط أن لا يكون المعلم راهبا من رهبانه) والجزء الآخر يقوم بدفعه آباء الأولاد »[١] .

أما البرامج التي يتمنى « المجمع » تعليمها للاولاد فتنقسم تدريجاً إلى لغة، وعقائد مسيحية ، وتعمق في أصول اللغة ، وعلوم فلسفية رياضية لمن استطاع ذلك من الأولاد . وقد ورد ذلك في البند الثالث من الباب نفسه وفيه :

« . . نأمر هؤلاء المعلمين . . . أن يراعوا النظام العام فيعلموا الاحداث في المدارس أولاً القراءة والكتابة في السريانية والعربية ثم المزامير ثم كتاب خدمة القداس والفرض اليومي والعهد الجديد ثم إذا توسموا في بعضهم مزيد من الاهلية لتحصيل العلوم فليعلموهم قواعد النحو والصرف في السريانية والعربية ثم علم اللحن والحساب البيعي ثم يرقوهم إلى درس العلوم العالمية أي الفصاحة والنظم والفلسفة والمساحة والحساب وعلم الفلك وما أشبه ذلك من الرياضيات ثم مبادىء الحق القانوني وتفسير الكتاب المقدس واللاهوت الاعتقادي والادبي . . »[٢] .

كما تجدر الاشارة إلى العناية الخاصة التي أبرزها « المجمع » للغة العربية فأمر « رؤساء الاديار ومعلمي المدارس في المدن والقرى والاديار الكبيرة أن يعنوا بتدريس أصول اللغة العربية التي احكم وضعها الطيب الذكر جبرائيل فرحات . . . وذلك ليشرب الطلبة في قلوبهم حب التقى مع العلم وصفوة اللغة العربية »[٣] .

---

(١) المجمع اللبناني . ترجمة المطران يوسف نجم . (ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠) نقلاً عن عيد ـ المرجع السابق ص ١٩ .

(٢) المرجع نفسه (ص ٥٣٥) .

(٣) المرجع السابق (ص ٥٥٠ ـ ٥٥١) .

وقد تأثرت مقررات هذا المجمع(*) بنظام المدرسة المارونية في روما . فأوصى بانشاء المدرسة المنظمة ، وقسم الهيئة التعليمية إلى مدير وناظر ورئيس ، وحدد مواد المنهاج وفصلها إلى مراحل تعليمية . كما شدد على مجانية التعليم والزاميته ، واعتبر أن الكنيسة هي المسؤولة الأولى عن نشر الثقافة في البلاد لأن الهدف الأساسي هو التربية الدينية « لتكوين رجال دين يخدمون الطائفة خدمة دينية مثقفة » ، كما ركز على ضرورة تنشئة الاحداث منذ الصغر على الايمان بالدين المسيحي وتعاليم الكنيسة الكاثوليكية »[١] .

كما أوصى بانشاء اربعة أنواع من المدارس لرعايا الطائفة :

١ ـ مدارس بادارة الاساقفة ورؤساء الاديرة ، الهدف منها تربية رجال دين مثقفين .

٢ ـ مدارس يديرها تلامذة المدرسة المارونية العائدون من روما ، ولها هدف المدارس الأولى نفسه .

٣ ـ مدارس رهبان القديس انطونيوس اللبناني ، هدفها ترويج اعمال الرسالات وتلقي العلوم وتعليم الاحداث .

٤ ـ المدارس الاكليركية : يتعلم فيها الشبان والاحداث المرشحين للنذر الرهباني الاسفار المقدسة والتعليم المسيحي[٢] .

أما المجامع الأخرى (مجمع ميفوق ١٧٨٠ ، مجمع دير سيدة اللويزة الثاني ١٨١٨ والمجمع البلدي ١٨٥٦) ، فلم تأت بجديد على صعيد

(*) يحتمل أن يكون المجمع الثاني الذي عقد في دير سيدة اللويزة ايضاً عام ١٨١٨ هو الذي أوصى بهذا التنظيم للدراسة . .

(١) نعيم عطيه . « الفكر التربوي في البلاد العربية في القرن الماضي . الجامعة الاميركية . دون تاريخ . ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .

(٢) شكري حايك : التنظيم التربوي الماروني . رسالة كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانية . بيروت ١٩٧٢ . ص ٢٨ ـ ٥٨ ـ ٦٧ . وكذلك الصليبي . كمال . المرجع السابق ص ١٦٣ - ١٦٤ .

المقررات التربوية ، باستثناء تشديدها على اهمية تعليم الصغار للقراءة والكتابة ، ومبادىء الدين والعقيدة واللغة ، وطلبها من المسؤولين الروحيين فتح المدارس قرب الاديرة . « وقد تميز المجمع البلدي باعادة تنظيم المدارس المشاعة (مدرسة عين ورقة ، مار عبدا هرهريا ، مار مارون الرومية ، ومار سركيس ريفون) فطالب بوجوب تعيين وكلاء لكل مدرسة من هذه المدارس يعتنون فيها بقضايا المدرسة والتلاميذ الداخلية والخارجية إلى جانب المواد الواجب اعتمادها في تدريس الطلاب »[1] .

إلا أن مقررات « المجامع » المختلفة رغم ما تعبر عنه من حاجة ماسة لنـ ـ القراءة والكتابة ورغبة في تأسيس المدارس وتنظيمها ، لم تتحول إلى واقع عملي يلبي هذه الحاجة ويسد ثغرة الجهل المتفشي بين عامة الشعب ، وذلك بسبب الضغط المعنوي والمادي الذي تعرض له الاكليروس الماروني من قبل الاقطاعيين . . مما ولد حالة من عدم الاستقرار النفسي والضعف المعنوي إلى جانب الفقر المادي . . . فانعكس هذا الأمر شللاً وعدم قدرة على تنفيذ المقررات التربوية التي اتخذت في المجامع الدينية ابتداء من مجمع قنوبين . . . »[2] .

خريجو روما : التأثير الضائع

لم يكن لخريجي روما(*) الأثر التربوي المنشود في اوساط الناشئة أو في

---

(١) عيد ـ المرجع السابق ص ٢٢ .

(٢) عيد . المرجع السابق ص ٢٦ .

(*) تأسست مدرسة روما المارونية في عهد البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٤ . . . لتدريس كهنة الموارنة العلوم الدينية . . وقد استمرت مدرسة روما في قبول افراد الاكليروس الماروني حتى سنة ١٧٩٨ تاريخ اجتياح العساكر الفرنسية لمدينة روما بقيادة نابليون بونابرت الذي صادر املاك الكرسي البابوي بما فيها المدرسة المارونية وباعها إلى العلمانيين ، فانقطعت بذلك الصلة بين الاكليروس الماروني وهذه المدرسة حتى سنة ١٨٩٤ ، تاريخ اعادة استئناف نشاطها التربوي من جديد على عهد البطريرك الحويك واستمرت حتى سنة ١٩٣٩ تاريخ اقفالها النهائي .

ادارة المدارس . ويلخص أحد الرهبان الكبوشيين اسباب عجز هؤلاء الخريجين عن القيام بواجباتهم ، فيقول : « . . . بعد أن يقضي هؤلاء الشبان ١٢ أو ١٣ أو ١٤ سنة في روما ، حيث أحرز البعض منهم نجاحاً باهراً ، يعودون إلى بلادهم وليس عليهم من الثياب إلا ما يجود به عليهم فرسان مالطة من الاحسان . وما أن يصلوا إلى البلاد حتى يجد القسم الأكبر منهم أن أباه أو أمه قد غادرا الحياة ، وأن أرضهم قد اصبحت بورا . . . وهكذا فهم مضطرون إلى الشغل للقيام بأودهم ، الأمر الذي هو جديد بالنسبة البهم ، لأنهم اعتادوا طريقة العيش في روما ولا يلبث البعض منهم أن يعود إلى أوروبا من جديد ليكسبوا عيشهم هناك ، والبعض الآخر يهجرون الدرس والكتب ليحملوا المعول والمحراث إلى الحقل »[1] . كما يؤكد السائح قولني ايضاً على غياب هذا التأثير التربوي لخريجي مدرسة روما ، فيقول : « خصص الكرسي الرسولي للموارنة نزلاً في روميه ، أتاح لهم أن يرسلوا شبانهم إلى هناك للدراسة مجاناً . ويبدو أن فنون أوروبا وافكارها تسربت إلى الموارنة بهذه الوسيلة . لكن خريجي هذا المعهد ، وقد اقتصرت تربيتهم على ما اتصل منها بالرهبنة ، كانوا يعودون إلى بلادهم وهم لا يعرفون إلا الايطالية ، فلا يفيدون منها هناك ، ولا يحيطون علماً الا بالموضوعات اللاهوتية التي تقودهم إلى لا شيء . ثم أن مستواهم سرعان ما كان يهبط إلى مستوى عامة الناس »[2] .

وبالرغم من محاولات الاكليروس الماروني لتأسيس بعض المدارس[*] في القرى المختلفة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، فإن الوضع

= راجع ـ الصليبي المرجع السابق ص ١٦١٠ ـ ١٦١ ـ ١٦٢ .
راجع ـ يوسف الدبس : الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ص ٣٣٩ . ذكره عيد ـ المرجع السابق ص ٢٩ .

(١) الصليبي . المرجع السابق ص ١٦١ .

(٢) الصليبي . المرجع السابق ص ١٦٢ .

(*) منها على سبيل المثال مدرسة عجلتون ١٧٥١ ، مدرسة بحر صاف ١٧٥٦ ، مدارس مشموشة وجبيل ١٧٦٢ ، مدرسة وادي شحرور ١٧٨٥ ، ومدرسة دير القمر ١٧٨٢ .

التعليمي والثقافي لم يكن له الأثر الملحوظ على الصعيد الشعبي[1] . ولم يبرز من جميع تلك المدارس سوى « عين ورقة » ١٨٧٧ التي اعلن مؤسسها البطريرك يوسف اسطفان أن هدفها « خلق نواة اكليركية متعلمة دون الرجوع إلى مدرسة روما المارونية »[2] . إلا أنها كانت مع مدرسة عين تراز في مطلع القرن التاسع عشر « في حالة حرجة . . . ينقصها المعلمون الاختصاصيون فضلاً عن قلة الوسائط لمعاش التلامذة والمعلمين »[3] .

وما يؤكد استمرارية هذا النقص الكبير في الانجازات التربوية والتعليمية على مستوى واسع ، والتفاوت في معالجته في كل مرحلة من مراحل نشاط الاكليروس وقوته « أن الكنيسة المارونية استيقظت مجدداً على ضرورة زيادة عدد المدارس في اوائل القرن التاسع عشر ، إذ تم بين ١٨١٢ و١٨٣٢ تحويل عدد من الاديرة إلى معاهد للتدريس . . . إلا أن انشاء هذه المدارس لم يف بالمطلوب وظل التعليم الشعبي حتى اواسط القرن ضيق النطاق[4] .

أما النوع الوحيد من المدارس الذي استمر حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فهو ما أطلق عليه « تحت السنديانة » . إلا أنها كانت بشهادة جميع من عاصرها أو تلقى مبادىء القراءة والكتابة فيها ، عديمة الفائدة تقريباً ، وذلك لاسباب فرضت عليها وعلى تلامذتها فمنعتهم جميعاً من تحقيق ما يرجى تعليمياً وتربوياً .

---

(١) الصليبي . المرجع السابق ص ١٦٨ . راجع ايضاً الأب لويس بليبل : تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية . المجلد الأول ١٩٢٤ ، مطبعة كوى بمصر . ص ٤٢٣ حيث يقول في وصفه للمتعلم « هو يكتب كما يتكلم وكلامه ركيك جداً لحداثته فيه لأن لغته كانت السريانية . هذا فضلاً عن سوء تصدير ما يكتبه . وكثيراً ما يتعذر قراءة هذه الكتابات على احذق القراء لما فيها من الاغلاط الكثيرة . . فيستنتج من هذا أن القرى الكبيرة بل كل القرى ومهما كثر عدد سكانها لم يتجاوز عدد العارفين بالقراءة والكتابة ، الاثنين أم الثلاثة » .

(٢) عيد ـ المرجع السابق ص ٤٩ .

(٣) حقي اسماعيل ـ لبنان مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني . ص ٥٧ . ذكره عيد . المرجع السابق ص ٤٤ .

(٤) الصليبي . المرجع السابق ص ١٦٦ .

« **تحت السنديانة** » :

هي الوجه المقابل للكتّاب لدى المسلمين ، سواء في بساطة الشكل ، أو في طريقة التعليم ومضمونه الديني اساساً . « يذهب الاولاد اليها بعد أن يبلغوا الرابعة أو الخامسة من العمر . . ويتعلمون فيها اللغتين العربية والسريانية ولا يكاد يحسن الصبيان القراءة حتى يحولهم ذووهم إلى العمل ، فلا يلبثون أن ينسوا كل شيء »[1] .

اما مواصفات هذه « المدرسة » فتعبر عنها مجلة « المشرق » بشكل دقيق في مقال عن « العوائد اللبنانية » نقتطف منه يلي :

« إن مررت في لبنان قرب عين ماء غذب في ظل جوزة أو سنديانة بجوار كنيسة فسمعت ضوضاء ورأيت عصابة جالسين على الارض متربعين شأن اهل بلادنا ، يقرأ هذا بصوت جهير . ويترنم البعض بلحن سرياني ، ويردد البعض على مسامع الصغار الصلوات أو آيات الكتاب المقدس ، ورأيت في الوسط رجلاً عابساً بيده قضيب ، فقل هذه هي المدرسة وهذا هو المعلم . . لا يكاد الولد يصل الرابعة الا ويزج في المدرسة كالمجرم . . اول يوم يصل الولد إلى المدرسة يكتب له المعلم احرف الهجاء على ورقة ويلصقها على لوحة صغيرة يعلقها التلميذ في عنقه فلا يزال اياماً واللوحة على صدره إلى أن يتعلم الاحرف . بعدئذٍ يأخذ بدرس « المزامير » سطراً سطراً وورقة ورقة ، إلى أن يفرغ منه تماماً . وفي ذلك اليوم يكون عيد في المدرسة ، تُشد أيدي الولد المذكور خلف ظهره ويقوده رفاقه مع الأستاذ إلى الوالدين . فتفرق الحلوى على الرفاق وشيء من الدراهم للأستاذ .

بعد درس « المزامير » يبدأ الولد بالكتابة . ويأخذ درساً في السريانية لكي يخدم القداس ويشارك الكاهن في صلوات المساء في الكنيسة . غير أنه يقتصر على أن يحسن القراءة دون أن يفقه معنى الكلام . أما الكتابة فلا يدعى

---

(1) هنري غيز . بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن الجزء الثاني . ص ٦٦ ذكره عيد . المرجع السابق ص ٤٤ .

الرجل معلماً باهراً إن لم يتقنها . . يأتي الاولاد إلى المدرسة فيدعو المعلم واحداً ويقرأ امامه امثولته مرة أو مرتين ويصرفه لكي يدرسها زماناً ثم بعد حين يدعوه ليختبره أتعلم درسه أم لا .

أما تقسيم المدارس إلى صفوف متتالية فلا يعرفها الأساتذة عندنا . فإن كل ولد يدرس امثولته لا شريك له ولا رفيق . وقد يحدث أن تلميذاً يفقه في النهار عشر امثولات والمعلم يسمح له قراءتها وغيره لا يتعلم شيئاً . ثم قبل الساعة العاشرة يأخذ الجميع درس التعليم المسيحي . فالذين يحسنون القراءة يدرسون في الكتاب ويحفظون أقوال القديسين ، والذين لا يعرفون القراءة يُفرِز لهم الأستاذ ولداً من الفظنين يردد امامهم الصلوات كلمة كلمة .

أما طريقة التأديب « فإن الأستاذ يضرب التلميذ المذنب بالقضيب ضرباً يوازي الجرم ولا ترى والداً أو والدة تشتكي من استاذ يضرب ولدها ، بل كثيراً ما سمعنا القوم يقولون « هذا ابني العظم لي واللحم لك » .

ومن أراد متابعة تعلم القواعد والبلاغة وبعض المباديء الأولية في العلوم فعلية أن يلجأ إلى معلم خاص به »[1] .

ويتذكر « مارون عبود » هذه الكتاتيب ، فيكمل صورة المقال السابق عنها . يقول : « قرب الهيكل في ظل السنديانة كنا نقعد ونتعلم . إذا أمطرت هرولنا إلى صحن الكنيسة احياناً . الدرس في الكنيسة إذا خلا بيت الجسد من القربان . . . وكانت مقاعد الدراسة الفروة شتاء ، والحجارة والأرض صيفاً . وللمعلم كرسي الكنيسة وهو من خشب التوت المعمر . . . أما مدة الدراسة فكانت مختلفة بينها . أما على مدار السنة ، وأما من أول تشرين الأول حتى أواسط تموز . ولا تتخلل هذه المدة لا فرص ولا أعياد . وعلى الدير أن يخص راهباً بتعليم الصغار القراءة والكتابة مجاناً ، مع راتب من الوقف ومع أرغفة من الخبز وبضع بيضات من التلاميذ . . . والتلميذ يقبل في المدرسة من

---

(١) مجلة المشرق ، السنة الثانية ١٨٩٩ . ص ١٦٨ - ١٧٢ .

سن خمس سنوات وما فوق . . . كان الطفل يتعلم الرموز الكتـابية حتى يتسنى لـه القراءة . وامـا الغرض من الكتـابة فكـان الخط أو تصويـر الألفـاظ ، ومن الحساب عد الارقام وكتابتها . ومتى ختم الطفل الانجيل المقدس أو المزامـير ، كـان ذلك حـدثاً عـظيماً لـلأهل يقـام من أجله الاحتفال . . . . أمـا مـا سمي بالمدرسة فلم يكن حاله أفضل . فهي « عبارة عن قبو واسـع ، أشبه بـالزريبـة منها إلى المدرسة . . . يجلس التلاميذ على الحصير . . أما المعلم فكان يجلس في صدر القاعـة على طـراحة وأمـامه طـاولة . . . وكـان المعلم الكاهن يقف عـلى درجة أعلى من الجميع ويجمع إلى يمينه عدة قضبان . . . »[١] .

هكذا كان ، اذن ، وضع الموارنـة التعليمي حتى منتصف القرن التـاسع عشر . رغبة في محاربة الجهل المتفشي بين ابناء الطائفـة ، ومقررات تحث عـلى تعلم القراءة والكتابة ، وافتتاح المدارس وتنظيمها ، واعداد الدعاة والمعلمين ، وواقع لا يتفاعل مع كل ذلك ، بـل حالـة عامـة من الجهل تـطغى على بعض المـدارس التي تأسست هنـا وهناك ، واستمـرار نمط بسيط من التعليم ، يكـاد يكون عديم الفائدة تقريباً في تحقيق الرغبات المرجوة .

هذه السمة الاساسية من سمـات الوضـع التعليمي لدى المـوارنة ، كـما بينت الـوقائـع التاريخيـة ومقررات « المجـامع » تنفي اي ادعـاء بتفوق فكـري تـاريخي ، كما يـزعم البعض . كما أن ادعـاءات مماثلة حـول التميـز الثقـافي أو اللغـوي حصـراً لا تمت هي الأخـرى إلى الحقيقـة بصلة . فـالسـريـانيـة كانت محصورة بالطقوس الدينية ، والعربية كانت لغة التواصل الـرئيسة بـين السكان جميعاً . ولم يكن هناك اي « لغة اوروبية خاصة » يمكن أن تبـرر رغبات وواقـع الالتحاق السياسي والفكري ، الذي تم فيما بعد ، مع فرنسا بشكل خـاص ، واوروبا بشكل عام .

يقول قولني في تحليله للّغات في لبنان في القرن التاسع عشر :

---

(١) ذكره محمد جميل نور في . « المدارس المارونية في لبنان في نهايـة القرن التـاسع عشـر » . رسالـة كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانية . بيروت ١٩٧٢ . ص ٦٣ـ وص ٧٠ .

« إن اللغة الرئيسة في سوريا هي اللغة العربية . يقول Niebuhr أنه سمع أن السريانية لا تزال مستعملة في بعض قرى الجبل ، ولكني سألت الكثير من رجال الدين الذين يعرفون هذه البلاد بكل تفاصيلها ، فلم اسمع شيئاً مماثلاً لما قاله Niebuhr . ولكن قيل لي أن بلدتين قرب دمشق تتكلمان لغة غير معروفة ومن الصعب فهمها . إلا أن هذه الصعوبة ليست دليلاً على شيء ، لأن اللهجات تختلف وتتبدل في سوريا ، كما في سائر الدول العربية ، من منطقة لأخرى . يمكننا أن ننظر إلى السريانية كلغة ميتة في هذه المناطق . وإذا كان الموارنة قد احتفظوا بها في طقوسهم وقداسهم إلا أنهم لا يتكلمون بها وكذلك الأمر عند الروم . فمن بين الخوارنة والرهبان المنشقين والكاثوليك هناك القليل الذين يفهمونها . . . واللغة التركية لا يستعملها في سوريا الا رجال الحرب والحكم ، وبعض اقوام التركمان . . . »[١] .

كما يلاحظ « جيرار دي نرفال » الذي قام برحلة إلى المنطقة السورية عام ١٨٤٣ أن الشيخ الماروني الذي تحدث طويلاً عن أسرته ، عن الرحلات التي قام بها جده إلى أوروبا ، وعن الحفاوة التي لقيها هناك . . . « كان يجيد التعبير بالايطالية مثل غالبية الامراء والمشايخ في لبنان . . . »[٢] ويتابع دي نرفال مقارناً : « . . . بشكل عام لا يمكننا أن نميز أي شيء في حياة الأمراء والمشايخ الموارنة عن غيرهم من الشرقيين . إنه المزيج نفسه من العادات العربية وبعض سلوكات عصورنا الاقطاعية . . . »[٣] .

كما يؤكد لامارتين ، في اشارة غير مباشرة ، إلى أن الضرورة والظروف ، قد تفرض لغة ما في التواصل ، وذلك حين يتحدث عن القنصل الفرنسي الذي استقبله عام ١٨٣٣ ، « وكان يرتدي ثياباً من الزي الشرقي ويتكلم العربية والايطالية . وهذا يعني كم كانت هذه اللغة الأخيرة ضرورية

---

(١) volney -Voyage en Egypte et en syrie. Paris Lahaye-1959- cité par: Naaman A.in «Le français au Liban». edition Naaman. Paris-Beyrouth 1979-p.45-46.

(٢، ٣) Gerard de Nerval.«Voyage en Orient»- juillard. Paris. 1964- Tome II. p.9. cité par Naaman. p.55.

ولا غنى عنها في ذلك العصر »[١] . اذن ، لم يلحظ هؤلاء الزوار والرحالة ، أن للمسيحيين أو للموارنة لغة خاصة أو عادات مميزة ، بل هم « كغيرهم من الشرقيين » .

إلا أن « التميز » المعاصر الذي يُتمسك به ويُنسب إلى الماضي ، لم يكن مجرد وهم أو ادعاء بالمطلق . بل اقترن بفترة تاريخية معينة هي منتصف القرن التاسع عشر حين اصبح الموارنة مركزاً لتلقي التأثيرات الثقافية والاقتصادية والسياسية الفرنسية[*] . خاصة وأن فرنسا اصبحت صاحبة « الحق » في « حماية مسيحيي الشرق » فتداخل آنذاك هذا الموقع المتقدم لفرنسا ، قياساً إلى الدول الاوروبية الأخرى ، مع علاقاتها التاريخية مع الموارنة التي يعرب كل طرف عن شدة تمسكه بها وفقاً للظروف السياسية والدولية[**] .

---

(١) نعمان . المرجع السابق ص ٥٣ .

(*) راجع الفصل القادم ، اليسوعيون في سوريا ولبنان .

(**) تختلف الروايات التاريخية في تحديد هذه العلاقة ، ما بين الدعم العسكري المتبادل أو الحماية المعنوية : فيقول بوديكور مثلاً : « عندما انطلق ملكنا سان لويس في حربه الصليبية ، توقف في قبرص حيث لاقاه دعم من ٣٥ الف ماروني خاض معهم معركة مصر . . »[١] .
« كما ارسل اليهم بونابرت مبعوثه قائلا لهم : « اعترف ان الموارنة فرنسيين منذ الأزل »[٢] .
« ووجه ملك فرنسا الى امير الموارنة الرسالة التالية : « . . نحن مقتنعين بان هذه الأمة التي تنتسب الى القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية »[٣] . كما كتب وزير البحرية الفرنسية عام ١٧٥٠ الى القناصل الفرنسيين في الدولة العثمانية : « ان الرهبان الموارنة الذين يؤلفون رهبنة مار انطونيوس في جبل لبنان قد شملهم الملك بحمايته الخاصة في كل وقت . وقد توسطوا الى جلالته ان يجدد تلك الحماية ويثبتها لهم . فتنازل جلالته واستجاب طلبهم وأوصاني ان اكتب اليكم ان تعاملوهم كما تعاملون المرسلين الفرنسيين الموجودين في الشرق من قبل جلالته . . . »[٤] .

---

(١) Baudicour. Louis de: La France en Syrie-Paris 1860- p.6

(٢) Rochementeix . C.P.J: Le Liban et l'expédition française en syrie 1860-1861 (Documents inédits du Général A.Ducroit) Paris 1921- p.79.

(٣) المرجع نفسه ص ٧٠ .

(٤) الخورس بطرس غالي - « فرنسا صديقه ومحامية » . ص ٣٢٦ - ٣٢٧ . ذكره كوثراني المرجع السابق ص ٤٤ .

اما الطوائف المسيحية الأخرى فلم يكن وضعها التعليمي أفضل من وضع الموارنة . **فقد أسس الروم الارثوذكس** معظم مدارسهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . كما كانوا كذلك محط انظار الدول الكبرى ومشاريعها في « الحماية » وكسب النفوذ[1] عبر التعليم والبعثات .

وقد انتشرت مدارسهم في مناطق عدة من لبنان . في الشويفات ، صور ، حاصبيا ، راشيا ، الشوف ، طرابلس ، وسوق الغرب . . . واشهرها College de trois Docteurs التي تأسست في بيروت عام ١٨٦٦ ، وبات لها فروع في مختلف انحاء بيروت وتمولها جمعية الاحسان الارثوذكسية . « اما نظام التدريس في المدارس الارثوذكسية فشبيه بالمدارس الاوروبية »[2] .

اما الروم الكاثوليك فعرفوا انتشاراً للمدارس الابتدائية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ايضاً ، إذ بلغ عددها حوالي ستين مدرسة بين ١٨٩٤ و١٨٩٥ . وذلك بعد أن خطفت مدارس البعثات بريق التعليم فيها في الفترة الأولى من قدومها « فالدير الذي علم ابناء الطائفة سنوات عديدة ، بدأ بالانحدار في منتصف القرن التاسع عشر وذلك مع ظهور مدارس الارساليات »[3] . **اما البروتستانت** فاشهر مدارسهم ، هي مدرسة عبيه التي تأسست عام ١٨٤٦ ، وقد دفعتهم الصلات الدينية نحو كلية الاميركان البروتستانتية .

يسمح ما تقدم بملاحظة أمور ثلاثة تميز بها الوضع التعليمي لدى الموارنة بشكل خاص حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر :

---

(١) حاول المرسلون الاميركان كسبهم الى جانبهم ، فقدم قنصل روسيا عام ١٨٤٠ احتجاجاً الى القنصل البريطاني على هذا التدخل الاميركي في شؤون الارثوذكس محاولاً استعادة الطائفة الى وصاية الروس .

(٢) « المدارس الارثوذكسية في بيروت » . مجلة الهدية . تصدر عن جمعية التعليم المسيحي في بيروت لابناء الطائفة الارثوذكسية . سنة ١٨٨٨ . السنة السادسة . عدد ١٤٨ . ص ٣٨٤ .

(٣) Victoria Khozami. L'énseignement au Liban. Thèse d'université. Paris 1952- p.19.

- حالة عامة من الجهل ترافقت مع بساطة في تعليم ذي اهداف دينية واضحة .

- بطء شديد في انتشار التعليم وندرة الكتب المدرسية[1] .

- تركيز على الرغبة في تعلم اللغة العربية(*) ، وغياب أي لغة اخرى اساسية غيرها .

التعليم الرسمي العثماني . .

ادى الضعف العام الذي بدأ ينخر في جسد الدولة العثمانية ومهدّ لانهيارها ، إلى سياسات مترددة ومرتبكة شملت مؤسساتها كافة ، بما فيها المؤسسة التعليمية . كما اختلفت هذه السياسات بين حاكم وآخر . وقد حاولت الدولة مقاومة الانهيار الذي تغذى من التدخل الاوروبي ، « بالاصلاح والتحديث » . فأرسلت البعثات التعليمية إلى اوروبا لتعلم اللغات الاجنبية من فرنسية وايطالية . كما اسُتخدم الأساتذة الأجانب في التعليم . ونشطت حركة الترجمة لمختلف العلوم إلى اللغة التركية . ولم يكن توافد الارساليات والبعثات الأجنبية هو السبب الوحيد لاندفاع المسؤولين نحو « الاصلاح » في الميدان التربوي ، فقد شكلت « حركة التحديث » التي نشطت في مصر على يد محمد علي حافزاً آخر ، لما مثلته من تهديد حقيقي لنفوذ الدولة ووحدتها . ففي سوريا سعى ابراهيم باشا ، اتباعاً لسياسة والده ، إلى انشاء المدارس الابتدائية الحديثة على النمط الأوروبي ، التي عرفت باسم « المدارس الجهادية » . واصدر أوامره بعدم ترقية الجنود ما لم يتعلموا القراءة والكتابة . وعين رواتب شهرية لابناء الجنود الذين التحقوا بالمدارس[2] . في هذه الفترة كان التعليم الرسمي

(١) حثت مقررات مجمع اللويزة أيضاً على تعليم الاحداث القراءة والكتابة في السريانية والعربية . . وعلى التأليف في العربية ، او الترجمة من اللاتينية الى العربية على الأقل . . (راجع الصليبي . المرجع السابق . ص ١٦٤) .

(*) المرجع السابق . ص ١٦٧ .

(٢) فكتوريا خزامي . المرجع السابق ص ٧ .

العثماني يقتصر في لبنان كما في سائر المناطق السورية ، على نمط التعليم القديم في الكتاتيب . ولم يبدأ تنظيمه فعلياً إلا بموجب نظام المعارف الذي صدر عام ١٨٦٩ . وبموجب هذا النظام قسمت الدراسة إلى خمس مراحل . لكن الكتاتيب بقيت رغم ذلك على حالها ولم تندثر إلا تدريجاً وفي فترة متأخرة نسبياً عن ذلك التاريخ . وقد يرجع ذلك إلى عدم التدخل الرسمي في شؤونه ، وهي سمة حافظ عليها الكُتَّاب الاسلامي منذ قرون .

الكتّـاب :

تعود التسمية إلى فعل الكتابة وتعلمها ، أو إلى مكانها . لذا اطلق عليه في بعض الاحيان اسم « مكتب » . وقد عُرف هذا النمط من التعليم ، كما تروي بعض المصادر التاريخية منذ آلاف السنين[١] . ومنذ فجر الدعوة الاسلامية ارتبط الكتّاب بتعليم القرآن اولاً ، ومبادىء الصرف والنحو والكتابة ثانياً ، لضرورتها في ذاك التعلم . وقد اختلفت بعض مواد التدريس في الكتّاب باختلاف الامصار الاسلامية ، إلا أنها حافظت جميعاً على طابعه الديني القرآني .

أما طريقة التعليم والتأديب في الكتاب فلا تختلف عنه لدى المسيحيين ، وكذلك شكله الذي اتسم بالبساطة ، فهو في غالب الأحيان غرفة صغيرة قرب المسجد ، أو في بيت المعلم ، حيث يتربع الطلاب على الحصير أو على جلود المواشي . وتمتد فترة الدراسة من ثلاث إلى اربع سنوات يُعلن بعدها « تخرج » الطالب وختمه للقرآن ، ويلي ذلك احتفال خاص يشارك فيه اهل الطالب ورفاقه ومعلمه الذي يحظى بهدية خاصة .

ويمكن القول أن كتاتيب القرى تستقبل الاولاد في سن متأخرة نسبياً عن كتاتيب المدن . فالأولى يأتيها هؤلاء بين السابعة والثامنة ، والثانية بين الرابعة

---

(١) د. ملكة أبيض . التربية والثقافة العربية ـ الاسلامية . دار العلم للملايين . بيروت ص ٢٤١ .

والخامسة . كما تفتح كتاتيب القرى أبوابها في فصل الشتاء ، حتى لا يتعارض ذلك مع اعمال الفلاحة التي يشارك بها الأولاد مع اهاليهم في فصلي الربيع والصيف[1] .

هذه المواصفات العامة للكتّاب لم تشذ عنها الكتاتيب في سوريا ولبنان هدفاً وضموناً[2] .

مراحل الدراسة :

أما نظام المعارف الذي قسم مراحل الدراسة إلى خمس فكانت كما يلي :

١ ـ المرحلة الابتدائية : وتشمل مدارس القرى . حيث التعليم فيها الزامي ومدته اربع سنوات . تتضمن مناهجها العلوم الدينية والقراءة والكتابة باللغة التركية .

٢ ـ المدارس الرشدية : مدة الدراسة فيها اربع سنوات . تشمل مناهجها العلوم الدينية واللغة التركية ومبادىء اللغتين العربية والفارسية .

٣ ـ المدارس الاعدادية : مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات . تؤسس في مراكز الأقضية التي يتجاوز عدد سكانها ألف بيت . يخصص لها ستة معلمين يحملون شهادة من دار المعلمين مع مساعديهم . تدرس فيها الفرنسية والتركية وتغيب اللغة العربية عنها .

٤ ـ المدارس السلطانية : تستقبل طلاب المدارس الاعدادية . والدراسة فيها قسمان :

قسم عال يتفرع إلى شعبتين : الآداب والعلوم ومدته ست سنوات . وقسم عادي مدته ثلاث سنوات . تغيب العربية ايضاً عن مواد التدريس .

---

(١) عبد العزيز محمد عوض . الادارة العثمانية في ولاية سوريا . ١٨٦٤ ـ ١٩١٤ . دار المعارف بمصر ـ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

(٢) نعيم عطية . المرجع السابق ص ٤٧١ .

تعتبر هنا المدارس اعلى مراحل التعليم في ولاية سوريا . أما من اراد متابعة تحصيله فعليه الالتحاق بمدارس استانبول العالية .

٥ ـ المدارس العالية : تشمل دور المعلمين ودار الفنون في استانبول . مدة الدراسة في كل فرع ثلاث سنوات . يحق للطالب بعد الانتهاء منها أن يعلم في المدارس الرشدية[(١)] . . .

إلا أن هذا التنظيم لم يؤد مباشرة إلى زيادة عدد المدارس الحكومية . ولم يرفع من شأن التعليم « فالزاميته لم تكن أكثر من حبر على ورق . ومجرد نظام اقتبس من الانظمة الغربية . . »[(٢)] ولم يتسع عدد المدارس إلا في أواخر العهد العثماني وفي مناطق دون أخرى . ففي سوريا « بقيت المدارس في حالة يرثى لها ، وهي ليست على شيء من العلم والتعليم . . ومن المؤسف أن المعلمين فيها ليسوا على شيء من علم تربية الأطفال ومعرفة طرق التعليم . . »[(٣)] .

اذن لم تفلح الجهود الرسمية التي بذلتها الدولة العثمانية لتبديل الوضع التعليمي وجعله افضل حالاً ، رغم محاولة التنظيم والاكثار من المدارس . وقد ترافق ذلك مع تركيز على تعليم اللغة التركية وتغييب للعربية عن مواد التدريس ، واقتباس للنظم الأجنبية وللغاتها الاوروبية ، ظناً أن ذلك كله يشكل سداً بوجه القوى والبعثات الأجنبية التي ملأت مختلف أراضي الدولة . كما لجأت إلى اسلوب آخر في المواجهة « فمنعت ارسال اطفال المسلمين إلى مدارس المبشرين قبل أن ينهوا التعليم الابتدائي في المدارس الرسمية . . »[(٤)] إلا أن الأمر لم يؤت ثماره خاصة وأن المسلمين أوجسوا خيفة من تغييب اللغة العربية واستبدالها بالتركية . هذا بالاضافة إلى أن تشتت اماكن التعليم ،

---

(١) نقلنا بايجاز هذه المعلومات حول مراحل الدراسة ، عن عوض محمد عبد العزيز . المرجع السابق . لمزيد من التفصيل حولها يراجع فصل التعليم . ص ٢٥٢ ـ ٢٦٨ .

(٢) عوض . المرجع السابق . ص ٢٥٥ .

(٣) المرجع السابق . ص ٢٥٦ ـ ٢٦٠ .

(٤) خالدي وفروخ . التبشير والاستعمار في البلاد العربية . المكتبة العصرية . بيروت . ص ١١٧ .

وعدم اجتماعها في منطقة واحدة ، وحصر التعليم العالي في استانبول ، كان يمنع ، عملياً ، اغلب التلاميذ من متابعة تعليمهم العالي ، باستثناء من تسمح له موارده المادية بذلك .

في هذه الفترة التي ارتبكت فيها سياسة الدولة العثمانية ولم تفلح في رفع الشأن التعليمي ، تكثف حضور الارساليات المختلفة في سوريا ولبنان ، ولم تستطع الدولة صد هذه البعثات أو منع قدومها . أما المسلمون فقد « امتنعوا عن ارسال اولادهم إليها لأنها تنشر الفكر المسيحي والثقافة الأجنبية وتمهد للسيطرة الأجنبية . . »[1] لذا لم يجدوا سبيلاً ، أمام هذا الواقع ، سوى التوجه لبناء جمعياتهم ومدارسهم التي تصون دينهم وتحفظ لغتهم من تهديد المدارس التبشيرية واهمال الدولة العثمانية .

التعليم عند المسلمين

تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت :

يشير البيان التأسيسي لهذه الجمعية الى الاجواء التعليمية العامة التي بدأت تنتشر عقب توافر الإرساليات ، ومعاناة المسلمين منها ومن المدارس الرسمية كما أسلفنا، ففي معرض ذكره لأسباب نشوء الجمعية يقول البيان « . . . لا يخفى على كل ذي بصيرة من ابناء الوطن انه منذ مدة ليست بقصيرة اخذت الطوائف المختلفة الموجودة فيه تؤلف جمعيات خيرية تقوم بمصالحها اللازمة كافتتاح مدارس للذكور والاناث . . . واستحضرت لها معلمين بارعين ووجهت خواطرها في الدرجة الأولى إلى تعليم اولادها لغات الاجانب . . . ولما كانت تلك الجمعيات طائفية محضة كانت اعمالها الخيرية أيضاً قلما تتخطى دائرة طائفة غيرها اما الطائفة الإسلامية فإنها كانت غافلة عن ذلك نحو خمس عشرة سنة مقتصرة من المدارس على بعض زوايا مهجورة . . وبقيت محرومة

---

(١) خالدي وفروخ . المرجع السابق ص ١١ .

من الفوائد التامة بالمدارس الملقبة بالعمومية لأن مبادىء تعليمها لا توافق المشرب الإسلامي من وجوه معلومة . . . » وهكذا اتحدت الهمم الشبانية في بيروت على تأليف جمعية اسلامية خيرية فتم ذلك بالمساعدات الالهية ليلة غرة شعبان المعظم لسنة خمس وتسعين ومائتين والف من الهجرة النبوية (١٨٧٨م) على صاحبها افضل التحية اجتمعنا نحن اعضاؤها العجزة في منزل احدنا السيد عبد القادر قباني . . . وقدمنا بذلك عريضة لجانب الحكومة السنية واستدعينا مساعدتها ليحيط علمها بعملنا الخيري كما اننا بادرنا لطبع تلك التعليمات وعرضها على الحكومة والأمة . . .

« وأخذنا في اول الأمر نبحث عن الاشد لزوماً لطائفتنا فوجدنا أن احسن وسيلة لنشر المعارف فيها هو تعليم الاناث طرق التربية . . . »[١] .

بدأت الجمعية نشاطها في بيروت بافتتاح مدرسة مجانية للاناث ضمّت ما يقارب ٢٠٠ فتاة ، تلاها بعد مدة يسيرة مدرسة ثانية بلغ عدد تلميذاتها ٢٥٠ فتاة ، ثم مدرستين للذكور . اجتمع بهما من التلاميذ ما ينوف عن اربعمائة . . . ومدرستين في محلة رأس النبع مع التصميم على بناء جامع في جوارها[٢] . .

« والحقيقة أن جمعية المقاصد نمت نمواً مضطرداً في فترة رئاسة الشيخ عبد القادر قباني في ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩ . . . »[٣] إلا أن الخلافات السياسية بين الحكومة العثمانية وبين والي سوريا مدحت باشا ، في ذلك الوقت ، الذي كان يدعم الجمعية ويهتم باصلاح المدارس[٤] ، انعكس على وضع الجمعية إذ « اتهمت بأنها جمعية سياسية سرية تعمل علناً في التربية والتعليم ، مما دعا الحكومة إلى اصدار فرمان لحل جمعية المقاصد ولما يمض على تأسيسها ست

---

(١) الفجر الصادق . لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت . اعمال السنة الأولى . طبع بمطبعة ثمرات الفنون .

(٢) المرجع السابق . ص ٨ ـ ٩ .

(٣) د. حسان حلاق . جمعية المقاصد الخيرية . جريدة النهار ١١ ـ ٥ ـ ٨٣ .

(٤) عوض . المرجع السابق ص ٢٦٣ .

سنوات . . . ومن ثم الحقت بالمعارف وسميت « شعبة المعارف الأهلية » في رئاسة القاضي الشرعي عبد الله الجمال ، وذلك الفرمان كان بداية اضمحلال لدور الجمعية وتأخر مدارسها[1] . وقد تراوح وضع الجمعية منذ تلك الفترة وحتى اواخر أيام الدولة العثمانية ، وبداية عهد الانتداب الفرنسي في لبنان بين الالحاق والاعتراف بها كجمعية مستقلة .

ورغم هذا الوضع الذي اضعف الجمعية كثيراً بعد انطلاقتها بفترة وجيزة ، فإن المسلمين مؤسسي الجمعية لم يروا في الدولة العثمانية عدواً أو نقيضاً ، كما كانوا ينظرون إلى المدارس التبشيرية . بل يتوجهون إليها بالشكر « لقبولها خمسة اولاد من نبهاء تلامذة الجمعية في المدرسة الطبية المقامة في مصر . . . »[2] هذه الرغبة في تخطي « الزوايا المهجورة » اي الكتاتيب فيما يبدو ، ومواجهة سيل المدارس التي انشأتها الطوائف المسيحية أثر نشاط البعثات الإرسالية تعكس اجواء القلق التي عصفت بالمسلمين في بيروت من جراء هذا الأمر وتمسكهم بالولاء للدولة العثمانية رغم المضايقات التي تعرضت لها جمعيتهم في مراحل لاحقة والحاقها بالمعارف .

اما المسلمون الشيعة في جبل عامل : فقد عرفوا الكتّاب نفسه الذي عرفه سائر المسلمين ، حيث يُدرس القرآن الكريم ومبادىء القراءة والكتابة واللغة والحساب .

وتخلف الاجواء التعليمية التي عرفها هذا الجيل خاصة فيما يتعلق بالدولة العثمانية والارساليات الاجنبية عما كانت عليه حال المسلمين في بيروت معهما . فلقد تعرضت الحياة العلمية فيه إلى حقبة سوداء عل يد أحمد باشا الجزار والي عكا الذي اضطهد العلماء « وفتك فتكاً ذريعاً بأدبيات البلاد ومعنوياتها »[3] ، فاغلقت المدارس واقفلت معاهد العلم وانقطعت سلسلة التدريس بعد أن

---

(١) د. حلاق . المرجع السابق .

(٢) الفجر الصادق .

(٣) محمد جابر آل صفا . تاريخ جبل عامل . دار النهار للنشر . ص ١٠٦ .

تبوأت منزلة رفيعة واحرزت شهرة واسعة يقرن معها اسم جبل عامل بالاجلال والاعظام . . . »[1] . واعظم حادثة اتلفت معظم كتب جبل عامل هي حادثة الجزار فقد نقلت منها الاحمال الكثيرة الى عكا على ظهور الجمال وغيرها اياماً عديدة . . . فأوقدت بها الافران في عكا أياماً وسرق منها الكثير . . وذهب كثير من كتب جبل عامل في حروبهم مع اللبنانيين التي غلبهم فيها اللبنانيون فنهبوا واحرقوا[2] .

لكن القرن التاسع عشر ، حمل بشائر نهضة جديدة بعد موت الجزار « فدخلت الحياة العلمية في عهد آخر »[3] تميز بكثرة المدارس التي توزعت على كافة قرى جبل عامل تقريباً ، عرف منها مدرسة الكوثرية ، ومدرسة جبع ، ومدرسة حنوية ، ومدرسة بنت جبيل ، اضافة إلى مدارس مجدل سلم وشقراء وجويا وكفرة وعيناثا وانصار والنميرية والنبطية . وقد ارتبط وجود واستمرار هذه المدارس بمؤسسيها . فكانت تقفل او تتوقف حين تخطف المنية المؤسس إلى حين يتولى فاضل آخر أو عالم جليل متابعة المهمة وتأدية الرسالة[4] . وقد نشرت هذه المدارس معارفها وتخرج منها العلماء ، طيلة الفترة الممتدة ما بين وائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حتى بدايات القرن العشرين .

إلا أن الجمود خيم مجدداً على الحياة الفكرية والعلمية في جبل عامل وذلك يعود كما يرى بعض المؤرخين الى « الخطط السياسية التي سرى عليها الاتراك . . وبذر الخلاف بين الطوائف . . وتدمير معاهد العلم ودور الثقافة واهمال التعليم حتى البسيط اهمالاً فاضحاً . . »[5] فلم يبق في جبل عامل من ادناه الى أقصاه ما يقال له مدرسة دينية ولم يبق فيه طالب واحد من طلاب العلوم الدينية ومن يريد طلب العلم الديني من أهله يذهب إلى النجف

---

(١) المرجع نفسه . ص ٢٤٠ .

(٢) السيد محسن الامين . خطط جبل عامل . الدار العالمية . ص ١٩٢ .

(٣) آل صفا . المرجع السابق ص ٢٣٩ .

(٤) يمكن العودة الى تفاصيل هذه المدارس وتاريخها في آل صفا . المرجع السابق من صفحة ٢٣١ الى ٢٥٢ وفي خطط جبل عامل . المرجع السابق من صفحة ١٨٢ الى ١٩٥ .

(٥) آل صفا . المرجع السابق ص ٢٧٢ .

بالعراق . . . وانشىء في جبل عامل مدارس عصرية ، وكتاتيب بعضها اهلية وبعضها على نفقة الحكومة . . .[1] .

ولم يتقدم هذا الوضع في ظل الانتداب الفرنسي الذي خيم على المناطق اللبنانية ، بل ازداد سوءاً خاصة وان علماء جبل عامل واهله وقفوا موقفاً متشدداً رافضاً للفرنسيين وقاوموهم باشكال مختلفة . فلم يحظوا « بنعمة » هذا الانتداب و« بركاته » . وقد استمر هذا الاهمال المتعمد في « دولة لبنان الكبير » التي رفض العامليون في بداية الأمر الانصياع للانضمام اليها والانفصال عن الوحدة الكبرى التي تمسكوا بها . وقد كانت تلك الفترة بداية عهد للارساليات الاجنبية في تلك المنطقة ، بعد نشاطها المبكر قبل عشرات السنين في جبل لبنان وبيروت .

اما الدروز فلم يكن وضعهم التعليمي متميزاً ، أو أفضل حالاً من الطوائف الإسلامية الأخرى . ولم يعرف عن مدارسهم الشيء الكثير . باستثناء ما يذكر عن مدرسة عبيه التي اصبحت اليوم دار الحكمة . « ففي مطلع سنة ١٨٦٢ تقدم سعيد بك تلحوق وكيل الطائفة الدرزية في مجلس وكلاء الطوائف الكبير من داوود باشا مبيناً حاجة طائفته للمدارس . . مشيراً الى امكانية تحويل « خلوات » الشيخ احمد امين الدين في عبيه الى مدرسة تدعى المدرسة الداوودية اعترافاً بفضل المتصرف واهتمامه « بتقديم جميع الطوائف وتمدينها . . » . . فاستصوب المجلس رأي وكيل الطائفة »[2] وأقر الاقتراح مفصلاً سير عمل المدرسة وادارتها . وهكذا انشئت المدرسة الداوودية في قرية عبيه « لأنها متوسطة بين قرى الطائفة . . . »

يسمح لنا هذا الايجاز للوضع التعليمي الرسمي والاهلي أن نتبين الملاحظات التالية :

ـ انتشاراً للكتاتيب الرسمية العثمانية والأهلية وتشابهاً في بساطة شكلها

---

(١) خطط جبل عامل . المرجع السابق ص ١٨٦ .

(٢) اسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفية . دار النهار . بيروت . ص ١٠٨ .

واهدافها وطبيعة مضمونها الديني لدى الطوائف المسيحية والإسلامية . وذلك كسمة عامة مشتركةٍ من سمات التعليم حتى منتصف القرن التاسع عشر .

- تمايزات عامة بين الطوائف على الصعيد نفسه . فقد بقيت مدارس الموارنة حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، رغم تحول عدد كبير من الأديرة إلى مدارس ، لا تفي بالمطلوب . وتلخص هاتين الشهادتين لبعض الراغبين في العلم في تلك الفترة واقع الحال المذكور ، يقول الأول : « كان التعليم ، في ذلك الوقت ، يعتبر خطراً . وكان صعب المنال ، حتى لأشد الراغبين . . . وكانت قراءة العربية البسيطة. بحد ذاتها ، صعبة المنال . . . اما الآخر فيتذمر حوالي عام ١٨٤٩ من أن ابناء قريته كانوا عمياناً من شدة الجهل »[١] اما المسلمون ، في الفترة نفسها ، فكانوا اكثر الماماً بالقراءة والكتابة نظراً لارتباطهم الوثيق بالقرآن الكريم وما يفرضه هذا الارتباط من معرفة بالقراءة والكتابة . ويؤكد ذلك الدكتور الصليبي بقوله :

« من الخطأ القول ، اذن ، بأن قيام المدارس المارونية في لبنان ، قبل القرن التاسع عشر، ادى إلى تعميم العلم والمعرفة في البلاد . . . كان الجهل سائداً في مناطق الجبل ، حتى بين طبقة الاعيان من نصارى ودروز . . . وكان الالمام بالقراءة والكتابة اوسع انتشاراً بين مسلمي بيروت وصيدا وطرابلس ، وذلك بفضل الكتاتيب التي استمرت تعلم الصبية قراءة القرآن . وكان في المدن الثلاث وخصوصاً في طرابلس علماء مسلمون يدرسون الفقه وبقية العلوم الإسلامية التقليدية لفئة صغيرة من المريدين ، كما يفعل علماء الشيعة في جبل عامل »[٢] . **هذا الإلمام الأوسع بالقراءة والكتابة عند المسلمين قياساً الى سيادة الجهل لدى المسيحيين اصابه التحول طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وامتداداً حتى عهد الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان** . ولم يكن ذلك التحول نتيجة نمو داخلي طبيعي ، أو انكفاء ذاتي ارادي ، ادى الى زيادة المدارس هنا ، وقلتها وضمورها هناك ، بل كان تعبيراً عن العلاقات الجديدة

---

(١) الصليبي . المرجع السابق . ص ١٦٦ .
(٢) الصليبي . المرجع السابق ص ١٦٥ .

بين اليسوعيين والموارنة، وعن الدعم الفرنسي « والحماية » التي ظللت مسيحيي الشرق(*) . ولم يقتصر الأمر على انتشار المدارس المسيحية ، بل تحولت البرامج فيها ، اثر هذه المتغيرات ، لتصبح على غرار تلك المعطاة في المدارس اليسوعية والفرنسية . ففي مدرسة الحكمة مثلاً التي تأسست في بيروت عام ١٨٧٦ اصبحت الفرنسية لغة رئيسة ، بعد أن كانت تدرس العربية والانكليزية والتركية والسريانية والفرنسية . ويؤكد هذه الحقيقة Villeneuve بقوله : « أن برامج المدرسة هي نفس برامج اليسوعيين في بيروت والعازاريين في عينطورة . . . والفرنسية هي اساس التعلم ، يُجبر التلامذة على التحدث بها اثناء الفرصة . . حتى مدير المدرسة أيضاً كان رجل دين فرنسي »[١] . وحتى المدارس « العلمانية » أو « الوطنية » « كانت تدافع أيضاً عن قضية الثقافة الفرنسية بطريقة لا مثيل لها »[٢] .

ـ هذه التحولات في مضامين البرامج واللغة، هي مؤشرات التداخل والتأثير المتبادل بين التعليم والأوضاع السياسية والاجتماعية . **ضمن هذا الاطار كان القرن التاسع عشر محطة تجاذب للموارنة بين صلتين وانتماءين** . نلحظهما اساساً من خلال التحول التعليمي الذي اشرنا اليه . الصلة الأولى والانتماء

(*) راجع فصل اليسوعيون في سوريا ولبنان .

(١) villeneuve . المرجع السابق ص ٢٤٤ .

(٢) هذا ما يؤكده بول هوفلان معدداً اسماء تلك المدارس :

مدارس المرحلة الابتدائية : مدرسة صبح في جزين . ومدرسة الآنسة نجيبة . مدرسة مكاوي في انفة . مدرسة رحمة في بشري . مدرسة خازن في بيت مري . مدارس الطوائف الكاثوليكية الشرقية في طرابلس وبعلبك وزحلة وصيدا والنبطية وبيروت والبترون .

مدارس المرحلة الثانوية : الكلية البطريركية في بيروت . مدرسة زحلة . مدرسة سان لويس في غزير . مدرسة قرنة شهوان . المدرسة الداخلية في بعلبك .

عن :

paul Huvelin: Congrès français sur la syrie p.37.

ذكره سلام نواف . في

l'histoire et le rôle de l'influence et de la pénétration française et Anglo-Américaine dans l'enseignement au Liban de 1840-1914. Mèmoire de l'histoire sociale-Paris 1974.

الأول ، مع شعوب المنطقة بما هم جزء منها ، لا يميزهم عنها لغة او عادات كما اشار الى ذلك أيضاً الرحالة الاجانب الذين تعاقبوا على هذه البلاد . وقد استمرت حيوية هذه الصلة حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر . اما الصلة الثانية ، فمع الغرب ـ الخارج ، بما هو حماية ودعم سياسي وعلاقات اقتصادية وإرساليات . هذه الصلة مهدت لذلك التحول الثقافي الذي أطل برأسه منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، مع عودة اليسوعيين ، وتصاعد قوة الغرب العسكرية والسياسية وتنامي « امتيازاته » ، وضعف الدولة العثمانية . والتدخل في شؤون الطوائف المحلية ودعمها . **فتحولت هذه الصلة مع الغرب ، ورمزه فرنسا في ذلك الوقت ، إلى عنصر من عناصر القوة الذاتية الداخلية في علاقة الموارنة بالطوائف اللبنانية الاخرى .**

هكذا بدأت الفرنسية تصبح لغة أولى في مدارس الموارنة ، لتتماثل مع لغة المدارس اليسوعية ومدارس المرسلين الكاثوليك بشكل عام . وهكذا توحد الانجذاب نحو فرنسا في اللغة والفكر والانتهاء ، وبالتالي في الانفصال أو الابتعاد عن الطوائف الأخرى « والتفوق » عليها . بعد أن بات اللحاق بركب التعليم ذي الأسس اليسوعية « تميزاً » و« تفوقاً » حضارياً وطائفياً ، وغلبة سياسية تظلل من سار في ركبها ، لا من خشيَ منها وابتعد عنها .

الفصل الثالث

اليسوعيون في سوريا ولبنان

- البعثة الأولى
- البعثة الثانية

I ـ اليسوعيون وفرنسا

- مرحلة الاختلاف
- مرحلة الاتفاق

II ـ اليسوعيون بين التنافس الدولي وانعكاساته المحلية .

- دخول رأس المال الأجنبي : مدينة ليون : الاقتصاد والتبشير .
- حماية الطوائف وانتشار البعثات .

III ـ اليسوعيون والموارنة

- الطب / الوسيلة
- إعداد الاكليروس المحلي ومشكلة اللغة .
- « دونية الموارنة » وفحص عقائدهم .

IV ـ ملحق وثائق .

البعثة الأولى :

هناك اختلاف حول تاريخ وصول بعثة اليسوعيين الأولى إلى بلاد الشام ، كما كانت تسمى في ذلك الوقت . ويتراوح هذا الاختلاف وفقاً لروايات المؤرخين أو المبشرين بين سنوات **١٦٢٥** و**١٦٣٨** و**١٦٥٠** و**١٦٥٦** . كما يشمل ذلك الاختلاف الكبوشيون والسيوعيون الذين يؤكدون ، كل من جهته ، بأنه وصل قبل الآخر إلى هذه المنطقة . يقول الأب جيروم مسؤول بعثة الكبوشيين في سوريا : « إن بعثتنا هي الأولى من بين جميع البعثات والنشاطات الفرنسية التي تغطي الأرض السورية . . ففي سنة **١٦٢٥** أسس كبوشيون فرنسيون من Bretagne أماكن لهم في بيروت وحلب وصيدا ، وفي مناطق اخرى من لبنان »[١] . أما اليسوعيون فيقولون بأنهم وصلوا إلى لبنان في الفترة نفسها التي وصل فيها الكبوشيون وقد «أرسلتهم روما لفحص عقائد الموارنة وعاداتهم وكتبهم المريبة »[٢] . بينما يؤكد هنري غيز أسبقية وصول

---

(١) ذكرت ذلك: Giappesi christiane. structures communautaires et idéologie politique: au liban à L'époque du Mandal (1919-1946) thése 3eme cycle. Paris 1974- p.351.

(٢) مجلة المشرق . يصدرها الآباء اليسوعيون بإشراف الأب لويس شيخو . **١٩١٤** عدد **٥** - ص **٧٦٢** .

الكبوشيين إلى لبنان « في بداية القرن السابع عشر . . الذين ارسلتهم جمعية Bretagne »[١] .

ويبدو أن عدم الوضوح الذي يلف تاريخ وصول البعثات الأولى إلى بلاد الشام ، يعود إلى تقادم عهدها ، والتنافس بينها لتبيان عراقتها . وإلى عدم استمرارية بعضها أو انقطاعها عن العمل ، كما حصل مع اليسوعيين ، مما ولّد فجوة في تاريخها عكستها تلك الأرقام والتواريخ المختلفة .

تركز نشاط بعثة اليسوعيين الأولى في حلب . ومنها انتقلت إلى المناطق السورية الأخرى ومن بينها جبل لبنان . ولم تكن الصدفة أو « العناية الإلٓهية » كما يحاول البعض أن يوحي بذلك[*] ، هي التي دفعتهم إلى تلك البلاد . بل امران حيويان كما يرى اليسوعيون انفسهم : **أولاً** لأن « حلب نقطة إلتقاء الخطوط التجارية القادمة من الهند وفارس ، ومن آسيا المركزية ، ومن مناطق الشرق الأقصى ، وهي مركز للاسفار والمراسلات من الطراز الأول . . » ، لذا توزعت مراكزهم الأخرى أيضاً في طرابلس وصيدا « حيث المرفأين الأكثر أهمية » . وأخيراً في كسروان في جبل لبنان حيث أسسوا كلية عنيطوره[٢] .
وثانياً : « لفحص عقائد الموارنة » « وتحقيق حاجاتهم الروحية » التي يرى الأب اليسوعي اليانو، موفد روما إلى الطائفة المارونية ، « إن أكثر الوسائل فائدة لذلك هي ثلاث: أولاً ، يجب مساعدتها على تكوين اكليروسها بأن نرسل إلى روما عدداً من الشباب لتعلم الآداب الدينية . ثانياً ، إيجاد مطبعة في روما

---

(١) henri Guys
esquisse de l'état politique et Commercial
de la syrie Paris 1862. p.129.

(*) يقول جان ميليا : « في عام ١٦٢٥ طرحت العاصفة لأول مرة ثلاثة يسوعيين على الشاطىء السوري . . . فقبض عليهم بعض القراصنة وسلموهم الى الشيخ ابو نوفل الخازن ، حاكم كسروان الماروني . وقد استقبلهم هذا الاخير استقبالاً حسناً لأنهم فرنسيين ، وقدم لهم مسكناً في عينطورة . . وهكذا عرفت جمعية يسوع طريق الشرق . » (!!) .
jean Mélia. chez les chrétiens d'Orient. Paris 1929. p.84.

(٢) revue d'histoire des Missions. Tome III. 1926. p.360.

تطبع كتباً بالحروف العربية والسريانية لحاجة الموارنة إليهـا في كنائسهم ، وتحـل هذه الكتب محل الكتب المكتوبة بخط اليد وما فيها من أكاذيب دينية . ثالثـاً ، تجهيز الكنائس المارونية الفقيرة بالكؤوس والأقداح والمعدات الأخـرى ليتمكنوا من ممارسة القداس . . . بطريقة لائقة »[1].

وبناء على هذا التقريـر من الأب اليانـو ، قرر البـابا Urban أوربـانوس الثـامن انشاء مـدرسة للمـوارنة في رومـا يديـرها الآبـاء اليسوعيـون[*]. وقـد اصطحب هؤلاء عندما عادوا إلى روما. شابان مارونيـان. الأول له من العمـر خمسة عشر عاماً. والثاني سبعة عشر، لدراسـة العلوم الدينيـة . هذا التـداخل بين « فحص العقائد وتحقيق الحاجات الروحية » وبين « المدن الشهيرة والمرافىء المهمة » كان المحرك للبعثة الأولى . إلا أن الأوضـاع العامـة للعمل التبشيـري عموماً ولليسوعيين بشكل خاص ، أثر حملات النقـد والطرد التي تـوجت بقرار منـع جمعيتهم عام ١٧٧٥ انعكست عـلى مشاريعهم في سـوريا ولبنـان فغادروا هذه البلاد تـاركين مـراكزهم للمـرسلين العازاريـين . ولم يعودوا إليهـا إلا مع استئنـاف النشاط التبشيـري عام ١٨٣١ في ظـل ظروف سيـاسيـة واجتمـاعيـة واقتصادية مغايرة تماماً لظروف عمل البعثة الأولى .

البعثة الثانية :

تم التحضير لهذه البعثة عبر رحلة استـطلاعية إلى الشـرق قام بهـا الأب ريللو Ryllo والأب ريكـادونـا Riccadona ، لـدراسـة أفضـل السبـل لعـودة اليسوعيين . حمل الأب ريللو إلى روما ، بعد هذه الرحلة ، مقترحات جديـدة

---

(١) مجلة المشرق . المرجع السابق . ص ٧٦٢ .

(*) سبق ذلك ، انشاء مدرسة اكليـركية في جبـل لبنان ، في الفتـرة نفسها تقـريباً ، هـدفها اعـداد الطلاب لمتابعة الدراسـة في روما . إلا أن الـروايات التـاريخية المتعـددة « لا تتحدث عن هـذه المدرسة ، ولا حتى عن دورها فيها بعد . ومن المرجح أنه لم يكتب لهـا النمو والتـطور . (يمكن مراجعة نص الوثيقة التي تتحدث عن انشاء هذه المدرسة في كتاب : « وثائق اساسية من تاريخ لبنان الحديث » . عبد العزيز سليمان نوار . جامعة بيروت العربية ١٩٧٤ . وثيقـة رقم ١٠ . ص ٦١ - ٦٥) .

لعمل الإرساليات في الشرق ، وعمل إرسالية الدومينيكان في العراق[١]. كما ساهم في عودة اليسوعيين تقدم جيوش إبراهيم باشا من سوريا وإطلاقه لحرية الإرساليات . يروى أيضاً أن الأب مكسيموس مظلوم ساهم هو الآخر بدوره في تسهيل عودة اليسوعيين بعد اتفاق عقده مع البابا غريغوار السادس عشر ، سمح له بموجبه هذا الأخير بالعودة إلى بلاده بعد نفيه منها لاتهامه بالتعامل مع البروتستانت[٢] .

حطت بعثة اليسوعيين الثانية رحالها في لبنان وقوامها ثلاثة : الأب ريكادونا إيطالي ، والأب بلانشيه فرنسي ، والأخ هانز الماني من الهانوفر . ووصلوا إلى بيروت في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٣١ . أما هدفهم « فيختلف قليلاً عن هدف البعثة الأولى »[٣] . نظراً لاختلاف الظروف التي احاطت بعودتهم من جهة، وبنشاطهم من جهة ثانية .

عكف اليسوعيون منذ وصولهم على ممارسة التعليم وتأسيس المدارس ، واستقروا في غزير « لأنه لم يبق من مؤسسات الماضي شيء. لا كلية عينطورة، ولا كلية Ravenne، ولا حلقة St Elie في عنيطورة أيضاً. . ولهذا أصبحت غزير مركزاً للبعثة »[٤] وقد بدأوا التدريس فيها بشكل بسيط ومتواضع جداً من خلال مدرسة للغتين العربية والإيطالية[٥]. وما لبث نشاطهم أن امتد وتوسع وبدأ التعليم ينتظم. فأوجدوا عدة مدارس في بكفيا في جبل لبنان، وفي زحلة في البقاع، وكذلك في غزير في كسروان، ووصلوا إلى بيروت وصيدا ودير القمر. .

---

(١) Hajjar joseph L'Europe et les destinées du proche Orient (1815-1948) Belgique. 1970. p.229.

(٢) المرجع السابق ص ٢١٧ .

(٣) اليسوعيون في الشرق الاقصى والعالم . المرجع السابق . ص ٦٣ .

(٤) Levenq G.S.J. La nouvelle Mission de la Compagnie de jesus au Liban et en syrie- 1831- Beyrouth. 1925- p.10.

(٥) les jésuites en syrie-1831-1931- Fascicule I- séminaire Orientale. p.8.

استمر التدريس في هذه المدارس باللغتين العربية والإيطالية. الأولى لأنها لغة السكان والثانية لأنها لغة مرسلي روما. إلا أن تحولاً هاماً في علاقات اليسوعيين أدى عام ١٨٤٨ إلى أن تصبح الفرنسية لغة التعليم الأولى في مدارسهم وإلى أن تصبح البرامج فيها على غرار تلك المعطاة في فرنسا.

لم يكن هذا التحول الذي طرأ على اللغة والبرامج في مدارس اليسوعيين إلا انعكاساً لصفحة العلاقات الجديدة والطيبة، ولالتقاء الأهداف بينهم وبين فرنسا، بعد فترة خصام واختلاف دامت حوالي سبعة عشر عاماً، كانت في الوقت نفسه فترة صراع على النفوذ داخل فرنسا وخارجها، وتباين في المشاريع السياسية.

اليسوعيون وفرنسا

● مرحلة الاختلاف:

« وصل ثلاثة يسوعيين إلى بيروت.. فاستدعاهم قنصل فرنسا وعبّر لهم عن دهشته من مجيئهم إلى هذا البلد لأن اتفاقاً بين الباب وملك فرنسا يقضي بعدم إرسال يسوعيين إلى سوريا»(١).

يكشف امتعاض القنصل الفرنسي من حضور اليسوعيين ذلك الخلاف بين مواقف حكومته وبين سياسة روما. ويبدو أن للأمر أسباباً ثلاثة:

أولاً: « إن فرنسا تعتبر نفسها مسؤولة عن حماية مسيحيي المشرق أمام الباب العالي. وأن هذه المسؤولية تشكل دعماً أساسياً لقوتها في المشرق ولا يمكن لرجال الدين الذين ترسلهم روما أن يتجاوزوا هذه الحماية القانونية والعملية»(٢).

---

(١) leveng المرجع السابق. ص ٩.

(٢) Abougit-Les Nouvelles Missions de la cie de jesus en syrie.

ذكره شڤالييه دومينيك ص ٢٦١.

في كتابه: مجتمع جبل لبنان...

ثانياً : « أن الحكومة الفرنسية ترغب في أن يتولى اللعازاريون المسموح بنشاط جمعيتهم في فرنسا والتي يتولى إدارتها فرنسي أيضاً ، استئناف نشاط المرسلين . لكن هذه الرغبة لم تلق استحساناً من روما . وبدا البابا غريغوار السادس عشر أكثر حرصاً في الدفاع عن الكنيسة من إشعاع دولة ليبرالية. وقد استخدم طلب اسقف الروم الكاثوليك مكسيموس مظلوم، لإدارة حلقة دراسية لابناء طائفته بواسطة اليسوعيين ، حجة وذريعة لارسال ثلاثة يسوعيين إلى جبل لبنان »[١] .

ثالثاً : موجة العداء القوية لليسوعيين في فرنسا . « ففي تلك الفترة هوجمت منازلهم ودمرت. واضطر الآباء للاختباء خارج الحدود في أماكن آمنة»[٢] .

وبالرغم من العداء اليسوعي الفرنسي المشترك للبروتستانت الذين ينشطون بين المسيحيين ويهددون النفوذ المباشر لكليهما، فإن وجهات النظر لم تتوحد وبقي لكل منهما مشروعه السياسي الخاص به. ففرنسا تدعم محمد علي باشا. ولها في الوقت نفسه علاقات طيبة مع موارنة لبنان باسم الصداقة التاريخية بينها وبينهم . أما اليسوعيون فاتجهوا نحو إقامة دولة مسيحية مارونية. ولهذا السبب كانوا مستاءين من رؤية القنصل بواريه Boireé يقيم باسم ملك فرنسا ، علاقات مباشرة مع الاكليروس الماروني الذي كان جاهلاً بنظرهم ، ويجب أن يبقى تحت وصايتهم ، ويمنع من أي علاقة مع الحكومة الفرنسية . إلا أنهم لم يفلحوا في تحقيق رغبتهم بسبب الضغط الذي مارسته الحكومة الفرنسية والرفض الذي واجههم به الموارنة آنذاك « فلم يزدهم هذا الفشل الا تصميماً . وعندما غادر Boireé بيروت كثفوا نشاطهم وأكدوا على موقفهم من الدولة المسيحية . وطالبوا باستعادة كلية عنيطورة التي انتقلت إلى أيدي العازاريين . وقام الأب Ryllo بتحريض الفلاحين الموارنة للثورة من أجل دولة

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦١ .

(٢) guichard المرجع السابق . ص ٩٥ .

مسيحية . . واتهم الحكومة الفرنسية بمساندة الباب العالي ضد المسيحيين»[1] .

كما لجأوا لمواجهة الضغط الفرنسي ، إلى الاتصال بالنمسا كقوة كاثوليكية تواجه قوة فرنسا ونفوذها ، وتؤمن لهم الحماية اللازمة. وقد كتب القنصل الفرنسي الجديد دي ميلواز Deméloize رسالة عام ١٨٣١ إلى السفير الفرنسي في القسطنطينية ، تعبر بوضوح بالغ عن هذا الصراع اليسوعي الفرنسي ، وتلخص جوهر المواقف والسياسات المتناقضة بينهما . يقول « . . . لقد امتنعت لغاية الآن عن البحث في أمور اليسوعيين والتعرض لمواقفهم غير الوطنية . . وأجد الآن أنه لا مفر لي . . من إبداء رأيي بصراحة فاقول أن مصلحة فرنسا وسلامة نفوذها تقتضيان سحب جميع المرسلين اليسوعيين من هذه البلاد . أو على الأقل استدعاء الأب ريللو الذي قام في أيام الثورة وما زال يقوم اليوم بنشاط معاد لفرنسا ولسياستها ومصالحها . أن اليسوعيين ينفثون سم القلق في نفوس اناس هنا فطروا على الشغب وحمل السلاح . . يعلم اليسوعيون أنه لا يمكن لحماية الملك أن تتأرجح بينهم وبين العازاريين. وهم لهذا السبب مستاءين من العازاريين الذين يشغلون في سوريا ، المناطق والمراكز التي كانوا يرغبون هم بالتواجد فيها لتطوير مؤسساتهم وإعلاء شأن جمعيتهم .

إلا أنه لا يمكن تحقيق ذلك إلا بعيداً عنا ورغماً عنا . إنني متأكد من أن مؤسسات مرسلينا، والآمال التي تعلقها عليهم حكومة الملك ، والنفوذ المرتجى، كل ذلك لن يتحقق طالما سيبقى اليسوعيون في بيروت وبكفيا . وفي كل مرة كنا نحاول القيام بعمل لا يستسيغونه كانوا ينفصلون عنا ويخلقون لنا العراقيل . أخيراً علينا أن نبعد من البلاد السورية أو على الأقل من لبنان ، جمعية تحتقر العازاريين وفرنسا، وتزرع التفرقة خلفنا، وتحاول دائماً مهاجمة مشاريعنا. أما ادعاء اليسوعيين هنا بأنهم يزاحمون الاميركيين فقد بات بدون أساس، لان الأرثوذكس الذين كانوا لا يطلبون العلم إلا عند المبشرين الأميركيين قد ارتدوا عن ذلك وانشأوا لهم مدرسة خاصة. واعلن رؤساؤهم

(١) عادل اسماعيل . اميل خوري . السياسة الدولية في الشرق العربي . الجزء الرابع . ١٩٦٠ - ص ١٩ - ٢٠ - ٢١ .

الدينيون أن كل رب عائلة ارثوذكسية يضع أولاده في مدرسة بروتستانتية يعتبر خارجاً على دينه ومحروماً »[1].

استغلت النمسا في غمرة الصراع الدولي على النفوذ هذه العلاقة المتوترة بين اليسوعيين وفرنسا ، فلبّت حاجتهم للحماية من « منطلق كاثوليكي » سراً وعلانية . وأعلن ممثل النمسا في لبنان أن دولته تحمي اليسوعيين في مشاريعهم الإرسالية والسياسية والتربوية . كما قدمت حكومة فيينا عام ١٨٤١ إلى الأب « ريللو » خاتماً ثميناً كان يحمله دائماً ليبرهن أن النمسا تحميه « وأن اليسوعيين سيبقون في لبنان ، وأن سياستهم لن تتغير رغم معارضة القنصلية الفرنسية، لأن امبراطور النمسا يدعمهم دعماً غير مشروط »[2].

وقد ازدادت حدة التنافس الدولي حول دعم الإرساليات وتأسيس المدارس ، الخاصة بكل دولة أو قوة أوروبية ، ولم يكن الخلاف اليسوعي الفرنسي بمنأى عن ذلك، بل كان الأمر يزداد بسببه حدة وافتراقاً لأنه بات واضحاً لكلا الطرفين « إن السيطرة على المدرسة تعني السيطرة على الشبيبة وجذب النخبة في أقصر مدة ممكنة. ومن يمسك النخبة يمسك الجماهير ». وبسبب هذا الوضوح انفجر الصراع بشكل حاد عند تحقيق أول مشروع لليسوعيين وهو تأسيس كلية في بيروت . فقد خشيت حكومة فرنسا أن تتجاوز هذه الكلية ، كليات العازاريين في عنيطورة والكبوشيين في بيروت ، وأن تكون محصلة عمل اليسوعيين ونفوذهم في اتجاه مضاد لنفوذ فرنسا . لذا يقول القنصل الفرنسي Cochelet :

« كان كل شيء هادئاً في بيروت ، وكان لقنصل الملك افضل العلاقات مع السلطات التركية . لكن المرسلين اليسوعيين في بكفيا يرغبون أن يبنوا في سوريا ، وفقاً لرغبة البابا كما يزعمون ، كلية ومدرسة للفنون والمهن ومزرعة نموذجية . . لكن تنفيذ المشروع لا يناسبنا . لأن التعاطف مع اليسوعيين ليس

---

(١) عادل اسماعيل ـ المرجع السابق . ص ٢١ ـ ٢٢ .
(٢) المرجع السابق . ص ٢٢ ـ ٢٣ .

تعاطفاً معنا ؛ وعلينا أن ندعم جمعية العازاريين بكل نفوذنا»[١].

مرحلة الاتفاق

خشيت فرنسا بعد ثبات اليسوعيين في مؤسساتهم واقترابهم من النمسا، وتقدم المرسلين البروتستانت نحو بيروت ونشاطهم الملحوظ فيها، من تهديد حقيقي للنفوذ الفرنسي الكاثوليكي. وبات القلق من فقدان جمعية يسوع هاجساً من تحولها هي الأخرى إلى قوة معادية. فلجأت فرنسا أمام تضافر هذه العوامل الى تبديل سياستها مع اليسوعيين، خاصة وأن هؤلاء اكدوا للعازاريين وللقناصل الفرنسيين بأن مدارسهم لا تستهدف منافسة العازاريين. وبأنهم لن يقبلوا في مدرستهم الاكليركية في غزير إلا الأطفال الذين انهوا دراستهم في عنيطورة. وعقدت فرنسا اتفاقاً مع روما، تمّ بموجبه تسوية تنظيم توزيع مدارس اليسوعيين في لبنان «لكي لا يصبح النشاط اليسوعي منافساً، بل متمماً»[٢]. ولم تر فرنسا، بعد ذلك في اليسوعيين قوة معادية، بل رسل حضارة تتوافق مع المصلحة الفرنسية». يقول القنصل بوارييه عام ١٨٤٢: «.. أصبحت مصالحنا هنا مرتبطة بكل ما يمكن أن يقدم بذوراً للحضارة، إذا لم تكن اليد التي تنشر هذه الحضارة معادية لنا مباشرة، فإن الإيجابيات تزيد على السلبيات.. إن السؤال ليس في معرفة إذا كان اليسوعيون سيبقون، ولكن السؤال أين وكيف؟». لبّى اليسوعيون هذه الرغبة الفرنسية، وانتقلوا بعملهم من التحريض والتشويش على فرنسا إلى طليعة المدافعين عن «القضية الفرنسية» ولم يعد سراً في الشرق «خصوصاً في سوريا فلسطين إن رجال الدين أساساً، بمؤسساتهم المدرسية، هم الذين رفعوا إلى أعلى درجة النكرة الفرنسية»[٣]. وكان من الطبيعي أن يجد كل من اليسوعيين

---

(١) رسالة من القنصل الفرنسي cochelet الى غيزو في ٢٥ ك٢ (يناير) ١٨٤١. ذكرها hajjar في المرجع السابق. ص ٥٦٧.
(٢) شوفالييه المرجع السابق ص ٤٦.
(٣) jean Mélia المرجع السابق ص ٢٨.

والفرنسيين مصلحته في هذا الاتفاق « . . فهو حقل جديد نفتحه لنشاط المرسلين ، وفي الوقت نفسه أن الناس الذين تكسبهم كل جمعية يشكلون انصاراً متفانين في سبيل مصالحنا، يمكننا أن نمارس عليهم حمايتنا الرسمية أو على الأقل وصايتنا»[١] .

اليسوعيون بين التنافس الدولي وانعكاساته المحلية

اشتد التصارع بين القوى الأوروبية الاستعمارية استعداداً لوارثه « الرجل المريض » كما أطلق على الدولة العثمانية في أواخر أيامها ، بعد أن دبت في عروقها أعراض الضعف والوهن التي ساهمت هذه القوى في تكوّنها على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية . واحتدم التنافس على سوريا لأنها تشكّل بالنسبة لفرنسا مثلاً « بموقعها الجغرافي بين آسيا الصغرى ومصر ، مركز هذه الامبراطورية ، لابل قلبها . كما تحمل في داخلها إمكانية لتلك الحياة التي انحسرت عن اطراف هذا الجسم الكبير . . »[٢] وبالنسبة للسفير البريطاني في القسطنطينية عام ١٨٦٠ : « قاعدة لكل الفتوحات الشرقية ، وحلقة وصل بين أفريقيا وآسيا » .

وقد توج هذا الصراع والتنافس بالاحتلال العسكري المباشر لاراضي ودول « الأمبراطورية »، بينما كانت تلفظ انفاسها الأخيرة . وتقاسمت انكلترا وفرنسا المناطق العربية فيها . فاحتلت الأولى عدن والعراق والسودان وفلسطين وشرق الأردن ، واحتلت الثانية الجزائر والمغرب ، وتونس وأخيراً سورياً ولبنان في نهاية الحرب العالية الأولى . وقد مهدّ لهذا الاحتلال المباشر « امتيازات » عدة اقتصادية ، وتجارية ، وسياسية ، حصلت عليها الدول الأوروبية على

---

(١) villeneuve H.Les écoles françaises et etrangéres en syrie. In revue des Universités du Midi. Tome III. No2- 19emé année. 1897 p.209.

راجع ترجمتنا لهذا المقال في مجلة الفكر العربي الصادرة عن معهد الانماء العربي في بيروت عام ١٩٨٠ ، عدد ٢١ . بعنوان « المدارس الفرنسية في سوريا في نهاية القرن التاسع عشر » .

(٢) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية - مراسلات القناصل السياسية - تركيا بيروت . مجلد رقم ٢ - (راجع نص الرسالة كاملاً في ملحق الوثائق) .

فترات متلاحقة منذ القرن السادس عشر وسمحت لها بالتدخل والحماية في بادىء الأمر ، وبالاحتلال والتقسيم فيما بعد .

« وكان من نتيجة تطبيق هذه الامتيازات . . أن وصلت بنا إلى الحد الذي أصبح فيه تجار الدول الأوروبية يشكلون مع قنصلياتهم جاليات قوية تتمتع بسلطات مستقلة عن السلطة العثمانية المحلية . وتشكل عملياً « دولاً داخل الدولة »[١] .

ولم تكن الهيمنة التجارية وحدها ، التي أتاحتها هذه « الامتيازات ، هي التي مكنت الدول الأوروبية من التغلغل والتدخل في شئون الدولة والطوائف والقوى الاجتماعية المختلفة . فقد كان لانتشار الإرساليات التبشيرية والبعثات التعليمية رغم تصارعها فيما بينها ، دوراً لا يقل أهمية على الاطلاق عن وظيفة « الامتيازات » بل يفوقها خطورة نظراً للطابع « الإنساني » « والحضاري » الذي يلف نفسه به . وقد سار هذان الأمران جنباً إلى جنب يرفد أحدهما الآخر سراً وعلانية ، فها هي فرنسا تعمد كي تحتل سوريا في الوقت المناسب إلى سلوك اتجاهين : « اتجاه ثقافي يقوم على نشر اللغة والثقافة والتاريخ والحضارة الفرنسية، واتجاه اقتصادي من خلال الحصول من الباب العالي على امتيازات اصلاح مرافىء أزمير وبيروت وإنشاء الطرق الحديدية في سوريا »[٢] .

وكذلك فعلت سائر الدول ، فتنافست البعثات التي أرسلتها « لكسب الناس وتثقيفهم » فيما بينها « وأدركت كل دولة من الدول الست الكبرى ذات المطامع الشرق أوسطية أن إحدى أهم الوسائل لتكوين جماعة لها في الشرق هو في انتشار التعرف على لغتها»[٣] هكذا نجح المشروع الأوروبي الاستعماري لا

---

(١) weinstock N:Le Mouvement revolutionnaire arabe. page 22.
ذكره :
د. وجيه كوثراني في الاتجاهات الاجتماعية ـ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ـ ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠ معهد الانماء العربي . بيروت ١٩٧٦ . ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) عادل اسماعيل . المرجع السابق . الجزء الرابع . ص ١١٦ .

(٣) villeneuve ، المرجع السابق ص ٢١٠ .

في تقسيم السلطنة وحسب، بل وفي تحويلها إلى دول وكيانات تدعمها هذه الدولة الأوروبيـة أو تلك . وإذا كان النجـاح في التفتيت قد نهض عـلى اكتاف تغلغل ثقافة التبشير والالحاق الاقتصادي ، فـإن خصوصيـة المناطق والـطوائف التي تعرضت لكل ذلك لعبت دوراً هاماً أما في رفضه ومعاندته وإما في التهليل له وتحويله إلى صراعات اجتماعية ومذابح طائفية وولاءات سيـاسية وثقـافية . ضمن هـذه الحالـة من التفتيت ، والتدخـل ، والخصـوصيـة ، أعلن الجنـرال الفرنسي « غورو » ولادة « دولة لبنان الكبـير » عام ١٩٢٠ بعـد اقتطاع منـاطق من سوريا وضمها إلى جبل لبنان . وكان من الطبيعي أن يتم ذلك ، وفي إطار المشروع الاستعماري العـام ، بعد اعـداد طويـل كانت ركيـزته الأسـاسية تلك البعثـات الدينيـة التعليمية التي احتـل اليسوعيـون موقـع الريـادة فيها ، حيث يتـداخل معهـا ويكملها دخـول رأس المـال الأجنبي وسيـاسـة حمـايـة الـطواف ودعمها .

ـ دخول رأس المال الأجنبي ، مدينة ليون : الاقتصاد والتبشير

إزدادت حاجة فرنسا في منتصف القرن التاسـع عشر إلى خيـوط وشرانق الحـرير ، فتـأسست بين ١٨٤٠ ـ ١٨٥٠[*] في جبـل لبنان ، المـأهـول بشكـل أساسي بالموازنة ، خمس حلالات حديثة فرنسية ، أو تعمل برأسمال فرنسي ، كذلك دفع ازدياد الـطلب الفرنسي لخيـوط وشرانق الحـرير إلى زيـادة المساحـة المزروعة توتاً على حساب زراعات اخرى (زيتون ـ تبع ، خضار . .) وأدى إلى نوع من تخصص زراعي لجبل لبنان . . »[١]. وقد كانت مدينة ليون الفـرنسية مركزاً رئيسيـاً لشراء هـذا الحريـر ، لذا تقـاطرت الأمـوال الليونيـة لدعم تلك الصناعة وتوسيع مرفأ بيروت وإقامة سكة الحديد ، وسيطر تجارهـا على صنـاعة الحرير السـوري من خلال القـروض الطويلة الأمـد ، وبالإضـافة إلى الشبكـة

(*) اي بعد تسع سنوات على مجيء بعثه اليسوعيين الثانية عام ١٨٣١ .

(١) chevallier D.«aux origines des troubles agraires libanaise en 1858. Annales (E.S.C) XIV 1959. p.35-64.

ذكره كوثراني المرجع السابق ص ٤٨ .

الصناعية والمالية المتمركزة في ليون، « كان هناك شبكة اخطبوطية من نوع آخر هي شبكة البعثات التبشيرية والجمعيات الدينية . . وكان للشبكتين تقليد عريق في تنسيق نشاطهما ، وهذه احدى السمات الأساسية للشخصية الليونية التي يرتبط فيها الربح « بعمل الخير » والحياة الدينية بالمصالح المادية » . . وهكذا ، بعد أن ولد طريق الهند ـ ليون نتيجة متطلبات تجارة الحرير ، اصبحت لسوريا ، بالنسبة لهاتين الشبكتين ، أهمية مركزية »[١] .

وفي هذا الوقت بالذات ، الحقت بعثة يسوع في سوريا بأقليم ليون » Province de Lyon الذي كان نشيطاً جداً في فرنسا . هكذا اصبحت ليون « مركزاً لنشاط روحي واقتصادي موجه نحو سوريا » . ووجد التجار « الليونيون» في بيروت نخبة تجارية ذات تعليم فرنسي . . ضمن هذا الإطار أيضاً يمكن أن نفهم : الترابط بين جامعة ليون وجامعة القديس يوسف في بيروت من أجل تطوير التعليم العالي ، وكذلك انشاء « الجمعية الليونية لتطوير التعليم العالي والتقني في الخارج » التي ضمّت إلى جانب الجامعيين كبار تجار الحرير »[٢] .

كما أدت هذه الأوضاع الاقتصادية الجديدة المرتبطة بفرنسا إلى تعميق أزمة مجتمع الجبل ، « وتحريك التوتر الطائفي الكامن » ذلك أن أغلب التجار الكبار . . المرتبطين بشكل وثيق بالتجارة الأوروبية هم من المسيحيين ، بينما كان أغلب المسلمين يعانون من ذلك ، ولا يرون في الغرب المنافس الدعم أو الأمل الذي يبحث عنه المسيحيون »[٣] .

---

(١) Michel seurat: Le rôle de lyon dans l'installation du Mandat français en syrie: intérêts Economiques et culturelles, Luttes d'opinion (1915-1925)- in Bulletin d'Etudes Orientales 1980, Volume 31.

(يصدرها المعهد الفرنسي بدمشق) .

ورد ذكر هذه المقالة في مجلة « المنتقى » الفصلية . العدد الأول ١٩٨٣ ـ ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٢) chevallier D.Lyon et la syrie en 1919. Les bases d'une intervention. in Revue Historique. oct. dec. 1960 p.281. 292. 304.

(٣) شفالييه دومينيك . مجتمع جبل لبنان ، المرجع السابق ص ٢٠١ .

حماية الطوائف وانتشار البعثات

يلخص القنصل الفرنسي Boireé في تقرير رفعه في ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٤١ ، سياسة الدول الأوروبية في « اختراق » الطوائف وتوجيهها بما يتلاءم مع مصالحها ويلبي صراعاتها فيما بينها. يقول: «أن القناصل في بيروت قد تبنوا ذهنية الطوائف في لبنان وسوريا وأصبح كل منهم مصدر الوحي والتوجيه والإرشاد والحماية لطائفة معينة . فكلما حدثت هزّة روحية أو اكفهر الجو السياسي تتجه انظار العرب الكاثوليك إلى القنصلية الفرنسية . فإليها دون سواها يقصدون طلباً للرأي فأما أن يسمعوا كلام التشجيع وإما أن يزودوا النصح بالصبر والتأني . ومثل هذا تفعل الطوائف الأخرى من غير الكاثوليك لدى قنصلتي روسيا وبريطانيا إذ تدق أبوابها طالبة الحماية من مظالم تعلم أن ممثلي الباب العالي يدبرونها . وإني لفي غنى عن التأكيد بأني لا أرسل هذا القول اعتباطاً أو استوحي فيه خيالي. إنه وصف صحيح للحقائق المادية كما تجلت لي . وإذا انحدر شيخ معمم أو غير معمم من قريته الجبلية ودخل بيروت من بابها الجنوبي أو من بابها الشرقي فكل انسان يعرف إلى أي قنصل هو ذاهب وماذا هو آت ليقول » . . . [١] .

في أجواء هذه التحولات الاقتصادية السياسية والتدخل في شؤون الطوائف المحلية انتشرت بعثات التبشير والتعليم اليسوعية لتجعل لتلك التحولات ولذلك التدخل اسساً فكرية « وجذوراً تاريخية » ، « ففتحت نفوس الأهالي على الأفكار الفرنسية ، وعلى العواطف الفرنسية ، واصبحوا فرنسيين نوعاً ما . . هذه السياسة تؤدي إلى فتح بلد بواسطة اللغة »[٢] .

وهذا التوكيد لتلك السياسة ولدور البعثات فيها يكرره اكثر من مسؤول وقنصل وسفير فرنسي . ولم يقتصر الأمر على فتح نفوس الأهالي على الأفكار

---

(١) عادل اسماعيل . المرجع السابق ، الجزء الثالث ص ١٣ ـ ١٤ .

(٢) paul Huvelin-Congrés Français sur la syrie- Fascicule III. chambre de commerce de Marseille. 1919-p.7.8.

والعواطف »، بل اتجه التعليم اليسوعي من خلال مدارسه الابتدائية وجامعته فيما بعد إلى إعداد « قادة انسانيين ومستنيرين » من بين عائلات اعيان الموارنة الذين تقيم معهم فرنسا علاقات قديمة أي « تكوين نخبة قادرة على استيعاب سياسة جديدة وتنفيذها بما يتلاءم مع المصالح المسيحية والفرنسية. . . »[1].

كان لابد وأن يؤدي هذا التعليم بما يصبو إليه ، إلى تعميق الهوّة بين الطوائف . أي بين الطوائف المسيحية ، المارونية خصوصاً ، وبين الطوائف الاسلامية التي كانت تتابع عملية إعداد هذه النخبة وتحويلها إلى قيادة ، وما يشكل ذلك من تهديد لوجودها وانتمائها ، دون أن تتمكن من صد ذلك واحباطه ، نظراً لموازين القوى الجديدة التي كانت في غير صالحها . فلجأت إلى الدفاع السلبي في بادىء الأمر وقاطعت مدارس الارساليات بما هي رمز للفكر والثقافة الأجنبية. وتشددت لفترة في التمسك بهويتها الإسلامية العثمانية في وجه الثقافة المسيحية الفرنسية التي بدأت تتحول إلى ثقافة غالبة. وحاولت أن تؤسس مدارسها الخاصة. إلا أن ريح أوروبا كانت اعتى وأعنف، فتقدمت ثقافة المبشرين على مدارس المسلمين . « وولدت فكرة القومية اللبنانية المسيحية . هذه الفكرة التي شجعتها الأوساط السياسية والدينية الفرنسية ، ميزّت تلك الفترة من تاريخ لبنان »[2] وارتبطت فكرة « القومية » بالدولة « الجديدة » . ونمت معها وترعرعت في ظلها . وبعد أن كان التعليم تمهيداً لها ، بات توكيداً لجذورها « الحضارية »« والتاريخية »، التي تحولت كتباً مدرسية وقصائد وأناشيد تربي الناشئة على حب « الأم الحنون » التي حملت الجنين وقامت برعايته خير رعاية .

إلا أن السعي اليسوعي لانجاز تلك الأهداف لم يكن يسير المنال ، في بادىء الأمر بل واجه بعض العوائق والصعوبات حتى من الموارنة انفسهم

---

(١) شفاليبه دومينيك . مجتمع جبل لبنان . المرجع السابق ص ٢٦٥ .
(٢) كمال الصليبي . تاريخ لبنان الحديث . دار النهار للنشر . بيروت ١٩٧٨ . ص ١٥٢ .

لكن اليسوعيين تمكنوا بعد جهود مضنية من تجاوزها ، ومن تمتين أسس العلاقة التي ستحدد مصير التوجه السياسي والثقافي في الكيان القادم .

فكيف حصل الأتصال الأول بين اليسوعيين والموارنة ؟

اليسوعيـون والموارنـة

مما يدعو للاستغراب ، إنه رغم الإقرار النهائي لاتحـاد الكنيسة المـارونية مع روميه عام ١٧٣٦ ، ورغم مساهمة مرسلي الكنيسة الكاثوليكية الرومـانية في لبنان من الفرنسيسكان واليسوعيين وسواهم في الرقابـة على الكنيســة وفي إدارة شؤ ونها[١]، فـإن عودة اليســوعيين ثـانيـة في بعثـه استهـدفت « النضـال ضـد المبشرين البروتستانت » . و« حماية عقائد الموارنـة »، واعدت فيـها بعد « القـادة الانسانيين والمستنيرين » لم تتمكن من الانتشار في وسط الموارنة عبر إعلان هذه الأهـداف . بل لجـأت في بادىء الأمـر إلى سبل أخـرى لا علاقـة لها البتـة بما أعلن .

ويبدو أن الخلافات داخل المـوارنة التي استمـرت حتى ١٨٤٥ ، وتحول الكنسية المارونية إلى أهم قوة مالية في الجبل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ووقوفها الى جانب الفـلاحين ضـد المقاطعجيـة لاضعاف نفـوذ العائـلات الكبيرة وتأكيد سيطرتها على الطائفة ككـل[٢] ، لعبت دوراً في بروز مـوقف غير موحد من اليسوعيـين الذين استقبلهم الأعيان الكبار بينما كـان للكنيسة ورجـال الدين موقفـاً حـذراً منهم ، وواجهـوهم « بعقلية عشـائريـة » كما رفض بعضهم الاعتراف للأب Estève الذي كان يدرسهم[٣] .

ضمن هذا الإطـار يمكن أن نفهم أيضاً اختلاف المـوقف الفرنسي الـذي كـان يدعم الكنيســة مستفيداً من العـلاقات الاقتصـادية الجـديدة التي نسجهـا

---

(١) الصليبي . المرجع السابق ص ٤١ .
(٢) شفاليه ، مجتمع جبل لبنان . المرجع السابق ص ٢٥٦ .
(٣) المرجع نفسه . ص ٢٦٦ .

التجار الفرنسيون في ليون ، عن الموقف اليسوعي الذي تجلى في سياسة الأب ريللو ، بالدعوة إلى إمارة مسيحية مارونية مستقلة، خلافاً للمشروع الفرنسي آنذاك . (وذلك قبل الاتفاق بينهما) .

لهذا لجأ اليسوعيون إلى عدة سبل تميز بها عملهم في انحاء العالم كافة . وتمكنوا من تحويل وجودهم الى حاجة لا يمكن للموارنة التخلي أو التفكير بالابتعاد عنها، وجذبوا الموقف الفرنسي ليتصالح معهم، وذلك كله بعد أن نجحوا في نشر مدارسهم في مختلف مناطق الجبل ، وفي تأسيس المدارس الأكليركية لأعداد الأكليروس المحلي . . . إلا أن ما يتبادر الى الأذهان هو : كيف تمكن اليسوعيون من تجاوز الخلاف داخل الموارنة ؟ وكيف استطاعوا النفاذ من نقطة الاحتكاك الأولى مع مجتمع جبلي يجهلون الكثير عن تفاصيل حياته اليومية وعن عاداته وتقاليده ؟

الطب / الوسيلة :

حول ذلك يجيب أحد اليسوعيين موضحاً الأمر التالي .

« في بلاد الشرق هذه ، وأكثر من أي مكان آخر، يعتبر الطبيب شخصاً هاماً. أن تعليمه والاحترام الذي يحيط بمهنته وحياته الكريمة، يكسبه، خصوصاً في القرى، سلطة معنوية وحجة لا تناقش تمكّنه من الدخول الى أكثر الأماكن انغلاقاً بسبب الدين والتقاليد. أن « الحكيم » Le Sage أي العاقل أو الطبيب ، ولهذه الأسماء معان متشابهة في اللغة العربية ، يستطيع أن يمارس تأثيراً حقيقاً »[1] .

وتتبيّن أهمية هذا الفراغ الذي نفذ منه اليسوعيون ، حين نعلم أنه لم يتأسس حتى سنة ١٨٨٠ سوى كليتان للطب . واحدة في القسطنطينية وأخرى حديثة العهد في بيروت هي « الكلية السورية الأنجيلية » (التي اصبحت الجامعة الأميركية فيما بعد) . كما ساهم في تعميق الحاجة للعناية الطبية « انتشار

---

(١) les jésuites en syrie. (1831-1931) Tome II. p.40

اعـراض الكـوليـرا وظهـور مـرض الـطاعـون في بيـروت بـين عـامي ١٨٣١ ـ و١٨٣٢ »[١]، أي عشية وصول اليسوعيين .

لهـذا كان لثـالث اعضاء بعثـة اليسوعيـين الثانيـة ، « الأخ هانـز »، من المعارف الطبية مما حمل شهرته بعيداً، خصوصاً بعدما عـالج الأمـير بشير الثـاني فكسب بذلك خطوة له ولرفاقـه ، وتتالت استشـارته من كـل جانب . ولنفس السبب أيضاً يلح الأب ريكادونا في رسائله إلى الأب العام ، ليبين أهمية الطب كـوسيلة تأثـير على الجمـاعات(*). كـما ألحق بالبعثـة فيما بعـد ، عام ١٨٣٤ ، وبعد إرسال كمية كبيرة من الأدويـة المطلوبـة ، مرسـل يسوعي جـديد بصفـة طبيب .

هكـذا استـطاع اليسـوعيـون بعـد أن أمنـوا جـانب الأمـراء والأعيـان والعائلات ذات النفوذ ، ومن خلال تلك الخـدمات الـطبية بشكـل أساسي أن يتوجهوا لمختلف فئات الشعب ، ويتجاوزوا إلى حد بعيد كثيراً من العقبات . إلا أنهم لم يقتصروا على هذا الجانب التمهيدي لترسيخ وجودهم بل كان جله همهم « إغواء الشرق بواسطة الشرقيين أنفسهم » .

إعداد الاكليروس المحلي ومشكلة اللغة :

لجأ اليسوعيـون بعد سنوات من العمل المتـواصل والـدؤوب إلى اعداد «الدعاة المحليين» أملاً في تثبيت مستقبل العمل التبشيري في المشرق ، وسعياً لتجاوز عائق اللغة الذي كـان يقلق مرسيلهم ويعـرقل صلتهم اليـومية بـالذين يتوجهون اليهم لأن المبشرين لا يعرفون العربية لغة السكـان في هذه المنـاطق . هذه الحاجة الماسة والمتنامية لهؤلاء « الدعاة» يعبر عنها أحد الآباء المسؤولين في دمشق بقوله عـام ١٨٦٠ : « لا اكليروس محـلي بدون مـدرسة اكليـركية . ولا

---

(١) المرجع السابق ص ٤٠ .

(*) وقد فكر الأب ريكادونا بارسال بعثة طبية يسوعية الى الجزيرة العـربية لجـذب « غير المؤمنـين بواسطة الطب . راجع شفالييه . مجتمع جبل لبنان . المرجع السابق ص ٢٦٢ .

مستقبل للارساليات في المشرق في غياب الأكليروس المحلي . أن إرسال البعثات مفيد ولا شك ، خاصة وسط هذه الأمم الجاهلة والكسولة . لكن المؤسسة الأوروبية ليست مؤسسة صلبة بشكل كاف لأن جذورها لا يوجد في البلد نفسه . . . والسبب الذي يدعونا لتكوين اكليروس محلي ، هو عينه الذي يدفعنا لاعداد اساتذة محليين أيضاً . . إن المعلم أو المعلمة العربيان يستطيعان الذهاب ، وكل بمفرده ، إلى أي قرية . فهما متكيفان مع اللغة ، والمناخ ، والعادات ، والغذاء ، ومع بؤس البلد . كما يكفي الواحد منهما مئة فرنك في السنة . . . »[1]

لذا ، وتثبيتاً لمستقبل هذه الارساليات ، ضم اليسوعيون مساعدين لهم من أهل البلاد . بعد اختيارهم بدقة وعناية « لأن بامكانهم ممارسة نفوذ وتأثير يعجز عنه الأجانب غالباً . لقد كان ذلك تطبيقاً للقاعدة الحكيمة التي طالما نادى بها البابا ليون الثالث عشر وهي اغواء الشرق بواسطة الشرقيين انفسهم »[2] .

وقد تنبه اليسوعيون لخصوصية العادات والتقاليد في هذه البلاد « فتهيأوا منذ وصولهم لارتداء الزي المحلي : رأس حليق ، لحية طويلة ، شريطة ضخمة على الرأس . حفاة الأقدام ، يلف جسمهم حزام عريض تزينه الخناجر والمسدسات »[3] إلا أن كل ذلك لم يمنع اصطدامهم باللغة . فلم يتمكنوا من تجاهلها أو تغييبها في بادىء الأمر ، فهي ليست ثوب يسهل تبديله ، أو قبعة يلين اعتمارها . إنها إرث الماضي والفكر والحضارة والتاريخ . وهذا ما جعل معاناة اليسوعيين شديدة وصعبة . ولا عجب أن يسقط عليها الأب ريكادونا ، أحد افراد البعثة اليسوعية ، موقفاً « حضارياً » متعالياً ، فيصفها بأنها « لغة حلقية ، يبدو أنها صنعت خصيصاً للجمال »[4] .

---

(١) شفاليه ، مجتمع جبل لبنان ، المرجع السابق ص ٢٦٧ .

(٢) bulletin d'œuvres des écoles d'Orient-1862. p.210-212.

(٣) les Missions catholiques Françaises au XIX s. p.312.

(٤) المرجع السابق ص ٣١٢ .

وتتأكد هذه الصعوبة، ومعاناة المرسلين من اللغة وحاجتهم للاكليروس المحلي في وصف احد القناصل لنمط عملهم إذ يقول : « . . . يصل الراهب الى سوريا ، فأظنه عالماً باللاهوت رغم حداثة سنه غالباً . يدرس هذا الراهب اللغة العربية . وبعد ستة أشهر يتمكن من القراءة دون أن يفهم شيئاً . ثم يزور بيوتاً مختلفة ليكتسب عادة التحدث بلغة يشكل لفظها حاجزاً لا يمكن تجاوزه . بسهولة وكانت الحاجة ورغبة رؤسائه ، تدفع المرسل لقراءة الأنجيل أمام الناس دون أن يفقه منه شيئاً . وكان يعطى لائحة بجميع الخطايا يحفظها عن ظهر قلب ثم يكلّف بسماع الاعتراف . لكن منطقياً ، ما كان ينبغي القيام بمثل هذا العمل قبل انقضاء عدة سنوات على دراسة اللغة التي يبدو أنها الأكثر صعوبة بالنسبة للأوروبي . ففي اللغة العربية يمكن التعبير عن موضوع واحد بعشرين طريقة . والمرأة التي لا تحمل من الدين إلا القشور يمكنها أن تخدع من تعترف له بسهولة ، فيمنحها المغفرة ، لأنها تقوم بواجباتها ظاهرياً ، أما عملياً فتعيش في الخطيئة . . . ولهذا السبب أن كهنة البلاد أكثر استعداداً من المرسلين الفرنجة لممارسة الشعائر الدينية مع إخوانهم »[1] .

وقد أدت هذه الرغبة اليسوعية في أعداد « الدعاة المحليين » وتعليمهم إلى اكتشاف ما وصفوه بحالة « جهل تامة » عند الموارنة .

« دونيّة » الموارنة « وفحص عقائدهم » .

أظهر الرهبان الموارنة حذراً من الآباء اليسوعيين في بداية اتصالهم بهم ، خاصة بعد أن تمكن هؤلاء من التقرب من الأمراء والأعيان والعائلات الكبيرة(*) . إلا أنهم استطاعوا بما بلغوه من أهمية أن يتجاوزوا هذا الأمر[2] ؛

---

(1) مرجع سابق ص ١٣٥ . henri Guys. Esquisse de l'Etatpolitique.

(*) تتضمن احدى الوثائق شكوى رجال الدين في الشام ، الى البابا بيوس السابع ، من ممارسة الجزويت الذين « كانوا يضعون انفسهم فوق رجال الدين المحليين . . » .
راجع نص الوثيقة كاملاً في « وثائق اساسية من تاريخ لبنان الحديث » . المرجع السابق رقم ٥٦ - (ص ٢٠٥ - ٢١٧) .

(2) شفالييه ، المرجع السابق ص ٢٦٦ .

لكن نظرتهم إلى الموارنة ورهبانهم كانت نظرة العالم المتعالي الذي أبى إلا أن ينقل الشعوب من « الجهل والتخلف » إلى « الحضارة والمعرفة ». « فالمسيحيون في حالة جهل تامة ، ولا يملك الموارنة مميزات خاصة يختلفون بها عن غيرهم من العرب الشرقيين» . . . ويتابع هذا اليسوعي حديثه ، بعد وصفه للقداس والترتيل في كنسية زحلة فيقول : « علينا أن نعمل كثيراً لنعلم العرب النظام ، والنظافة »(١) . وكذلك توصف مياتم الفتيات : « علينا أن نعمل كثيراً في كل الاتجاهات . أن عادات النظام ، والنظافة ، والملبس التي لا يعرف البنات عنها أدنى فكرة ، كانت أولى القضايا التي جهدنا في تعليمهن إياها »(٢). حتى القرى تنطبق عليها المواصفات عينها « خصوصاً في دير القمر ، فلا أحد يعرف ما هي اللطافة ، ولا الأدب، ولا المجاملة، ولا النظافة »(٣).

لهذا كله لا يرى اليسوعيون في مسيحيي سوريا عموماً إلا جماعات تتنكر للعلم والثقافة والحضارة « فقد كان يبدو لأول وهلة أن إنشاء مدرسة سيعتبر في قرى سوريا هبة من السماء . . لكن الجهل المتفشي بين مسيحيينا منعهم من إدراك أهمية أن يبذلوا ولو جهداً بسيطاً في سبيل الحصول على التعليم . . أن تحدثهم عن المدرسة ، وإن تطلب منهم تضحية بسيطة في سبيل ذلك ، يعني أن تسبب لهم الاضطراب وتزعج نومهم بكابوس لا يطاق . حتى الخوارنة ويا للأسف ، ليسوا سوى فلاحين كالآخرين ، جاهلين ، عاجزين عن الرؤية أبعد من الحقل الذي يزرعونه ، أو من المهنة التي يمارسونها »(٤).

ومن الطبيعي ضمن هذا الإطار الا تنجو القيم والتقاليد من التهكم والسخرية والاحتقار : « علينا ألا نعوّد مسيحيينا الاعتماد على مساعدة أوروبا كحق ثابت . . . ومن أجل ذلك كنا نقول لهم : « إن كرمكم أيها السادة ذائع

---

(١) bulletin d'œuvres des écoles d'Orient. 1863. p.20

(٢) المرجع نفسه ـ ١٨٦٢ ـ ص ١٠

(٣) jullien (R.P.M) La Nouvelle Mission de la Compagnie de jésus en syrie (1831-1895) Tome I. Paris 1899. p.18.

(٤) bulletin... 1862. p.206-208.

الصيت . أن يدكم ممدودة للعطاء دائماً ، ولا تردونها إلا فيما ندر . يجب على كل طفل أن يحضر معه طعام معلمه ، ويكفي من ثم ثلاثمائة قرش للثياب». فيجيبون : « هذا لا شيء ، يا آباءنا ، لا شيء ، إنكم تقدمون لنا خدمة » . ولكن بما أنه لاشيء يلزم العربي في كل هذه الأحاديث ، فقد كنا نقدم لهم بطريقة مبتذلة ، ورقة ليوقعوا عليها . لكنهم كانوا يتمنعون ويقولون : لا داع لمثل هذا الأمر . . . لم نقتنع منهم أبداً ، وسيبقون عرباً إلى الأبد . . . إلا أننا في اليوم التالي جبنا البلاد نحمل ورقة ، تمكنا بعد جهد طويل أن نجمع عليها بعض التواقيع ». . .[١].

يماثل موقف اليسوعيين هذا من الموارنة أو المسيحيين العرب ، على حد تسميتهم لهم ، موقف المستعمر من المستعمَر ، الذي يرى دائماً أدنى مقاماً، لا تاريخ له ولا فضائل . حاضره جهل ومستقبله ديجور . اللهم إلا إذا ارتبط بثقافة المستعمر و« حضارته». حينها تتمزق الحجب وتشرق « الأنوار» . « ولا يكتفي المستعمر بأن يؤكد غياب القيم ، أو عدم وجودها أصلاً في العالم المستعمر ، بل يعلن أن البلد غير قابل لاستيعاب القيم . إنه يجب أن نعترف بذلك ، عدو للقيم ، وهو بهذا المعنى شر مطلق »[٢].

هل كان الموارنة يشعرون بهذه الحالة من « الجهل » المتفشية بينهم وبين رهبانهم ؟ وهل كانوا يدركون حقيقة النظرة اليسوعية اليهم وإلى عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم ؟

إن عدم معرفتنا ذلك ، لافتقار الكتابات في هذا الشأن ، لا يغير من أهمية اقتراب الموارنة من اليسوعيين فيما بعد ، واعتبارهم سنداً وعضداً لهم . ويبدو أن « الخطر البروتستانتي » عجّل كثيراً في ذلك التقارب أملاً في درء الخطر عن العقيدة . يقول بطريرك دير القمر الماروني ، إلى الأب المسؤول في صيدا : « كنا نكفي سابقاً للمحافظة على إيمان الناس . في ذلك الوقت كان

---

(١) bulletin... 1862 p.210-212

(٢) fonon. F. Les Damnés de la Terre. Maspero. Paris 1970-p.10.

هؤلاء أكثر بساطة ، ولم تكن البدع الغربية قد دخلت إليهم . . نحتاج اليوم إلى مساعدة المرسلين الأوروبيين . . . مساعدة لا غنى عنها . . عليهم أن يفعلوا كل شيء لدعم الكاثوليك بدونهم سوف تضيع البلاد قريباً . »[1] .

هكذا اذن ، وبالاضافة إلى الامكانات المادية الضخمة التي رصدت لاعمالها « استطاعت هذه الارساليات تجاوز الاكليروس الماروني على الصعيد التربوي ، لا بل يمكننا القول أنها استطاعت تذويبه في خطها التربوي العام »[2] .

يمكن ، استناداً إلى ما تقدم أن نلحظ سمتين اساسيتين في نشاط اليسوعيين بشكل عام ، وفي علاقتهم بفرنسا والموارنة بشكل خاص . سمتان تعبران عن مرحلتين مختلفتين تماماً . فالأولى تعكس مرحلة صراعهم مع الفرنسيين ، وحاجتهم بالتالي للاقتراب من الناس واكتساب مودتهم ، مما دفعهم لنشر مؤسساتهم التعليمية ، وخدماتهم الطبية ، والتزي بزي أهل البلاد ، وقبول عاداتهم رغم ما يحملوه في أنفسهم من احتقار لهذه العادات والتقاليد ، كما كان ذلك أيضاً سبيلاً لمنافسة البعثات الأخرى التي تدعمها فرنسا ، كاللعازاريين على سبيل المثال .

أما السمة الثانية ، فتعتبر عن مرحلة الانقلاب في الموقف اليسوعي بعد تبدل العلاقات مع فرنسا ، واتجاهها نحو التصالح والتقارب . فكان ذلك سبباً رئيساً لتبديل سلوكهم . ومظهرهم ، وبرامجهم التعليمية وأصبحت الفرنسية لغة التدريس الأولى في مدارسهم ولا ترافق مع تبدل اللغة تغيير في العادات ، وولى الزمن الذي كان يجبرنا لكي نسافر أن نرتدي الزي العربي ، أو على الأقل زي رهبان الموارنة ، لقد اصبح ثوب الكاهن والقبعة لا يثيران أية حشرية »[3] .

---

(١) jullien- Nouvelle Mission- p.255.

(٢) عيد - المرجع السابق ص ٧٤ .

(٣) les Missions Catholiques... p.320

هـذا التبدل كـان ايذانـاً بسعيهم « لتغيير نفـوس الـطبقـات العليـا عبـر التربية ، أي لقيادة القادة وخلق النخبة »[١] .

إذن بين المرحلتين الأولى والثانية اتسم الموقف اليسوعي بالانقلاب . فبينما نـراهم « يخضعون » لمتـطلبات الثقـافة في اللغـة والـزي والعـادات في المـرحلة الأولى ، إذا بهم يتجهـون نحو فـرض اللغة الفـرنسيـة بمـا هي ثقـافـة وأفكـار وقيم ، في المرحلة الثانية . « ذلك أن الثقافة أكـثر اتساعـاً وتنوعـاً وتعقيداً من اللغـة ، فمادتهـا أغنى . . . لكنهـا متـرابـطتـين في الـواقـع . اللغـة جـزء من الثقافة ، وهي شرط سابق لـوجودهـا »[٢] . هذه العـلاقة المتينـة بين الثقـافة واللغة ، وهذا التداخل بينها لم يكن خافياً على اليسوعيين أو على الفرنسيـين ، فها هم يعترفون « بأنه من غير الممكن أن يتعلم السوريون والموارنة لغتنـا دون أن يحملوا بعضاً من تقاليدنا وعاداتنا وينشرون كذلك نفوذنا »[٣] .

لذا شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر تحولاً في السياسة التربويـة التي انتهجتها الارساليات الاجنبية ، خاصة اليسوعية منها، «إذ بدأ التركيز على النخبة الاجتماعية ذات النفوذ السياسي ، وقـد تم التخلي بشكـل تدريجي عن المنـاطق الشعبية من ضمن خلفيـة سياسيـة تعتبر أن السيـطرة على الـرأس تمكن من إدارة الجسم بأكمله . . ولهذا يتساءل Jean Mélia :

ماذا يريد اليسوعيـون ؟ . . إنهم يحاولـون بواسـطة العلم تحويـل نفوس الطبقات العليا من المجتمع ليستطيعوا من خلالها السيطرة على المسيطرين . . . أنهم يخلقون النخبة . . وماذا يحضرون للعالم الشرقي مستقبلاً ؟ . . »[٤] .

---

(١) Maurice Barrès: Une enquête qux pays du Levant. Paris 1924 p.36.

(٢) charles F. in Revue «Politique Etrangère». No5-1971- (Le monde arabe et la culture occidentale) p.589.

(٣) malherbe. R: L'Orient 1718-1845. Histoire Politique Religion. Mœurs. Tome I- p.6.

(٤) jean Mélia . المرجع السابق . ص ٩٤ ذكره عيد ايضاً . ص ٧٥ .

ملحق وثائق الفصل الثالث

(١) تأسيس كلية في سورية وأثرها الايجابي على مصالح فرنسا . وتلبيتها لحاجات المسيحيين . تولى اليسوعيين إدارة هذه الكلية . نشر اللغة الفرنسية يعني خلق نواة متفانية في سبيل فرنسا .

(٢) مشروع يسوعي لبناء كلية للاطفال في بيروت . قلق فرنسي من النشاط اليسوعي ومن منافسته للبعثات الفرنسية .

(٣) شك فرنسي في النشاط اليسوعي .

(٤) دعوة فرنسية لطرد بعثة اليسوعيين من سوريا .

(٥) حسنات وسيئات استقرار اليسوعيين في بيروت . المقارنة بينهم وبين العازاريين . ضرورة إبعاد اليسوعيين .

(٦) توجه اليسوعيين نحو النمسا . تصميمهم على مهاجمة فرنسا . توسع مشاريعهم .

(٧) الخوف الفرنسي من منافسة البعثات الأخرى . تأسيس الكليات لمواجهة النفوذ . أهمية مدينة زحلة مسيحياً . ضرورة تأسيس كلية فيها .

(٨) استعداد فرنسي للتقرب من اليسوعيين .

(٩) اصرار فرنسي على جعل اليسوعيين تحت سلطتهم .

(١٠) اتفاق بين روما وفرنسا حول جمعية يسوع .

(١١) مدرسة غزير اليسوعية . رغبة اليسوعيين في دعم حكومة الملك . أهمية الكاثوليك في مدينة زحلة . ضرورة تحويل بعثة اليسوعيين إلى بعثة فرنسية .

(١٢) قدوم بعثة اخوات القديس يوسف . تحذير من النشاط اليسوعي . المؤسسات التعليمية أفضل خدمة للمسيحيين .

(١٣) نداء فرنسي لوضع حد لمنافسة اليسوعيين .

(١٤) أهمية سوريا وأهمية المسيحيين فيها لنشر الحضارة الفرنسية من خلال المدارس .

(١٥) الموارنة أكثر الطوائف استعداداً للعمل مع فرنسا . البعثات تخدم النفوذ الفرنسي .

(١٦) دعم فرنسا للكاثوليك والتظاهر بالحياد .

(١٧) موارنة لبنان يلتمسون حماية فرنسا .

مراسلات القناصل السياسية

تركيا ـ بيروت

مجلة رقم (٢)

١٨٤٠ ـ ١٨٤١

بيروت ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٤١ .

من ج . دي بريتون إلى الوزير غيزو سكريتير الدولة في وزارة الشؤون الخارجية . .... كنت قد قدمت في شهر أيار عام ١٨٤٠ ، إلى حضرة وزير الشؤون الخارجية ، بعض الملاحظات حول انشاء كلية في سوريا . وكانت الموافقة قد تمت على تصميم المشروع في روما في بداية عام ١٨٣٩ . . . هذه المؤسسة ستؤثر بشكل إيجابي جداً على مصالح فرنسا راهناً ومستقبلاً . لانها ستلبي حاجة ملحة لدى المسيحيين ، وستنشر بينهم ، تحت الاشراف الفرنسي ، المعارف الاخلاقية ، والعلمية ، والصناعية . . . إن مسيحيي لبنان وسوريا بأكملها يتمنون افتتاح كلية آسيوية لأنهم يشعرون بأنها ستكون نواة انبعاثهم الاجتماعي .

إن رجال الدين الذين سيتولون إدارة هذه الكلية يعرفهم الناس منذ زمن طويل. كما تثق بهم طبقات المجتمع كافة، ثقة لا حدود لها. فالامراء ورجال الدين ، وحتى الفلاحون يطالبوننا بالحاح أن نباشر في افتتاح هذه الكلية . . . أما عدد تلامذتها فلن يكون محدوداً إلا بمقدار حاجتنا المادية . إن شرط تسجيل الاسماء مسبقاً على لوائح القبول يشكل تناقضاً صارخاً مع ضخامة الجهود التي يبذلها مدراء المدارس الأميركية والانكليزية في القدس وبيروت لزيادة عدد تلامذتهم . . ويجب أن يكون التعليم مجاناً ، وهو شرط لا غنى عنه لنجاحه .

حين ننشر في هذا البلد بواسطة اللغة الفرنسية ، التعليم ، والاخلاق ، والفنون المفيدة ، والزراعة ، فإننا سنسيطر على الشعب ، وسيكون لفرنسا هنا في كل وقت جيش متفان .

وثيقة رقم (١)

السفارة الفرنسية في بيروت

بيروت ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٨٤١ .

حضرة السفير :

لقد طلب مني المرسلون اليسوعيون في بكفيا أن اساهم في المشروع الذي ينوون تحقيقه ، وهو بناء كلية في بيروت لتعليم الاطفال ، وتعليم المهن ، والفنون والزراعة .

إن مشروع الآباء اليسوعيون مشروع ضخم . لكنه وللأسف قد يبتلع المؤسسات التربوية الأخرى الموجودة في بيروت . إن مؤسسة اليسوعيين مهما كانت ظاهراً ، تحت الحماية الفرنسية ، فإنها فعلياً ليست كذلك . كما أنها جديرة بممارسة نفوذ مباشر على الاهالي قد لا يسير في اتجاه واحد مع نفوذنا .

إن الآباء اليسوعيين مستقلين جداً . . . وقد اظهروا ذلك بشكل خاص أبان الاحداث الأخيرة . لكن لدي من الاسباب الوجيهة ما يجعلني أقول . . . أنهم يرتضون بأن يكونوا ، ولو مؤقتاً ، وسائل لسياسة خارجية ، حتى لو كانت هذه السياسة بروتستانتيه ، لكي يصلوا بطريقة غير مباشرة ، إلى ما يعجزون عنه مباشرة .

إن دير الكبوشيين الفرنسي هو أقدم مؤسسة تعليمية في بيروت . وهو معدّ للتعليم الابتدائي ويضم حوالي خمسة عشر طفلاً ، أما المؤسسة التعليمية الثانية ، وهي الاهم ، فلا يزيد عمرها عن ثمان سنوات ، وتضم حوالي خمسين تلميذاً ، وتقع في عينطورة في لبنان . . تديرها بعثة العازاريين الفرنسية ، وتدرس فيها لغات ثلاث : العربية ، الفرنسية ، الايطالية .

إن الكبوشيين والعازاريين ينظرون بحزن وقلق إلى التنافس الذي يشتد قربهم ، والذي ستكون أقل نتائجه انتزاع قسم من طلابهم . . . من المفيد أن نضع في اعتبارنا أن الحلول مكان هاتين المؤسستين يدخل ضمن نطاق المشروع اليسوعي .

التوقيع : دي ميلوا

Dé Mélois.

وثيقة رقم (٢)

قنصلية فرنسا في بيروت

بيروت ١٥ اذار (مارس) ١٨٤١

حضرة السفير

. . . إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يقوله المسؤول اليسوعي ، من أن مؤسستهم هدفها اعداد الاكليروس العربي فقط ، فإن ذلك لا يشكل عائقاً أمام بنائها أو تطورها . . . أن كلية اليسوعيين المزعومة لتربية الاكليروس فقط ، لن تكون ضمانة لكلية عينطورة ، لأنه لا يمكن تحديد ميول الطفل مسبقاً .

. . . ولا داع لأن أضيف أن تعليم اللغة الانكليزية في برامج اليسوعيين يعتبر أيضاً تهديداً مماثلاً لكلية عينطورة ، كما يحمل في الوقت نفسه اساءه رئيسه لنفوذنا الكاثوليكي .

وثيقة رقم (٣)

قنصلية فرنسا في بيروت

بيروت ٥ تموز (يوليو) ١٨٤١

حضرة السفير

سعادة الكونت دي لاتور موبور ، سفير جلالة ملك الفرنسيين

. . . إن اليسوعيين لا يخفون أن حماية حكومة الملك ، سوف تميل إلى جانب العازاريين . لأن هؤلاء يمتلكون مراكز هامة في سوريا بينما يريد اليسوعيون أن يستقروا فيها أيضاً ، وينشروا مؤسساتهم ومشاريعهم وتسود جمعيتهم . انني اتساءل ، كيف سيصلون إلى ذلك إذا لم يكن رغماً عنا أو ضدنا ؟

باختصار ، حضرة السفير ، انني اعتقد أن مؤسسات مرسلينا في لبنان والآمال التي تعقدها حكومة الملك على نشاطهم ، ومشاريعهم التي تعتمد عليها لبث نفوذها ، كل ذلك لن يكون مجدياً طالما سيكون اليسوعيون في بيروت أو حتى في بكفيا .

. . . وفي كل مرة تتعارض فيها مصالح هذه الجماعة مع ما يمكن أن نعتبره مصلحة لنا ، ينفصلون عنا . وأخيراً من المهم أن نزيل من سوريا أو على الأقل من لبنان بعثة معادية للعازاريين ولفرنسا ، تثير الاضطراب في اعمالنا وتسعى دائماً لشل فاعليتها .

. . . ليس لدى اليسوعيين اليوم ، حجة منافسة الاميركيين ، لأن الروم الذين يشكل اطفالهم قاعدة هذه المدارس ، قد اسسوا مدرسة خاصة بهم وحرّموا على الاهالي ترك اطفالهم بين ايدي البروتستانت .

التوقيع

دي ميلواز

Dé Mélois

وثيقة رقم (٤)

قنصلية فرنسا في بيروت

الإدارة السياسية

رقم ٥٦

بيروت ١٣ تموز (يوليو) ١٨٤٢

حضرة الوزير

سعادة السيد غيزو وزير الشؤون الخارجية في باريس .

. . . . ساحاول أن أشرح بشكل دقيق ما هي الحسنات والسيئات العامة لاستقرار اليسوعيين في بيروت ، وما هي الاضرار التي قد تنجم عن مجاورتهم لكلية عينطورة .

منذ سنة واليسوعيون يقدمون لنا الاعتراضات حول ارتباطهم . . . فهم يعلمون أين تتوقف الثقة التي نمنحها لهم . وأن مشاعرهم نحونا لا تستحق المزيد من الارتباط بنا ، وأن الحماية التي نوفرها لهم ولباقي رجال الدين . ليست في نظرهم سوى عقبة أمام لجوئهم إلى حماية أخرى .

. . . إذا حصلت القطيعة من جانبنا ، فمن الواضح أنهم سيسارعون إلى الاتصال بحلف أكثر تعاطفاً . وإذا كانت الوضعية الحالية لا تفيد شيئاً ، فهي ، برأيي ، أفضل من عملية القطع . إن المؤسسة التي ستبنى في ظل هذه الهيئات لن يكون لها حتماً الطابع الفرنسي البحت ، كما هو حال المؤسسات الأخرى التي تديرها جمعية القديس لازار St Lazar . ولكن مصالحنا هنا ترتبط بكل ما يمكن أن ينشر الحضارة ، فإذا كانت اليد التي تفعل ذلك غير معادية لنا مباشرة ، فإن مجموع الحسنات يفوق دائماً مجموع السيئات . كان من الممكن أن أفكر بشيء آخر لو أن لجمعية العازاريين وحدها القدرة على متابعة نشاطها الحضاري الذي بدأته ، لكن ميدان العمل واسع ، ووسائلها محدودة .

. . . إن مجموعة من المؤسسات ، يديرها فكر واحد ، وتتوحد فيما بينها

من أجل مصلحة الجميع ، ويتولى مسؤليتها رجال معروفون بولائهم لنا ، أفضل بكثير من صراع خفي ومزعج . . . . إلا أننا لا نملك الاختيار .

يبدو أن سعادتك تعير قضية إلحاح روما بعض الاهمية . والفقرة الاخيرة من البرقية التي أجيب عليها ، تبين لي أن المشكلة في نظركم ليست فيما إذا كان اليسوعيون سيبقون أم لا ، بل أين وكيف سيتم ذلك .

. . . إن مسألة الاختيار ليست أمراً صعباً بالنسبة للعرب ، لأنهم لا يعيرون التربية شأناً كبيراً . وأنا ارى أنه من المؤكد أن العائلات العربية في بيروت تفضل مدارس لا تحرمها من أولادها كتلك الواقعة على بعد أربعة أميال .

. . . بالاضافة إلى ذلك تبدو بيروت وكأنها مهيأة ولمدة طويلة لأن تكون مركزاً للتحريض ، الذي يبدو أن اليسوعيين على استعداد كبير للانخراط فيه . ولهذا من الأفضل إبعادهم بحكمة .

التوقيع

بوريه

قنصلية فرنسا في بيروت

الإدارة السياسية

رقم ٩٢

بيروت ١٧ تموز - يوليو - ١٨٤٣

المجلد الرابع (١٨٤٣ - ١٨٤٤)

حضرة الوزير

سعادة السيد غيزو . .

لقد علمت أنه تم التغاضي كلياً عن مشروع السماح لليسوعيين بقسم من خان صيدا ، نتيجة رفضهم المطلق للتخلي عن مؤسستهم في بيروت .

. . . اعتقد أنه من واجبي أن أنقل لسعادتكم بعض التفاصيل حول الوضع الحالي وما يدور في خلد اليسوعيين في سوريا .

لقد وصلتني شكوى من الانشاءات غير المرخص لها بفرمان ؛ وقد طلب اليسوعيون دعم القنصلية . . . إلا أنهم ادركوا أنني لن ادافع عن قضيتهم بقوة . . ولن أساعدهم في متابعة مشاريعهم ؛ فتوجهوا إلى قنصل النمسا العام الذي أجابهم بأنه لا يستطيع التدخل في خلافاتهم مع السلطة المحلية إلا إذا كانت الحماية الفرنسية قد توقفت عنهم نهائياً . . . وحاول الآباء من ميزانيتهم الخاصة ، وعبر الاتصالات التي قاموا بها في السراي أن يحوّلوا الانظار عنهم ويشيدوا البناء . .

. . . ومنذ أن وصلت الاخبار من روما التي تعلن قطيعة المفاوضات حول خان صيدا ، بدّل اليسوعيون موقفهم مباشرة دون أن يسبق ذلك أي مظاهر عدائية ، ويبدو أنهم صمموا على الهجوم .

وقد وضعت الجمعية في خدمتهم الموارد ورؤوس الاموال التي لا

يُضاهيها ما أعطي لبعثة سوريا . واشترى الاب بلانشيه قصـر الامير عبـد الله في غزير ، أهم منطقة في كسـروان ، وهو يفـاوض في الوقت نفسـه لشراء بيت مـرموق في ضـاحية بيـروت لاخوات القلب الاقـدس ، المهيئات دون شـك ، لمنافسة أخوات المحبة اللواتي بات قدومهن إلى بيروت مؤكداً ووشيكاً .

التوقيع
بوريبه

وثيقة رقم (٦)

جانب قنصل فرنسا في بيروت .

خلف نجاح الدعاية الدينية يسير النفوذ الانكليزي .أن الاميركيين هنا ، وبشكل لا إرادي ، يطلق عليهم الانكليز .

... هناك خصم آخر أكثر عنفاً ، أتى قبل عدة سنوات ليزعزع الكاثوليكية في هذه المناطق . أنه الدعاية الروسية .

... لا يمكننا أن نعمل لنصرة وفائدة هذه الشعوب إلا من خلال إفشال محاولات الجمعية الاميركية ومواجهتها جهداً بجهد ، ومؤسسة بمؤسسة ، وأن نعطل وسائلهم بأن نلجأ إلى مثلها . من جهة أخرى يجب علينا أن نعمل لوقف تقدم النفوذ الروسي بأن ننمّي حب الدين في نفوس مسيحيينا ، ونطور العقائد والاخلاق ، ونمتّن الاواصر التي تربطهم بالعائلة الكاثوليكية الكبيرة .

من أجل هذا الهدف نشأت بعثتنا وكليتنا في بيروت - هذه المدينة ، كما تعلم يا حضرة القنصل ، بمثابة المركز للنشاطين الروسي والانكليزي - هذا بالاضافة إلى مؤسستنا في بكفيا وفي زحلة . وقريباً سنفتتح في غزير مدرستنا التي ستستقبل طلاباً من جميع الطوائف حيث يُحضَّرون للوظائف الكنسية ، ويدرسون العلم ، وفكر المحبة والتضحية والاندفاع ، التي ترافق وظيفة الوعظ الراقي .

... إن زحلة قرية كبيرة ، تقع في وسط مسيحي لا بأس به عددياً ، وعدد سكانها حوالي أربعة الآف نسمة جميعهم من المسيحيين . تقع هذه القرية على السفح الشرقي من جبل لبنان مقابل سهول بعلبك الواسعة . . لقد أصبحت أكثر أماكن جبال لبنان أهمية ومركزاً للمسيحية في سوريا .

هناك لا ينافسنا أحد من البعثات الاخرى . فنحن نعمل لوحدنا داخل المدينة منذ عشر سنوات . وقد اكتفينا لغاية الآن بممارسة الوعظ العادي ، ولكن لكي تصبح بعثتنا أكثر أهمية ، قررنا أن نؤسس كلية في هذه المدينة .

التوقيع

الاب . ب . بلانشيه .Planchet

رئيس بعثة الاباء اليسوعيين

في سوريا

وثيقة رقم (٧)

١٤ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٨٤٣

نحن لا نصّر على استدعاء اليسوعيين من سوريا ، ولا على ابعادهم من بيروت والساحل ، ولكن إذا شاءت روما أن تؤمن لهم الحماية الفرنسية ، وهي الحظ الوحيد الباقي لهم ، فيجب أن تضمن لنا ، أن يكونوا على مستوى هذه الحماية ، احساساً وسلوكاً .

. . . أما بالنسبة لنا ، ومع استيائنا من هذا الوضع ، فنحن ورغم كل شيء ، على استعداد لجعل اليسوعيين إلى جانبنا ، بل ومنحهم حماية فرنسا كسائر الارساليات الكاثوليكية في الشرق . ولكم يتبين لنا ، من جوانب عدة ، بشاعة وخطورة أن نبدو في نظرهم اعداء ظاهرين ، نمارس عليهم العنف أو الاضطهاد . نحن على استعداد ، كما ذكرت ، للتسامح معهم في بيروت وحتى لحمايتهم ، لا كيسوعيين ولكن كمرسلين ورجال دين ، ولكن شرط أن يلتزموا القوانين مع الباب العالي ومع السلطات المحلية ، وأن لا يتآمروا ضدنا ، وأن لا يستخدموا نفوذهم لخدمة قوة أخرى كالنمسا مثلاً ، وأن يقيموا العلاقات الحسنة مع عملائنا . بهذه الشروط ، نحميهم ونشرف عليهم ، وبهذا المعنى كتبت لوزير الملك في القسطنطينية ، ولقنصلنا في بيروت .

غيزو .

وثيقة رقم (٨)

١٨٤٤

يدّعي الاب بلانشيه . . . أن بعثة سوريا أصبحت تحت السلطة المباشرة لمسؤول اليسوعيين في سوريا .

أما بالنسبة للقرار الذي يجعل هذه البعثة تحت سلطة مسؤول اليسوعيين في فرنسا ، فانك ستدرك بسهولة أننا لا نقبل شيئاً كهذا . نحن نقوم بحماية جميع المرسلين الكاثوليك في الشرق دون تمييز بين جمعياتهم وأنظمتهم . ولكن بما أننا لا نعترف باليسوعيين في فرنسا ، فلا يمكن أن نعترف باليسوعيين الفرنسيين في سوريا . . .

غيزو .

وثيقة رقم (٩)

باريس ٢٧ شباط ١٨٤٤

حول إقامة جمعية يسوع في سوريا

تم الاتفاق مؤخراً في روما بين ابرشية مجمع التبشير وبين سفير فرنسا حول مؤسسات جمعية يسوع في بيروت وغزير .

وبناء على هذا الاتفاق تحتفظ الجمعية بمؤسساتها وفقاً للشرطين التاليين :

أولاً : لا مدارس داخلية في بيروت ، بل مدارس عامة .

ثانياً : لا يتم استقبال من هم دون الرابعة كأطفال داخليين في غزير ، أي أن تكون مدرستها اكليركية الطابع .

وقد طلبنا موافقة الرئيس العام لجمعية يسوع على ذلك ، ففعل .

يدير هذه المؤسسات في سوريا يسوعيون فرنسيون . وتأمل جمعية يسوع ضمن هذا الوضع ، أن تحظى بحماية الحكومة الفرنسية التي تتمتع بها باقي المؤسسات الكاثوليكية في المشرق .

إن حماية القوة الأوروبية ، أمر ضروري للمرسلين في سوريا للحصول على فرمان من الباب العالي ، أو للحصول على المساعدات التي تتطلبها مؤسسة غزير .

وقد تقبل جناب وزير الشؤون الخارجية ، بكل لطف ، بعض الملاحظات التي تقدم بها الاب أفينيون Avignon من جانب المسؤول العام لجمعية يسوع .

إن الوزير يعلم أيضاً أن قناصل انكلترا والنمسا عرضوا حماية حكوماتهم

على اليسوعيين في سوريا ، إلا أن هؤلاء رفضوا أملاً في حماية فرنسا ، وطنهم الام .

وقد ألّحوا في طلب ذلك ، مؤكدين ، بكل صراحة ، أنهم لن يتخلوا عن هذه الحماية إلا مكرهين ، نظراً للحاجة الملحة لدعم قوة أوروبية أخرى .

دون توقيع .

وثيقة رقم (١٠)

قنصلية فرنسا في بيروت

الادارة السياسية

رقـم ٨

بيروت ٢٧ حزيران ١٨٤٤

جانب السيد غيزو وزير الشؤون الخارجية في باريس .

. . . لقد عبّر لي الأب بلانشيه عن احباطه من عدم موافقة حكومة الملك لغاية الآن على الاتفاق الذي تم في روما بين سفير الملك والكردينالين فرنسوا ولومبروتشيني . كما ألح علي أن أعرض المسألة أمام فخامتكم . وقد زرت مؤسسة غزير ومدرسة زحلة لاتمكن من أن أعرض أمامكم رأياً معقولاً :

تقع غزير على بعد خمس ساعات من بيروت في قلب كسروان . اشترى فيها الآباء اليسوعيون من الأمير عبد اللهِ بناء كبيرا يقع في مكان جميل ، يقومون الآن باصلاحه وتوسيعه . ويمكن تحويله بسهولة إلى مؤسسة ممتازة . يقطن هذا المنزل اثنان من الآباء اليسوعيين ، ويشرفان فيه على مدرسة أحصيت فيها من خمسين إلى ستين تلميذاً يدرسون العربية والايطالية . لكن مدرسة غزير ليست هي الهدف الذي يسعى اليه الآباء . فمشروعهم ينص على انشاء مدرسة اكليركية ، وحتى لا ينافسوا العازاريين فلن يستقبلوا فيها إلا الطلاب الذين انهوا دراستهم في كلية عينطوره ، أي ممن هم في سن الخامسة عشر تقريباً . أن اكليروس الجبل سيتجدد باستقباله لهؤلاء الذين سيملأون حتماً المراكز الاسقفية في لبنان فيما بعد .

هذا هو ، حضرة الوزير ، مشروع الآباء ، الذي يبدو أنهم يعلقون عليه أهمية كبيرة . وقد عبّر لي الأب بلانشيه عن عدم مقدرته وعدم رغبته في تنفيذه دون دعم حكومة الملك .

لا اعتقد ، سيدي الوزير ، أن مدرسة اكليركية في غزير يمكنها أن تسيء إلى كلية عينطورة . هذا بالاضافة إلى أن التخصص فيها سيكون مختلفاً .

وحتى العازاريون الذين كلمتّهم لم يظهروا خشية من المنافسة . وقد وعد الأب بلانشيه باقفال مدرسة غزير في اليوم الذي تُقبل فيه هذه الاتفاقية .

بعد غزير انتقلت إلى زحلة . وهي مدينة صغيرة فيها اربعة آلاف نسمة . تقع على طريق دمشق . وتبعد يوماً عن بيروت وعن عينطوره ، ونصف ساعة عن سهل البقاع . بنى فيها اليسوعيون منزلاً يشبه منازل أهلها لكنه لم ينته لغاية الآن . أن المدرسة ليست في زحلة تماماً ، بل في المعلقة ، وهي قرية كبيرة يقطنها الموارنة والكاثوليك grecs unis والمتاوله Mètoulis . ولليسوعيين فيها منزلين صغيرين على الطراز المحلي ، وكنيسة صغيرة ايضاً . وقد بدأوا منذ شهر تقريباً العمل في مدارسهم التي أحصيت فيها ثلاثمائة وخمسين تلميذاً وتلميذة دون سن العاشرة. يتعلم الطلاب الذين يأتون من جميع القرى المجاورة ، العربية . وبعضهم يتهجأ الايطالية . وهم من جميع المعتقدات .

وقد فوجئت بطواعية وبهندام هؤلاء الاطفال الذين ينتمون بمعظمهم إلى الطبقة الأكثر فقراً . واعترف أنني تأسفت لرؤية هذه النفوس الطيبة المحرومة من الثقافة والتعليم الدينيين .

إن موقع زحلة هام جداً . فهي في صلة مع لبنان ومع سهل البقاع في وقت واحد . كما أن عدد الكاثوليك Grecs unis فيها غير قليل . يجب أن تربطنا بهؤلاء صلة قوية من الناحية الدينية . أما السكان فيها فعاكفون بقوة على التجارة .

. . . إن التعليم في مؤسسات اليسوعيين في سوريا لا يزال في بداياته . وهم ينتظرون دعم فرنسا ليتمكنوا من تطويره ؛ واعتقد أنهم لن يفعلوا شيئاً هاماً إذا منعنا عنهم هذا الدعم ؛ كما أن لا مبالاة الحكومة الفرنسية تضعف موقعهم في نفوس الناس ؛ لقد اظهر قنصل النمسا كثيراً من التعقل في كل ما يتعلق بموضوع حمايتهم الدينية ، وإذا وافق الآباء على دعم انكلترا لهم ، كما يلمحون احياناً إلى ذلك ، فإنهم سيخسرون انفسهم في نظر الأهالي الكاثوليك .

ولا اعتقد ، سيدي الوزير ، أن دعمنا للأباء اليسوعيين سيعود علينا بالمؤازرة نفسها التي نتلقاها من العازاريين . لأن طبيعة جمعيتهم لا تسمح لهم بتضحية حاسمة ، ولكن يمكنهم أن يقوموا حتماً بعمل جيد للاهالي في سوريا . ويكفينا أن يعرف الناس أن الخير مصدره فرنسا . وذلك سيكون سهلاً إذا تحولت بعثة اليسوعيين في سوريا إلى بعثة فرنسية يرأسها فرنسيين وتتبع لفرنسا ، وقد اكد لي الأب بلانشيه أن هذه هي رغبة الأب المسؤول عن الجمعية .

التوقيع

أوجين بوجاد .

E. Poujade

وثيقة رقم (١١)

القنصلية العامة لفرنسا في سوريا

الادارة السياسية رقم (٢٩)

بيروت ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٦ .

سعادة السيد غيزو وزير الشؤون الخارجية في باريس .

أتاني السيد بلانشيه ليخبرني فجأة أن أخوات القديس يوسف قادمات إلى بيروت وهن الآن في مالطة . ولم يكن قد لّمح إلى مجيئهن قبل ذلك مطلقاً . وسوف يصلن على متن أول سفينة نمساوية بإشراف الأب ريللو . هذا الأب الذي وقف ضدنا عام ١٨٤٠ عندما تحول إلى رجل حرب يقود المسيحيين المتمردين بتواطؤ مع العميد نابييه Napier الذي استدعيته سعادتك عام ١٨٤١ .

. . . إن الانسحاب الخجول أمام الأب ريللو ، وتجاهل استدعائه لأخوات القديس يوسف ، والتفاوض مع روما لاستدعاء القادمين الجدد ، يعني بكل بساطة ، أن ننسحب ونترك جميع فوائد الاحتلال لليسوعيين . . .

اعتقد أن هناك أمراً غير مسألة الجنسية Nationalité . هذا الأمر هو سيطرة عملاء القوة الحامية وتحريكهم قبل أن ننتظر ذلك منهم . وأظن ذلك صحيحاً إلى حد ما بالنسبة لمختلف الجمعيات الدينية في سوريا ، خاصة بالنسبة لليسوعيين ، رغم جنسيتهم الفرنسية .

. . . إن لليسوعيين هنا عملين كبيرين : إلغاء العازاريين حيث وجدوا ، والتقدم عليهم أينما أرادوا أن يحلّوا . إلا أن العازاريين هم الممثلين الحقيقيين والوحيدين للأكليروس الفرنسي في سوريا . أعدادهم قليلة . يتابعون مهمتهم بتواضع ، وعلى استعداد دائم لتجنب الفضيحة والانسحاب أمام منافسة اليسوعيين العدوانية ، وهم بحاجة ماسة للدعم . أن يسوعيي بعثة لبنان فرنسيين . . لكنهم ينزعجون من قنصليتنا . . . وقد أجابني الأب

بلانشيه بأن له جنسيات ثلاث : يسوعي أولاً ، خوري ثانياً ، وفرنسي ثالثاً . هـذا النوع من التفكـير لا بـد وأن يكـون مـوجـوداً في مؤسسـات التعليم التي يشرف عليها اليسـوعيون . وبمـا أنه لا يمكن تـولي إدارة هذه المؤسسـات فمن الضروري أن أعمل لحصر نطاق الأرض التي يمـارسون نشـاطهم عليها ، ومن المهم أن نبعدهم عن بيروت أساساً .

إن كلية عينطورة تقدم كل سنة فوائـد ملموسـة أكثر فـأكثر . ويكتسب تلاميذها جنسية جديدة ويلتفون حول الحضارة الفرنسية .

. . . وقـد أنشئت مؤخـراً في خـان صيـدا مـدرسـة فـرنسيـة . . . إن مؤسسـات من هذا النـوع هي أفضل خـدمة يمكن أن يتلقـاها المسيحيـون من جانبنا .

التوقيع : بوريّه .

Bourreé.

وثيقة رقم (١٢)

القنصلية العامة لفرنسا في سوريا

الإدارة السياسية

رقم ٣٠ / ٣

بيروت ١٦ كانون الثاني ١٨٤٧ .

سعادة السيد غيزو وزير الشؤون الخارجية - باريس .

. . . لا أعلم لماذا عزم اليسوعيون على تركيز وسائل نشاطهم في سوريا ، في القسم المسيحي من لبنان . وقد تركوا نهائياً القسم المختلط حيث يشكل دعم الاكليروس الروماني ضرورة للأهالي ، وحيث لا تريد السدة البابوية ترك المجال مفتوحاً أمام دعاية الجمعيات التوراتية .

. . . إن الآباء الكرام يبحثون عن نفوذ خاص بهم ، ويودون انتزاع قسم مما بحوزتنا . وما يتلقوه منا لا يكفيهم . ولا يرضيهم أن يكونوا إلى جانب العازاريين ، والفرنسيسكان ، والكبوشيين ، وباقي الجمعيات الدينية .

. . . انني أقر لحضرتكم أنني بأمس الحاجة لوضع حد لهذا الصراع الخفي الذي يقوده ضدنا خوارنه فرنسيون ، يعملون بدأب وصمت ليحلوا محل الاكليروس المحلي الذي ترتكز عليه قوتنا المعنوية ونفوذنا السياسي .

التوقيع : بورييه .

وثيقة رقم - ١٣ -

مراسلات القناصل السياسية

تركيا - بيروت

مجلد رقم (٢) .

إن الامبراطورية العثمانية تتلاشى . لكن سوريا بموقعها الجغرافي بين اسيا الصغرى ومصر ، تعتبر مركز هذه الامبراطورية ، لا بل قلبها . كما تملك في الوقت نفسه إمكانية لإعادة الحياة التي انحسرت عن أطراف هذا الجسم الكبير .

أما أمر ذلك فمنوط بفرنسا ، بأ تؤسس وسط الشعب السوري كلية كبيرة دينية ، مدنية ، وزراعية ، يكون هدفها إدخال الحضارة الفرنسية إلى سوريا ، وتعميم اللغة الفرنسية فيها ، وتأمين هيمنة بلدنا على منطقة خصبة ومنتجة . ومن خلال علاقاتنا المزدوجة ، السياسية والتجارية ، مع هذا البلد ، يمكن أن نجني أكثر العلاقات نفعاً .

إن فرنسا ستحقق هذا الهدف بسهولة ، لأنها ستجد في سوريا ذلك التعاطف العميق المكتسب منذ زمن طويل ، والذي لا تزال التقاليد الدينية تحافظ عليه رغم مساوىء سياستنا .

لقد آن الأوان لفرنسا ، كي تشن مقاومة نبيلة ضد جهود الأمم الأخرى التي تسعى لتنتزع منها نفوذها الذي يشع به اسمها في المشرق منذ زمن طويل .

إن اسم « روسي » الذي لم يكن معروفاً في سوريا قبل هذه السنوات الأخيرة ، قد اكتسب فجأة أهمية كبرى من خلال الحماية الفعالة التي قدمتها حكومة سان بطرسبرج إلى اكليروس الروم ، خاصة عندما كانت مصالحها تتعارض مع مصالح الكنيسة الرومانية ، التي كما نعلم ، هي مصالح فرنسية أيضاً .

إن روسيا لم تعتمد على هذه الوسيلة فقط لنشر نفوذها . فقد أرسلت

العديد من الرحالة الذين درسوا البلد ونشروا فيه الكثير من الذهب ، وبالرغم من غياب مصالحها التجارية فقد عينت لنفسها قناصل وعملاء قناصل في مختلف مدن سوريا .

أما إنكلترا فأظهرت نشاطاً أكثر اتساعاً . وحصلت على نتائج كبيرة . وإذا لم يكن ذلك بفضل تعاطف الناس معها ، فهو على الأقل بفضل تجارتها التي عرفت منذ سبع سنوات اتساعاً ملحوظاً في هذه المنطقة من آسيا . إن الجناح البريطاني الذي كان بالكاد معروفاً على الشاطىء السوري أصبح اليوم أكثر بروزاً ؛ لكنه لم يسع لازدهار البلد ، بل فعل العكس تماماً ، فأخفى ما هو ثمين من ذهب وفضة وحلى . ورفض أن يأخذ مقابل حمولة بضائعه الحرير والقطن السوريين . . .

لقد وجه الانكليز أنظارهم نحو سوريا ، فأرسلوا إليها قناصل يشهد لهم بالكفاءة ، بينهم قنصل عام سكن أربع سنوات في دمشق . . والجهد الكبير الذي بذلناه لمنع دخوله إلى العاصمة ترك أثراً عميقاً في نفوس المسلمين .

إن العيون اليقظة ستلاحظ قريباً أن الوسائل غير الكاملة التي يستعملها السوريون لانتاج الأقمشة تبشر بفوائد كبيرة للصناعة الانكليزية ، فصناعيو مانشستر يقلدون الأقمشة المصنوعة في دمشق وحلب ودير القمر ، ثم يبيعونها بنصف الثمن الذي تباع فيه في بلد انتاجها الأصلي .

. . . ولكن هل تستطيع فرنسا أن تمنع إنكلترا من إنتاج الأقمشة التي تبيعها إلى سوريا ؟ بالطبع لا . كما أنها لا تستطيع أن تغلق أبواب سوريا ؟ ولكنها تستطيع بث الحياة في السوريين ، بأن تجعلهم صناعيين ، وتنقذهم من الضريبة القاتلة التي يدفعونها لغرباء يرهقونهم ويستغلون بلدهم كأنه منجم .

إن عدد سكان سوريا يبلغ حوالي مليون وأربعمائة ألف نسمة . بينهم ثلاثمائة ألف مسيحي . على هذه الأقلية أن تعيد الحياة للأكثرية التي تعيش بينها . وذلك بأن يُشاد مؤسسة كبيرة تحت حماية فرنسا ، تستقبل أطفال هؤلاء المسيحيين ، وتعلمهم مجاناً ، وتدربهم لكي يصبحوا حين انخراطهم في

المجتمع رجالاً أخلاقيين ، وصناعيين يتكلمون جميعاً اللغة الفرنسية ، ويدينون لفرنسا بما هم عليه من نعمة .

. . . إن إنشاء مؤسسة تكون في الوقت نفسه كلية دينية ، ومزرعة نموذجية ، ومدرسة للفنون والمهن ، ليس خرافة ؛ فقد وافق الأب القديس غريغوار السادس عشر على تصميم المشروع وأمر بتنفيذه . والأساتذة حاضرون . أنهم رجال كرام من جمعية يسوع تطوعوا بملء إرادتهم لهذا العمل . . هكذا نجعل من سوريا حليفاً أكثر أهمية من مستعمرة . لأنها ستكون منتجة لنا دون أي تضحية في المال والأنفس .

. . . إذن يجب ألا نناقش مسألة إرسال اليسوعيين إلى سوريا . بل علينا أن نعمل لجعل وجودهم في هذا البلد مفيداً لمصالح فرنسا . على أي حال ، يجب الاعتراف بأن اليسوعيين هم خير العاملين ، والدليل على ذلك أن إنكلترا البروتستانتية تقر لهم به ، وتطلبهم إلى الهند .

ومن بين جميع الجمعيات في آسيا ، لا تثير جمعية يسوع حسد أو شكوك الاكليروس المحلي .

. . . وينبغي أن نضيف بأن المشروع الذي قدمناه يمكن أن يستكمل بمؤسسة زراعية إلى جانب الكلية المذكورة .

ويعتبر محيط صور ، الأرض الأكثر ملائمة لبناء هاتين المؤسستين ، سواء من حيث الموقع الجغرافي ، أو من حيث التربة الغنية ، أو المياه الوافرة . . .

. . . من غير المعقول ألا نرى ما يمكن أن تقدمه هاتين المؤسستين من خدمات في الوقت القريب للقوة الناشئة لمحمد علي ، وللنفوذ الفرنسي في المشرق .

دون توقيع ودون تاريخ ومن المحتمل أنها
كتبت بين عامي ١٨٤٠ - ١٨٤٤ نسبة إلى
وثائق أخرى

وثيقة رقم - ١٤ -

تركيا ـ سياسة داخلية .

سوريا ـ لبنان .

الملف العام . تموز ـ كانون الأول (يوليو ـ ديسمبر) ١٨٩٧

عدد ١٠٥

ملاحظات للوزير : الطوائف الكاثوليكية في سوريا . آب (تموز) ١٨٩٧

. . . يمكننا ، بالشدة وبالتكتيك ، أن نستخدم اليسوعيين بطريقة مفيدة جداً لتوسيع دائرة نفوذنا .

إن دور أخوان العقيدة المسيحية Fréres de la doctrine chrétienne . . . يتلخص في طموح وحيد ؛ أن يجعلوا من طلابهم رجالاً لا رهباناً .

أما أخوات المحبة فقد تمكنوا من كسب تعاطف فعلي من المسلمين والمسيحيين نظراً للطابع الانساني الحقيقي لاعمالهم .

إن الموارنة هم دون منازع ، من أكثر الطوائف الشرقية الموحدة ، الذين يمكن أن نعتمد عليهم . . لقد برهن غالبية مطارنتهم عن رغبة في العمل لتطوير التعليم ونشر افكارنا الفرنسية بين رعيتهم . . . نحن نموّل كليتي مار مارون (في شمال لبنان) وقرنة شهوان (قرب بيروت) . . . إلا أن جميع هذه المؤسسات لا يمكنها أن تنتج بشكل جدي إذا بقيت ادارتها محصورة في أيدي أهالي البلاد .

. . . يشكل الروم الكاثوليك طائفة شرقية ، ذات مشاعر غير مضمونة نحونا . . وقد عبر بطريركهم واساقفتهم في مناسبات عدة عن غيرة لا مبرر لها من ارسالياتنا اللاتينية . . . أما الكلية البطريركية التي نموّلها في بيروت ، والتي تربى رئيسها في حلقاتنا الدينية في فرنسا ، فهي مخلصة لنا تماماً . . .

باختصار ، يمكننا أن نعتبر أن خدمة النفوذ الفرنسي في لبنان تتم بشكل

مفيد ، خاصة من جانب الطوائف الدينيـة اللاتينيـة ، ووفقاً للتـرتيب التالي . اخوات العقيدة المسيحية ، اليسوعيون ، اخوات المحبـة ، سيدات النـاصرة ، راهبات القديس يوسف ـ العازاريون .

التوقيع غير واضح

وثيقة رقم ـ ١٥ ـ

المراسلات السياسية للقناصل

تركيا ـ بيروت
المجلد الرابع

باريس ٢٨ تشرين اول ـ اوكتوبر ١٨٤١

السيد بورييه Boureé

بيروت .

. . . لا يَسعني الا مباركة النهج الذي اعتمدتموه اثناء الاوضاع الدقيقة التي عشتموها اثر احداث السنة الماضية . لقد ادركتم جيداً أنه مع دعمكم الحازم لقضية الكاثوليك في سوريا ، ينبغي تجنب كل ما يمكن أن يثير حفيظة الاتراك . كما يجب ان نبدو ، قدر الامكان ، في نظرهم ونظر مواطنيهم ، أننا اصدقاء وحماة ووسطاء .

هذا الموقف المزدوج ، الذي يبدو اليوم اكثر صعوبة منه في عصور خلت ، يجب ان نحافظ عليه بعناية أشد من الماضي لأنه كان المبدأ والقاعدة لنفوذنا في المشرق .

دون توقيع .

وثيقة رقم ـ ١٦ ـ.

تركيـا ـ بيروت
(مجلد (١) ـ مكرر)

قنصلية فرنسا في
عكا وضواحيها
الادارة التجارية رقم ٨٠

بيروت ٣١ كانون الثاني ـ يناير ١٨٣٥

موارنة لبنان يلتمسون حماية فرنسا التي
كان يتمتع بها اجدادهم .

السيد وزير الشؤون الخارجية في باريس .

. . . . لا يمكنني شخصياً أن اعطي جواباً نهائياً فيما يتعلق بقرار حكومة الملك في حماية الموارنة كما كان الأمر في السابق .

. . . إذا شاءت سعادتكم اعادة احياء حماية فرنسا للموارنة ، فسوف يكون لذلك فائدة كبيرة لمصالحنا السياسية والتجارية في سوريا .

التوقيع :
هنري غيز .

وثيقة رقم -١٧-

الفصل الرابع

التعليم اليسوعي واعداد النخبة

- المدرسة الابتدائية واسلوب التربية اليسوعي .
- مدارس الفتيات .
- التعليم الثانوي .
- التعليم الجامعي « جامعة القديس يوسف » .
- **ملحق الوثائق .**

المدرسة الابتدائية واسلوب التربية اليسوعي :

تمكن اليسوعيون ، حتى قبل الاتفاق مع فرنسا ، من تأسيس عدة مدارس ابتدائية للبنين والبنات ، وبعض المدارس الاكليركية لاعداد الاكليروس المحلي ، توزعت على غزير ، وبكفيا ، تعنايل ، كسارة وزحلة . وفي عام ١٨٤٦ انشأوا المدرسة الاكليركية المركزية الآسيوية التي ضمت رجال الدين وابناء كبار عائلات الجبل امثال : الخازن ، حبيش ، دحداح ، وخوري . وقد احتفظ اليسوعيون بعدد وافر من المدارس في جبل لبنان ، رغم مغادرتهم لغزير وانتقالهم إلى بيروت عام ١٨٧٥ .

ومع الدعم الفرنسي الذي اعقب الاتفاق الثنائي ، ضاعف اليسوعيون مدارسهم الابتدائية في مختلف مناطق لبنان لان « المدرسة الابتدائية هي افضل الوسائل لتغلغل النفوذ ، وتتفوق في هذا المضمار على الكلية وحتى على الثانوية ، لأنها تتوجه إلى أكبر قسم من الناس وتدخل الى الاوساط التي يصعب الوصول إليها . . . . »[١] . هذه الأهمية السياسية للمدرسة يؤكد عليها « هنري غيز » أيضاً الذي يرى « ضرورة تكثيف المدارس في سوريا حتى

---

(١) بول هوفلان . ذكرته Giappesi . المرجع السابق ص ٣٤٧ .

يتمكن جميع الاطفال من القراءة والاستفادة من التعليم الديني والاخلاقي لذي ننشره بينهم ولا يزال ينقصهم »[1] .

امتد نشاط اليسوعيين التعليمي الى صيدا وصور وحتى صفد في فلسطين . ومن زحلة تقدموا إلى بعلبك ورأس العين والقاع . اسسوا عام ١٨٧١ ميتم تعنايل الزراعي ، وفي عام ١٨٧٥ كان لهم مدارس في جبل لبنان شملت حوالي ثلاثين منطقة وقرية[2] . وقد كان لتعاليم « ليولا » مؤسس جميعة يسوع اثره البارز في التشديد على مدارس الاطفال والاعتناء بهم وتربيتهم « تربية مسيحية جيدة » ، لأنه يرى :

- ان كل ما كان جذراً كان له قوة كبيرة .
- ان كل ما كان ليناً ، كان لديه الاستعداد للتطويع .
- وان التقليد والعادة لهما دائماً تأثيراً قوياً .

ولذلك يجب أن يبقى الطفل اطول مدة ممكنة تحت رعاية الآباء وفقاً لمبادىء ثلاث تنظم العلاقة بينهما :

١ ـ مبدأ السلطة : التي تمارس أبوياً باسم الله .

٢ ـ مبدأ التكيف : الذي يعتمد على تمييز قدرات كل طفل .

٣ ـ مبدأ النشاط : الذي يرفض طريقة التبشير أو الوعظ التي تؤدي إلى سلبية المستمعين[3] .

والهدف من كل ذلك دفع الطفل « نحو الحقيقة » . عبر تشجيعه ، ومراقبة تمارينه ، والتأثير الشخصي عليه . هذه الصلة التوجيهية « الروحية » لم تلغ العقاب ، كطريقة للعلاج ايضاً ، الذي يتراوح من النقد المعنوي امام الآخرين ، الى الضرب والعقوبة المادية ، وصولاً إلى الطرد[*] .

---

(١) مرجع سابق ص ١٣٦ . . . henri Guys Esqusse

(٢) revue «Histoire des Missons» Tome III. 1926. p.22-25

(٣) charmot. F.sj: La pédagogie des jésuites. paris 1951. p.163.

(*) تشير بعض الروايات الى استخدام اليسوعيين للعقاب الجسدي بشكل قاس وعنيف يصل احياناً

وقد عرف اليسوعيون مرحلتين في تنظيم العمل المدرسي : تبدأ الأولى مع بدايات ظهور الجمعية وتنتهي مع قرار الغائها عام ١٧٧٣ . في هذه الفترة لم تعرف مدارسهم نظاماً داخلياً معيناً ، فالتلاميذ يتمتعون خارج الصف بحرية كبيرة ، لا تسمح بمراقبتهم والاشراف عليهم بشكل متواصل . اما المرحلة الثانية فتبدأ مع استئناف نشاط الجمعة عام ١٨١٤ . ويبدو أن ذلك الانقطاع الطويل كان حافزاً لتنظيم التعليم على أسس متينة ، يسمح لهم « باعداد التلميذ اعداداً شاملاً للحياة » كما يرغبون . فقد قسم الجسم التعليمي الى مدير ونظار واساتذة ، يمتلكون قدرة عالية على الاعداد الاخلاقي ، ويتابعون تلاميذهم خارج اوقات التعليم ، بحيث يجعلون من المدرسة عالماً صغيراً قائماً بذاته »[١] .

وتؤكد تعاليم « ليولا » على أن يكون التعليم اخلاقياً قبل كل شيء . لذا دعت الى غرس العقيدة الدينية في قلوب الاطفال قبل تعرفهم على العلوم الانسانية ، لأن التعليم ليس سوى وسيلة ، « وكما أن هدف المعارف التي نكتسبها في الجمعية أن تكون ، بعون الله ، نافعة للذات والآخر ، سيكون ذلك أيضاً القاعدة والمقياس لاختيار الدراسات لاطفالنا ، ومدى الزامهم بتطبيقها »[٢] .

وقد ترك التنظيم الديني الداخلي للجمعية بصماته على مؤسسات اليسوعيين التعليمية ، التي اتسم الانضباط فيها بالصرامة والشدة والتراتب « لأن الطاعة شرط ضروري للتلامذة الدينيين . . ولدى اليسوعي شعور ثابت بأنه ينتمي إلى مجتمع متراتب بقوة . فهو يتبع مسؤوله المباشر بدقة ، كما يمارس سلطته دون كلل على مرؤوسيه . ان الانضباط يخلق لدى التلميذ عادات الدقة

الى حد جلد الطالب المخالف . راجع كتاب :

la Flagellation chez les jésuites (Mémoires historiques). editeur: H.Daragon. Paris 1912.

(١) Bermoville Gaetan: Les jésuites. Paris 1934. p.274-275.

(٢) Histoire de la compagnie de jésus. Tome 4-Paris 1859. p.160

النظام . أنه تعبير عن ارادة الله »[1] . وهذا ما يعبر عنه أحد الآبـاء في وصفه لانضباط الطلاب وترتيبهم امام مسؤول البعثة في لبنان عـام ١٨٦٠ ، بقولـه : « كنت بـالقـرب من مسؤول البعثـة مـع الأب ريكـادونـا . ينتصب الشبــاب والبنات صفوفـاً متلاصقـة . انهم نخبة الشعب . . وتم سؤالهم بحضـوري . فتقدموا واحداً تلو الآخر . ووفقاً للتقليد المتبع كانوا يجثون عـلى ركبتهم امامي ويسمّعون درسهم وهم على هذا الشكل »[2] .

ولم يبلغ الخضوع للنظام ومستوى الانضباط في أي جمعية دينية ما بلغة في جمعيـة يسوع نـظراً لاعتماده أولاً ، عـلى الاتصـال الشخصي والمتـواصـل بـين التلميـذ والمربي . « إذ لا تـربية صحيحـة دون هذا الاتصـال ، ولا ينبغي ترك الطفل لـوحده بـاديء الأمر مـطلقاً . . . لـذا كان المـراقب يلاحقـه دائماً ، في الكنيســة ، في الصف ، في المقصف ، في الملعب ، وفي الحي » . وثــانيـاً ، اعتمـاد مبدأ المنـافسة بـين الطلاب[3] وقـد سمح هـذا النـظام الـذي اعتمـده اليسـوعيون بـايجاد قـاسم مشتـرك بـين جميـع مؤسسـاتهم التعليميـة في مختلف البلدان التي وصلوا إليها ، خاصة في اهتمامهم بـالطفـولة وتـركيزهم عليهـا . ففي لبنان ، مثلاً ، يقترح احد الآباء « الحصول » عـلى الأطفال لتحقيق مـا لم ينجـز مع الكبار فيقول : « أن أهالي زحلة يرفضـون رفضاً تـاماً أن يكـونوا من اتباعنا ؛ أننا لم نواجه مثل هذه الصعوبـة في أي مكان آخـر . لكننا عـاجلاً أم آجـلاً سنحصل عـلى الأطفال الأكـثر ليونـة من أهاليهم . . . هـذه المخلوقات البريئة تؤثر عليها الحقيقة بسهولة أكثر . . . »[4] . لكن طريقة التعليم لم تكن تختلف من حيث الشكل عما كـانت عليه في الكتـاتيب الاهلية ، فيصفهـا احد الآباء بقوله :

---

(١) Schimberg: L'education morale dans les collèges de la cie de jésus en France sous l'ancien régime (XVI, XVII, XVIIIs) Paris 1913- p.163.

(٢) bulletin d'œuvres des écoles d'orient. 1862- p.125.

(٣) Durkeim: Evolution de la pensée pédagogique en France. PUF. p.267-299.

(٤) bulletin d'œurves des Ecoles d'Orient 1874-1876 p.241.

« تتطلب الطريقة التي نتبعها في التعليم كثيراً من الصبر ، يفوق التركيز على الفكر . وتعتمد على أن يردد التلاميذ في وقت واحد الكلمة التي يلقيها عليهم الاستاذ . . . ويتكرر ذلك مراراً مع كل كلمة جديدة إلى أن يتم حفظ الدرس . ويقطع الدرس من حين لآخر استاذ شاب، ليسأل التلاميذ عما حفظوه . . . وإذا حصل وردد احد التلاميذ درسه دون اخطاء، يرسله المعلم إلى الرئيس الذي يستمع إليه مرة ثانية ، فإذا نجح في اداء ما حفظه بشكل جيد ، يتم ترفيعه إلى وحدة دراسية اعلى من التي كان فيها . . . هذه الطريقة تسمح لاطفال لا يعرفون مبادىء القراءة ، أن يتعرفوا على العقيدة المسيحية »[1] .

مدارس الفتيات :

لجأ اليسوعيون ، إلى جانب مدارس الفتيان التي أسسوها ، إلى انشاء مركزين نسائيين باسم اخوات مريم في بكفيا ، واخوات القلب الاقدس في زحلة . ثم ارسلوا في طلب اخوات مار يوسف الظهور اللواتي وصلن إلى لبنان عام ١٨٤٧ . إلا أن الموقف الفرنسي المعارض لليسوعيين آنذاك منعهن من ممارسة نشاطهن ، فاضطررن لمغادرة بيروت ، ولم يعدن إليها إلا بعد الاتفاق . وعلى خطى اليسوعيين بدأت بعثة « الاخوات » بانشاء المدارس والمياتم والمدارس الداخلية في بيروت وصيدا وحلب ودير القمر وصور وغيرها من المناطق لتعليم الموارنة بشكل اساسي ومنافسة البعثات البروتستانتية .

فمدرسة صيدا مثلاً « تنبع أهميتها من وجودها المناهض للبعثات البروتستانتية النشيطة خصوصاً في تلك المنطقة . . كذلك مدرسة دير القمر ، هي الوحيدة التي تدرس اللغة الفرنسية في منطقة هامّة تكتظ بالموارنة ، وحيث يقوم الانكليز بدعاية ضخمة »[2] . هذا الاستقطاب للموارنة تؤكده احدى اخوات البعثة بقولها : « أتت نساء مختلف القناصل لرؤيتنا ، وأبدت كل

---

(١) bulletin d'œuvres... 1863-p.18.

(٢) villenenve . . المرجع السابق . ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

واحـدة منهن اعجابهـا بتقدم تلميـذاتنا العـزيزات . . . كـان الصف يضم عام ١٨٧٤ مئة تلميذة مارونية »[1] . وكذلك جدول المدارس المسيحية التي تشرف عليهـا اخوات مـريم ويسوع في مختلف المنـاطق اللبنانيـة المسيحية بـين ١٨٥٣ و١٩٣١ . (عـين ابل ، البتـرون ، بيت شباب ، بكفيـا ، بكاسـين ، قـرنـة شهـوان ، الدامـور ، جزين ، غـزير ، حمـانا ، حـاريصا ، زحلة ، جـونيه ، وغيـرها . . .) التي ضمت اغلبيـة مـارونيـة واضحـة قيـاسـاً إلى الارثـوذكس والكاثوليك فيها[2] . وفي تـواريخ لاحقـة بين ١٩٢٤ و١٩٢٥ يؤكد Levenq على كثافة انتشار مراكز اخوات يسوع ومـريم في لبنان الكبـير قياسـاً إلى مناطق سـوريا الأخـرى ، حيث بلغت ثلاثـين بيتاً ، بينـما لم تتجاوز السبعـة بيوت في المناطق الباقية[3] . كذلك فعل Piolet في مجلة تـاريخ البعثـات ، ملاحـظاً أن عدد مدارس اليسوعيين في بعض المناطق اللبنانيـة (كبكفيا ، غـزير ، زحلة ، وعـين ابل . . . أي المنـاطق المسيحية) يفـوق عدة مـرات المدارس في منـاطق سوريا (حلب ، ودمشق وغيرها)[4] . ويبدو واضحاً أن أسباب هذا التمـركز الشديد في المناطق اللبنانية ، تعود لكثافة الوجود المسيحي الماروني فيها ، قياساً إلى المناطق السورية الأخرى التي انتشرت فيها البعثات اليسوعية .

التعليم الثانوي :

تعـود بدايـات هذا التعليم إلى الحلقـة الاكليركيـة في غزيـر التي اعدّهـا اليسوعيون لتكـوين الاكليروس المحـلي ، حيث أعطيت الـدروس بالـلاتينية ، الايطالية ، الفرنسية ، العربية ، والتركية . . . قبل أن تصبح الفـرنسية لغتهـا الـرئيسة أثـر زيارة الأب Maillard مسؤول اقليم ليـون ، « الذي اطلع عـلى

---

(١) luce Camuzet: L'œuvre en syrie des sœurs de st. j de l'apparition. Paris 1931- p.30-31.

(٢) les jésuites en syrie. fascicule XI-p.33.

(٣) levenq . المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٤) piolet: Revue d'histoire des Missions. tome III. 1926. p.63.

اوضاع هذه المؤسسة الاكليركية . . التي يشكل الموارنة اغلبية طلابها . . . وأمر أن تحل الفرنسية مكان الايطالية في التعليم ، وفي الاستعمال اليومي أيضاً . . وقد تم تنفيذ هذا الأمر في السنة التالية ، في الوقت الذي ضُمَّ إلى هذه الحلقة الدراسية قسم للطلاب العلمانيين »[1] .

وقد تحول التعليم في هذا الحلقة ، تدريجاً ، إلى تعليم يغلب عليه الطابع العلماني أثر تضاعف عدد الطلاب المسجلين في هذه الدراسات . ففي سنة ١٨٤٣ انشأ الآباء حلقة اكليركية لجميع الطوائف لاعداد الاكليروس المحلي . وفي ١٨٤٩ بدأوا باستقبال الطلاب العلمانيين ، وخصصوا قسماً لدراسة الفرنسية . وفي ١٨٥٥ أضيفت كلية أخرى إلى الحلقة ، وبعد أربع سنوات أصبح الطلاب العلمانيين اكثر عدداً من الطلاب الاكليركليين .

كان ذلك إيذاناً بتضاؤ ل الاعتماد على فكرة الاكليروس المحلي ، خاصة وأن « الدعايات المضادة » التي يبثها الوجود البروتستانتي ، الكثيف في بيروت بعد تأسيس « الكلية السورية الانجيلية » فيها ، باتت تُهدد نشاط اليسوعيين ، الذين نقلوا حلقتهم الدراسية من غزير إلى بيروت عام ١٨٧٥ التي أصبحت مركزاً تجارياً هاماً بعيداً عن الصراعات والمذابح الطائفية التي عصفت بالجبل . وقد اتسعت رغبة اليسوعيين « لانشاء مؤسسة كبيرة للدراسات الثانوية والعليا بجميع فروعها لتواجه البرتستانت الذين يهددون الايمان المسيحي التقليدي لمسيحيي جبل لبنان . . . وأن تجذب إليها جميع الكاثوليك ، حتى المنشقين منهم ، وكذلك المسلمين »[2] . إلا أن هذه الرغبة اصطدمت بمعارضة الحكومة الفرنسية التي رفضت تمويل المشروع رغم اتفاقها مع اليسوعيين ، فلجأ هؤلاء إلى « وسائلهم الخاصة » لجمع المال . « . . . فسافر الأب Linnot إلى اميركا ، . . وتم جمع المال اللازم عام ١٨٧٥ . . وتأسست الكلية »[3] ، التي

---

(١) مرجع سابق : julien-Nouvelle Mission. tome I. p.152.

(٢) louis jalabert: La conquête missionnaire par l'influence intellectuelle. in Revue d'histoire des Missions. No I 1931- p.326.

(٣) مرجع سابق : les jésuites en syrie. Séminaire Oriental tome I. p.10.

اصبحت اساساً لتعليم ثانوي تطور طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى بدايات الانتداب ، وقسم إلى أربع مراحل :

١ ـ التعليم الثانوي الكلاسيكي .
٢ ـ التعليم الثانوي الخاص .
٣ ـ الدروس التحضيرية للكليات العليا .
٤ ـ الصفوف التمهيدية .

١ ـ يتضمن التعليم الثانوي الكلاسيكي دراسة الفرنسية ، العربية ، الانكليزية ، التاريخ ، الجغرافيا ، الرياضيات ، الفيزياء ، والعلوم الطبيعية والفلسفية . يتقدم الطلاب في نهاية العام الدراسي لدورتي البكالوريا الفرنسية (فلسفة ـ آداب وفلسفة ـ رياضيات) . وتعيّن المفوضية الفرنسية مسؤولي الامتحانات التي يشرف عليها جامعيون من فرنسا . . كما يتطابق برنامج التعليم فيها مع برنامج التعليم الفرنسي .

٢ ـ تقترب مواد التعليم الخاص من مواد التعليم الكلاسيكي . ويسمح لطلابه بالتقدم إلى امتحانات البكالوريا اللبنانية بفرعيها الأدبي والعلمي . كما يمكّن الذين أنهوا دراستهم بنجاح ، ولم يتقدموا للامتحانات اللبنانية ، من الحصول على إفادة من الجامعة اليسوعية . يفرد التعليم الخاص مكاناً بارزاً للغّات ، خاصة الفرنسية والعربية منها . إذ يشرف عليها أستاذ خاص ؛ كما أن هناك اكاديميات لدراسة قواعد اللغة والأدب تضم افضل تلامذة الصفوف لعليا الذين يرغبون في تعميق دراستهم في الفرنسية أو العربية أو اللاتينية .

٣ ـ تخصص الدروس التحضيرية للذين لم يتمكنوا من متابعة دراستهم . وتؤهلهم للتقدم من امتحانات القبول في كليات الطب والصيدلة والحقوق والهندسة الفرنسية . ومدة الدراسة فيها سنة واحدة .

٤ ـ أما الصفوف التمهيدية فهي السنوات الابتدائية الأربع . وتضم عدة أقسام . يشرف على قسم الصغار فيها اخوات يسوع ومريم .

وتستقبل كلية غزير طلاباً داخليين ونصف داخليين ايضاً . ويتراوح سن

القبول بين الثامنة والثامنة عشرة . وقد تضاعف عدد طلاب الكلية حوالي ثلاث مرات منذ انتقالها إلى بيروت وحتى بدايات الانتداب الفرنسي . .

إذ ارتفع بين ١٨٧٥ و١٩٢٤ من ٢٧٦ إلى ٧٣٥ طالباً . كان نصفهم تقريباً من الموارنة والنصف الآخر من جميع الطوائف المسيحية[١] . وقد حقق اليسوعيون في مجالي التعليم الابتدائي والثانوي تفوقاً ملحوظاً على سائر الارساليات البروتستانتية والفرنسية على حد سواء . أما التعليم الجامعي اليسوعي فكان يواجه عقدة الجامعة الاميركية التي تأسست قبل سنوات من مشروعهم المماثل .

التعليم الجامعي

« جامعة القديس يوسف » .

أبصرت « جامعة القديس يوسف » النور ، بعدما وافقت الحكومة الفرنسية على المشروع الذي تقدم به اليسوعيون بهذا الشأن عام ١٨٨٣ . وقد تم الاتفاق على افتتاحها ابتداءً بكلية طب فرنسية ، « لأن كلية القديس يوسف الثانوية » لا يمكن أن تواجه نفوذ المؤسسات التعليمية للبعثة البروتستانتية الاميركية . كما لا يمكن مواجهة هذا النفوذ إلا بجامعة حقيقية . هذا بالاضافة إلى أن تلك الجامعة تفتح مجالات للعمل من خلال الطب ، والحقوق ، والدراسات العلمية للشبان الذين يتخرجون منها »[٢] .

كلية الطب :

لم تقتصر اهداف انشاء جامعة القديس يوسف وافتتاحها بكلية للطب ، على مواجهة النفوذ البروتستانتي المنافس فقط ، بل كانت الرغبة الفرنسية في بسط النفوذ وتطويع العقول ، حافزاً هاماً من حوافز ولادتها . « لأن الشبان

---

(١) مرجع سابق : revue d'histoire des Missions. tome III. p.67.

(٢) المرجع نفسه . ص ٦١ .

ذوي الثقافة الثانوية الفرنسية ، سيتابعون لمدة ست سنوات دراسة كلمات تقنية تفرض عليهم معرفة عميقة إلى حد ما بلغتنا . هؤلاء الشبان سيتكلمون الفرنسية أيضاً فيما بينهم . . . لكن اللغة معبر للأفكار . . فالنظام الطبي سوف يعلمهم بقوة الاشياء ، ويغرس في عقولهم طريقة فرنسية في الحديث والتفكير . . . أن المواد الدراسية ، في الصيدلة ، والأمراض والعلاج ، توجههم نحو الطرائق ، والأدوية ، والكتب ، والوسائل الفرنسية ، وإلى فرنسا حتماً سيذهب معظمهم للتخصص (*) »(١) ويعبر السفير الفرنسي في القسطنطينية عن ذلك أيضاً . بشكل أكثر وضوحاً : فيشيد بـ Gambetta وبالكاردينال Lavigerie صاحبا فكرة الكلية اللذان أرادا « إيجاد مدرسة فرنسية في سوريا يؤمها شبان البلد من أجل العلوم الطبية ، والتعمق في دراسة لغتنا ، كي ينتشروا فيما بعد في انحاء الشرق كافة كاصدقاء لنفوذنا وحضارتنا . . . » (٢) .

سار تطور الكلية ببطء ، لأن الباب العالي رفض الاعتراف بصلاحية الدبلوم الذي تمنحه ، وفرض على الاطباء المتخرجين فحصاً يسمى « كولوكيوم » ، يجري في القسطنطينية ، يمنح الناجحون حق ممارسة المهنة في تركيا . ولأن الحكومة الفرنسية أيضاً لم تضف الصفة الرسمية على الكلية إلا

---

(١) مرجع سابق : les jésuites en syrie, tome II. p.41

(*) لم يكن التعليم كوسيلة لاعداد عقول فرنسية يختص بفرنسا وحدها . بل كان ذلك اسلوبا عاماً مارسته القوى الأوروبية الاستعمارية المختلفة في البلدان التي حطت فيها ، خاصة الاسلامية منها . ضمن هذا الاطار انشأ كرومر في مصر « كلية فكتوريا » التي قال عن طلابها اللورد لويد ممثل بريطانيا في مصر سنة ١٩٣٦ : « كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل الصلة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ ، فيصيروا قادرين على أن يفهموا اساليبنا ويعطفوا عليها . . . ومتى تسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية اكثر مما عرف عنها في الماضي ، يتنبه الآباء الى أن تعليم اولادهم فيها ينمي فيهم من الشعور الانكليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والعربي . . . » .
ذكره د. محمد محمد حسين في كتابه : الإسلام والحضارة الغربية . مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٩٨١ ص ٤٦ .

(٢) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . رسالة من سفير فرنسا في القسطنطينية الى وزير الشؤون الخارجية . في ١٨ اكتوبر (ت١) ١٨٩٨ .

عام ١٨٨٥[*] ؛ وبعد ذلك « اصبح التنظيم المادي للكلية يتم في بيروت ، بينما تصاغ البرامج والقوانين في فرنسا » .

تولى اليسوعيون ادارة الكلية . وتولت الحكومة الفرنسية الاشراف المالي عليها ، وارسال الهيئة التعليمية من فرنسا . فكانت تزور الكلية كل سنة لجنة فرنسية للتدقيق في الامتحانات والدبلومات . وقد تمت صياغة شروط معينة لقبول الطلاب « في هذه الكلية البيروتية التي تمثل النموذج الباهر لما يمكن أن يحققه التعاون الوثيق بين السلطات العامة والمرسلين »[1] فما هي هذه الشروط التي أثارت استياء السفير الفرنسي واعتراضه ؟ :

« يُقبل في كلية الطب الشرقيون والاوروبيون المولودون في الشرق الذين استقرت عائلاتهم هناك نهائياً . وعلى من يرغب الالتحاق بها أن يكون حائزاً على البكالوريا الفرنسية . أما من لم تتوفر فيه هذه الشروط فيخضع لامتحان أمام لجنة يعيّنها ويرأسها مندوب من المفوضية الفرنسية العليا . جميع التلاميذ خارجيون . والتدريس باللغة الفرنسية »[2] . أدت هذه الشروط القاسية إلى تقليص عدد الطلاب . فكتب السفير الفرنسي ، إلى مسؤوليه يحتج على ذلك قائلاً : « أن الهدف السياسي الذي وضعناه لأنفسنا يتراجع اليوم أمام ما يزعمونه من فوائد علمية »[3] .

أما بالنسبة للأب اليسوعي « جوليان » فقد حققت هذه الكلية ، فيما بعد ، اهدافها لأنها « أضعفت المدرسة البروتستانتية ، وقاومت ببطولة النفوذ الذي حاولت هذه الأخيرة نشره من خلال الهرطقة أو اللامبالاة الدينية ؛ كما قدمت للبلاد الاطباء الأهليين المثقفين بالشكل الملائم وغالبيتهم من المسيحيين الممتازين الذين يعرفون كيف يستفيدون من ثقة زبائنهم ليوجهونهم نحو

(*) حول الخلافات بين اليسوعيين والبابا العالي وفرنسا بشأن كلية الطب ، يراجع ملحق الوثائق .

(١) مرجع سابق : les jésuites en syrie fascicule II. p.8

(٢) مرجع سابق : revue d'histoire des Missions. tome III. p.323

(٣) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . رسالة بتاريخ ١٨ ت١ (اكتوبر) ١٨٨٩ .

الأفضل ، وقد قدموا خدمات جلى للمرسلين في مؤسساتهم الخيرية . . . . »[1] .

في عام ١٨٨٩ أُلحق بكلية الطب كلية للصيدلة . ومنذ ذلك الحين الغي التمييز بين الدبلوم الفرنسي وبين الدبلوم المعطى في بيروت . كما أُلحقت كلية الطب في بيروت بكلية الطب في ليون وأُتبعت مالياً للمساعدات الحكومية . وهكذا غدت مع كلية الصيدلة « أرضناً رائعة للتوسع الفرنسي . تخرج منها حوالي ٥٣٥ طبيباً ، يحملون الدبلوم الفرنسي ، ويبشرون بنفوذنا ، وبفعالية طرائقنا العلمية لا في سوريا فقط ، بل في الامبراطورية العثمانية باسرها ، وحتى في فارس ومصر . . . . »[2] .

استمر توسع الجامعة في فترات متلاحقة ، واضيف إليها عدة فروع . واحد للهندسة وآخر للحقوق عام ١٩١٣ . وقد تأسس هذان الفرعان أثر دراسة قام بها في سوريا بول هوفلان، استاذ كلية الحقوق في ليون ، و Rigollot ، مدير مدرسة ليون المركزية ، وعمدا دعماً لهذه المبادرة إلى انشاء « الجمعية الليونية لتطوير التعليم العالي والتقني في الخارج » التي ضمّت إلى جانب الجامعيين بعض رجال الاعمال ، خاصة تجار الحرير الكبار ، امثال « E. Morel » ، و «Louis Guerier» . فكان من أبرز جهودهم ايجاد مدرسة الحقوق في بيروت . التي أشرف اليسوعيون على تنظيم التعليم فيها ، بينما اشرفت جامعة ليون على البرامج والدبلومات[*] . ولا يقتصر هذا الدور « الليوني » على دعم مدرسة الحقوق ، فها هو عميد جامعة ليون بول جولان ، يطلب من غرفة تجارة ليون المشاركة أيضاً في تأسيس مدرسة المهندسين « لأن هدف هذه المدرسة الفرنسية ، اعداد تقنيين لتطور البلاد الاقتصادي في ظل الانتداب ، وتطوير بلاد اخرى في الشرق الأوسط . . . »[3] .

---

(١) مرجع سابق : jullien. Nouvelle Mission... p.86

(٢) r.Ristelhueber: «Traditions Françaises au Liban» paris 1918 p.279.

(*) راجع فصل اليسوعيون في سوريا ولبنان (اليسوعيون بين الصراعات الدولية والتحولات الداخلية : مدينة ليون : الاقتصاد والتبشير) .

(٣) ذكره كوثراني المرجع السابق ص ١٩١ .

كما تأسس في الفترة نفسها مرصد كسارة والمكتبة الشرقية وأُلحقا بالجامعة . فقدم المرصد خدماته الجغرافية للجيش الفرنسي ، وتولى بالتنسيق مع الطيران والوحدة البحرية ، مسؤولية الاشراف على الأجهزة الجوية في سوريا[1] .

وكقسم من مكتبة الجامعة ، انشئت الكلية الشرقية ، التي انفصلت عنها ، فيما بعد ، عام ١٩٠٥ ، وتوسعت بفضل المساعدات الفرنسية لها . أما الهدف من الانفصال والتوسع فهو « استقبال الأوروبيين الراغبين بتعلم اللغات والآداب الشرقية ، على غرار الكليات التي أسسها الالمان في دمشق وحلب وحماه . . . » إلا أن الحرب العالمية الأولى اقفلت أبواب هذه الكلية .

المطبعة الكاثوليكية :

أدى هذا التوسع في مؤسسات اليسوعيين التعليمية ، من المدارس الابتدائية والتعليم الثانوي ، إلى الجامعة باقسامها التي بدأت تتسع وتتشعب، إلى تأسيس هذه المطبعة التي لبّت حاجتهم للنشرات الدينية ، والعلمية والكلاسيكية والاسبوعية فكان من أهم منشوراتها الدينية كتب الوعظ الديني ، والصلوات ، والتعليم المسيحي ، وتاريخ القديسين ، وطرق الصليب ، وغيرها[2] .

أما منشوراتها العلمية والكلاسيكية فتوزعت بين كتب القراءة ، القواعد القواميس ، الجغرافيا ، والتاريخ ، وبين التاريخ المسيحي وتاريخ لبنان والموارنة . ومنها على سبيل المثال : مختصر التاريخ المقدس ، تاريخ الكنيسة ، تاريخ آخر اباطرة الرومان ، تاريخ لبنان ، تاريخ اساقفة الطائفة المارونية ، تاريخ بيروت ، تاريخ بعلبك ، تاريخ خان الفرنسيين في صيدا . . . . »[3] .

---

(١) مرجع سابق : les jésuites en syrie. volume I. No IV. p.10.

(٢) مرجع سابق : u.St. joseph. Les jesuites en syrie. Volume VI. p.7.

(٣) مجلة المشرق ـ ١٩٠٠ ص ٣٥٩ .

واشهر منشوراتها الاسبوعية مجلتي البشير والمشرق . فالبشير « يشرف عليها مرسلون يتمتعون بالحماية الكريمة لفرنسا . وتحمل ، في الوقت نفسه ، كعرفان بالجميل ، شرف الدفاع عن الأمة التي تستحق أن تسمى البنت الكبرى لفرنسا . . . أما « المشرق » ، فتخوض إلى جانب « البشير » معركة الدفاع عن الحقيقة الكاثوليكية » .

هذا بالاضافة إلى نشرات الكلية « الشرقية «Mélanges» في جامعة القديس يوسف .

لم يتوقف النشاط اليسوعي عند أبواب المدارس أو الجامعات ، بل شمل مرافق الحياة ومؤسساتها على أنواعها . فأسسوا المياتم التي تعلّم المهن كالطباعة والحدادة والنجارة . . . واثناءها التعليم الديني ، واللغتين الفرنسية والعربية باشراف معلمين اجانب . « وقد رأى المرسلون أهمية اعداد الصناعيين إلى جانب طلاب العلوم الأدبية . وطلبوا لهذه الغاية من مسؤوليهم انشاء مدرسة للفنون والمهن. كما طلبوا مساعدة مادية من أجل بناء هام في الوسط التجاري »[1] وكان لهم ميتم في تعنايل وآخر في بيروت . وفي سنة ١٩١٠ أسسوا إلى جانب الميتم في تعنايل مدرسة للمعلمين يتعهد طلابها بعد تخرجهم ، وبموافقة الأهل الخطية ، أن يدرّسوا عشر سنوات في مدارس البعثة ، ومن الأفضل أن يكون ذلك في القرى .

وقد حملت مؤسسات اليسوعيين على تنوعها ، أهدافاً تتكامل فيما بينها ، من نشر الثقافة الفرنسية ، وسيطرة لغتها وافكارها ، إلى اعداد « النخبة القائدة » التي تمثل الهدف الرئيسي بينها . « لأن اعداد النخبة المسيحية . . يسمح لهذه الجماعة التي أثقل كاهلها النير الإسلامي ، أن تتحضر شيئاً فشيئاً . وقد أعد المرسلون لساعة الحرية ، طبقة وسطى قادرة على انتزاع الفائدة ، ونخبة ذكية ، مثقفة ومؤهلة لقيادة الأمم المحرَرة . . . أنه لواجب على المرسلين أن يطوروا النخبة الأهلية ويضاعفوها ، وذلك بانتظار اليوم الذي

---

(١) مرجع سابق : bulletin d'œuvres . des E . d'o . 1862 . p . 240

ستترك فيه سوريا ولبنان . لكن هناك خطر يجب الانتباه والاشارة إليه ؛ ذلك أن النخبة لا تبقى كذلك إلا إذا سيطرت . وإذا أردنا توسيع هذه النخبة ، فيجب ألا نخفض مستواها بأن نفتح المجال امام الجميع لتولي المراكز والمسؤوليات ، وذلك تفادياً للإخلال بالتوازن والانسجام الاجتماعي في البلد »[1] .

ونجح اليسوعيون في تحقيق هذا المهن ، بعد أن شد ازرهم الدعم الفرنسي ، فأعدت مدارسهم وجامعتهم « نخبة » من ابناء المسيحيين تمكنت من الالتحاق بالتعليم العالي الذي لم يكن مجانياً ، خلافاً للتعليم الابتدائي الذي فتح ابوابه للجميع . هذه « النخبة » تضم « القادة الانسانيين والمستنيرين . . الاوفياء لفرنسا » ، على حد تعبير احد القناصل ، « التي ستقود الأمم المحررة » ، لأن بعثة يسوع « مارست في سوريا دوراً فرنسياً خالصاً ، عبر التربية التي تلقاها اولاد الأمراء والمشايخ والأعيان ، والتي كان يضطلع بها اساتذة فرنسيون . . »[2] ولا يخفي بول هوفلان هذه الحقيقة أيضاً فيقول : « أن تعليم الناس لغتنا ، لا يعني إلفة افواههم وأذانهم للصوت الفرنسي ، بل يعني فتح نفوسهم على الأفكار الفرنسية ، وعلى العواطف الفرنسية وأن نجعل منهم فرنسيين من ناحية ما . . . هذه السياسة تؤدي إلى فتح بلد بواسطة اللغة »[3] .

هذه « النخبة » التي ألِفَت اللغة والفكرة الفرنسية استلمت مقادير الحكم حين « تُركت سوريا ولبنان » ، فتعاقب على سدة الرئاسة من تتلمذ على يد المرسلين اليسوعيين ، « واكتفى » خريجو المدارس التركية والجامعة الاميركية ، وهم المسلمون عموماً ، بما دون ذلك[4] . وكأن هذا التفاوت القسري في

---

(١) مرجع سابق : revue d'histoire des Missions. p.334. 335.

(٢) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . رسالة من قنصل فرنسا العام في بيروت . ١٨ أيار (مايو) ١٨٦١ .

(٣) paul Huvelin: Congrés français sur la syrie. Facicule III. ch. de commerce de Marseille 1919- p.7-8.

(٤) راجع تفصيلاً احصائياً لذلك في : naaman A: «Le français au Liban»- essai

مراكز المسؤولية ، بين الطوائف ، كان يستبطن غلبة للتعليم اليسوعي وللنفوذ الفرنسي ، على التعليمين الإسلامي(*) والبروتستانتي ونفوذها .

وكان لا بد أن تسعى « النخبة الوفية » إلى تثبيت شرعية السلطة التي تربعت عليها ، من خلال توكيد الانتماء ، لجذور حضارية وثقافية لها ، وللكيان على حد سواء . وترافق هذا الادعاء في التعليم وفي السياسة في آن معاً . « وما ترويه كتبنا المدرسية وكتبنا غير المدرسية عن عظماء الماضي اللبناني ما هو إلا أساطير تهدف إلى تنمية الولاء للوطن اللبناني القائم اليوم »(١) .

هكذا ، كانت المدرسة اليسوعية ، عبر اعدادها لتلك « النخبة » أساساً ، مدرسة تفرق ولا توحد . تعمق الانقسام في الانتماء التاريخي والراهن ، ولا تترك للمستقبل اكثر من محاولات لالحاق الطوائف الأخرى بتلك الجذور الموهومة ، أملاً في ابتلاع شخصيتها أو قضم انتمائها . .

---

sociolinguistique- Paris- Beyrouth. 1979- p.94-97.

(*) وضع اليسوعيون نصب أعينهم محاربة الجامعة العربية التي أسستها الحكومة العثمانية في دمشق . « وكانت نواة لجامعة اكبر تضم مدرسة للطب ومدرسة للحقوق . . . فرأى اليسوعيون في هذا المشروع انذاراً لهم ، لأنه يؤدي إلى خسارة الطلاب العرب الذين سيلتحقون بها . . . وقد عرض مسؤولوا الجامعة اليسوعية هذا الأمر للجنرال غورو ، وطلبوا منه ، كقرار وطني ، ان يعلن الاقفال النهائي لجامعة دمشق . . . » .

catroux: Deux missions au moyen Orient (1919-1922) Paris 1957. p.58-59-60.

(١) كمال الصليبي . مقابلة مع مجلة الحوادث اللبنانية عدد ١١١٠ ـ ١٩٧٨ .

ملحق وثائق الفصل الرابع

(١) اهتمام يسوعي بالمدرسة الابتدائية . مراقبة فرنسية للنشاط اليسوعي الذي يقترب من النمسا .

(٢) المنح الفرنسية تجذب ابناء العائلات .

(٣) اعداد اشخاص ينشرون اللغة الفرنسية . أهمية مؤسسات اليسوعيين . ضرورة التعاون معهم لنشر الفرنسية .

(٤) تعليم الأطفال افضل وسيلة لنشر النفوذ الفرنسي . ضرورة توسيع المدارس إلى أنحاء لبنان كافة .

(٥) علاقة التعليم بالبعثات الدينية . تنبيه إلى كيفية الحفاظ على المعارف الفرنسية التي يتلقاها الطلاب العرب .

(٦) أهمية سوريا . أهمية العنصر المسيحي فيها . أمجاد فرنسا عام ١٨٤٠ . القلق من منافسة البروتستانت . تحول التعليم إلى قضية سياسية . تساؤل حول التعليم العلماني . اعتراف بفضل اليسوعيين والعازاريين في نشر النفوذ الفرنسي . أهمية التعليم الديني .

(٧) قلق من التضييق العثماني على كلية الطب الفرنسية وعلى خريجيها . رغبة الباب العالي في تطوير كلية الطب الملكية .

(٨) خشية فرنسية من تزعزع وضع كلية الطب بسبب أزمة الدبلوم .

(٩) اهداف كلية الطب سياسية ودعائية قبل أي فائدة علمية .

(١٠) مدرسة طب فرنسية لمواجهة النفوذ البروتستانتي . اعتماد على الاطباء المتخرجين لنشر النفوذ الفرنسي في تركيا .

(١١) مدرسة اليسوعيين في بكفيا .

(١٢) نص الاتفاق المشترك اليسوعي ـ الفرنسي حول كلية الطب . مواد التدريس . اللجان . الامتحانات . فترة الدراسة . ملحق جامعة القديس يوسف . التعليم الثانوي واقسامه . التعليم العالي ومواده .

قنصلية فرنسا في بيروت

الادارة السياسية

رقم ٤٦

الادارة السياسية

رقم ٤٦

بيروت ١١ أيار (مايو) ١٨٤٢ .

حضرة الوزير

سعادة السيد غيزو . . .

إن اليسوعيين منهمكون منذ عدة سنوات بمشروع ، شرحوه تفصيلياً في روما وفي باريس . والمشروع عبارة عن مدرسة ابتدائية تستطيع استقبال مائتي طفل ، وكلية داخلية ، ومدرسة اكليركية ستتمكن خلال عشرين سنة من تحويل الاكليروس اللبناني المحلي إلى اكليروس اوروبي تقريباً .

. . . لقد قدم الاباء اليسوعيون للاتراك براهين على تعاطفهم معهم ، لكنها تبدلت مع الزمن . . . وقد اشترى اليسوعيون ، دون أي اعتبار للقوانين السارية في الامبراطورية العثمانية ، عقاراً هاماً يقع في مدخل بيروت وبدأوا البناء عليه . . . وقد أعطى مصطفى باشا الأمر بايقاف كل شيء . . . أما موقفي من هذه العملية فكان موقفاً متجاذباً . فقد كتبتم لمن سَلَفني ، يجب ألا ننسى أن مؤسسة اليسوعيين يمكن أن تبقى بدوننا أو رغماً عنا . وبناء على ذلك ، اكتفيت بالمراقبة الدقيقة لمراحل العملية ، دون أن أُظهر لليسوعيين إتعاطفاً قوياً أو معارضة لمشروعهم .

إلا أنهم بعد أن عملوا ما يحلوا لهم ، عادوا إلينا لعلهم يتخلصون من الورطة . وتكثفت زيارات مسؤول البعثة إلى القنصلية ؛ إلا أن ثقتهم ليست مطلقة ؛ وهم يريدون أن يضعونا أمام خيارين : أما أن نطلب نقل مؤسستهم

إلى حلب ، وأما أن نقوم نحوهم بخطوة جدية ، تضعم تحت الحماية الفرنسية .

لقد وصلتني معلومات دقيقة . . . أن المفوضية النمساوية طلبت . . فرماناً يسمح لها ببناء كنيسة خاصة في بيروت تابعة للقنصلية العامة ، على غرار تبعية كنيسة الكبوشيين لقنصلية فرنسا .

وستقام الكلية إلى جانب هذه الكنيسة الخاصة التي سيكون لها أهمية الكنيسة العادية . وسيقوم اليسوعيون بالعمل في الكنيسة الخاصة حيث كل شيء تحت حماية النمسا التي ستدفع بسخاء لهذه المؤسسة الدينية والسياسية .

التوقيع

م . بوريه

M. Boureé.

وثيقة رقم (١)

ادارة الشؤون السياسية

رقم ٥١

بيروت ١٤ ت ١ (اوكتوبر) ١١٨٧

من Levicomte de Petite Ville، قنصل فرنسا العام في بيروت إلى M. Flourens ، وزير الشؤون الخارجية .

سيدي الوزير

ارجو المعذرة لأنني لم اتمكن لغاية الآن من موافاتكم بتقرير مفصل عن المنح الفرنسية في مدارس سوريا . . .

عندما تقرر أمر المنح في سوريا ، وضعنا لذلك هدفين رئيسيين . الهدف الأول أن نجعل اتباعاً لنا من بين العائلات التي تم اختيار ابنائها للمنح ، والهدف الثاني أن نثير رغبة مسؤولي المؤسسات ورغبة الطلاب في دراسة اللغة الفرنسية . وقد تحقق هذان الهدفان إلى حد ما ، لأننا استطعنا أن نجذب عدداً من العائلات النافذة التي تربي أولادها على حب فرنسا ، أو على الأقل على معرفة لغتها وتاريخها . . .

باختصار : لقد اخترنا ٩١ شخصاً لنوزع عليهم منحاً ونصف منح ، بينهم ستون مارونياً من أصل ٣٣٠الف نسمة ، و١٥ روم كاثوليك من أصل ٦٥ ألف نسمة ، وسبعة فرنسيين ، وثلاثة أرمن كاثوليك ، ودرزيان ، واثنان روم ارثوذكس ، واحد سرياني ـ وواحد لاتيني غير فرنسي . . . . . .

التوقيع **Petiteville.**

عادل اسماعيل ـ المجلد ١٥ ـ (١٨٨٣ ـ ١٨٩٠) .
رسالة رقم ٥٦ .

وثيقة رقم (٢)

عينطورة ١٢ ك ١ (ديسمبر) ١٨٤٧

رقم ٥

حضرة السفير

. . . ان المدارس الابتدائية تعلم هذا الشعب المسكين المبادىء الاولية للغته ودينه الذي يجهله ؛ أن بناء عدد صغير من المدارس العليا وفقاً لحاجات البلد سيؤدي إلى اعداد اشخاص قادرين على ممارسة مهن مستقلة أو حرة ، ويفيدون ، علاوة على ذلك ، في نشر لغتنا .

. . . أما فيما يتعلق بحكومة الملك ، فهي معنية أيضاً بهذا العمل ؛ لأنها تدرك تماماً أن خدمتها للمصالح الدينية ، يعني خدمة الحضارة التي هي في الوقت نفسه مصالح السياسة الفرنسية .

إن أكثر من ستين طالباً عربياً في عينطورة يتعلمون بفضل العازاريين معرفة فرنسا . هذه المعرفة تتم بواسطة اللغة ، وبواسطة التربية ، وهذه الأخيرة هي الأكثر خدمة ونفعاً .

. . . إلا أن مؤسسات اليسوعيين هي الأكثر أهمية في لبنان . ويكفي أن تكون واحدة من تلك المؤسسات في زحلة حيث يتلقى ٧٠٠ طفل وطفلة تعليماً ابتدائياً مجانياً . أن تولي رهباناً فرنسيين إدارة هذه المؤسسة ، خارج وصاية فرنسا ، يترك اسوأ الأثر في البلاد .

. . . وإذا لمس اليسوعيون بوادر طيبة من حكومة الملك التي لا يثقون في نواياها ، أعتقد أنهم سيقبلون طوعاً أن يدرّسوا اللغة الفرنسية في جميع بيوتهم كما يفعلون الآن وبنجاح في بيروت .

. . . هكذا ستنحني البربرية العربية لا ارادياً أمام الحضارة المسيحية لأوروبا .

التوقيع

cte de Lattenaud

وثيقة رقم (٣)

قنصلية فرنسا في بيروت

الادارة السياسية

رقم ١٣

سعادة الوزير غيزو وزير الشؤون الخارجية في باريس .

من بين السبل العديدة التي يمكن بواسطتها نشر وتأمين نفوذنا في سوريا ، يعتبر تعليم الأطفال الذي ترعاه فرنسا اكثرها فعالية . ولهذا السبب كان لِمَنح كلية عينطورة نتائج ممتازة ؛ إلا أن هذا الاحسان يقتصر على عدد صغير من الاشخاص ؛ هذه المنح تسعى بشكل خاص لاعداد زعماء انسانيين ومستنيرين في لبنان .

لذا اقترح ، سعادة الوزير ، أن يشمل هذا الاحسان سكان لبنان عامة ، بأن نؤسس في النقاط الهامة من هذا الجبل مدارس ابتدائية صغيرة يتعلم فيها الأطفال قراءة لغتهم وكتابتها ، ويشرف عليها مرسلونا حيثما يتواجدون : ويدعى العازاريون ، واليسوعيون ، والكبوشيون ، وآباء الأرض المقدسة ، والكرمليون ، لممارسة هذه المراقبة التقية . وسيعلم سكان لبنان أن الفضل في وجود هذه المدارس يعود لفرنسا مباشرة .

. . . لقد تم ترتيب مدرسة ابتدائية في بيت مري بأقل من الف قرش ، وبمئتين وخمسين قرشاً . . . ولكن ببضعة آلاف من الفرنكات يمكننا أن نقوم بخير اشمل ، وأن نجذب سكان الجبل دون بريق ، وسيكون لهذه المدارس فائدة جمع الأطفال من مختلف العقائد ، وايقاف الحقد الذي يقسم الجبل . إلا أنها لن تبنى دفعة واحدة ، بل تدريجاً وفقاً للحاجة والظرف المناسب .

التوقيع : بوجاد .
Poujade.

وثيقة رقم (٤)

٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٤٧

من السيد Turpin حاكم محطة المشرق إلى وزير البحرية والمستعمرات في باريس .

سيدي الوزير

. . . أن التعليم في لبنان يخضع بشكل عام للبعثات الدينية ، فلأديرة « الأرض المقدسة » بعض الكليات حيث تدرس اللغة الايطالية ، ويربى الطلاب فيها على حب النمسا . وللعازاريين مدرسة تعلم الفرنسية لخمسين أو ستين طالباً من أهم العائلات في لبنان . ولليسوعيين ثلاث مدارس وحوالي خمسمائة تلميذ جميعهم من المسيحيين تقريباً ، وقد توصلوا مؤخراً للحصول على بعض اطفال الدروز .

وللمرسلين الاميركان والانكليز أيضاً مدرسة حيث يتم تعليم الانكليزية لقليل من الطلاب المسيحيين ، وكثير من الأطفال الدروز .

لكل مدرسة تلامذتها النموذجيين الذين لم يبق فيهم أي شيء عربي . حتى أن بعضهم يرتدي الزي الأوروبي . أن العرب اذكياء جداً ويتعلمون ما نلقنهم بسرعة قصوى ؛ ولكن ما أن يعودوا إلى عائلاتهم حيث لا مجال لتطبيق معارفهم ، أو أنهم لا يعرفون كيف يشرحون هذه المعارف ، فتصبح هذه الأخيرة غير مفيدة . فينسون بسرعة ما تعلموه ، لكنهم يحتفظون داخل عائلاتهم بتفوق لا يناقش ، وكذلك بالتأثيرات التي تلقوها في المدرسة . وهكذا فمنهم من يميل إلى فرنسا ، ومنهم من يهوى الانكليز ، أو النمساويين ؛ أن الارثوذكس يميلون غالباً نحو الروس . ولكن بين كل هؤلاء ليس هناك وطنية Nationalité ؛ وينبغي بذل مزيد من الوقت والجهود لاعادة طيف الوحدة إلى كل هذه المجموعات الدينية المختلفة والمتنافسة التي تدعم كل واحدة منها قوة أوروبية . . . .

التوقيع : **Turpin**

عادل اسماعيل ـ المجلد التاسع ـ
Consulat Général de France à Beyrouth
Lettre: No 10 1846- 1853

وثيقة رقم(٥)

الادارة السياسية

رقم ٦٤

بيروت ١٠ اذار (مارس) ١٨٨١

من السيد M. Sienkiewicz ، قنصل فرنسا العام في بيروت ، إلى السيد Barthelémy وزير الشؤون الخارجية .

سيدي الوزير

تحظى سوريا ، من بين جميع مقاطعات الامبراطورية العثمانية ، بذلك الامتياز الخاص ، في التنافس بين فرنسا ، وانكلترا ، والمانيا ، والولايات المتحدة الاميركية ، على نشر التعليم فيها . ان السكان المحليين يجتهدون في تقليد النماذج التي تصلهم من الخارج . وتتجه بيروت ، حيث تتمركز هذه الحركة الفكرية ، إلى أن تصبح مدينة جامعية حقيقية . فمن أصل ثمانون الف نسمة هناك عشرة آلاف طالب تقريباً .

هناك سببان أساسيان يفسران أهمية التعلق بسوريا : الأول سياسي بحت، يرتبط بموقعها الجغرافي كصلة بين أوروبا والشرق الأقصى : والثاني ، معنوي إلى حد ما ، ولو ظاهرياً ، ويتعلق بالأهمية المتنامية للعنصر المسيحي ، وبالوضعية الخاصة التي يتمتع بها لبنان .

منذ لويس الرابع عشر ، وحتى لا نعوذ إلى ما قبل ذلك ، دأبت فرنسا على الاهتمام بمسيحيي سوريا . وحتى عام ١٨٤٠ كانت فرنسا فقط هي المعروفة في هذا البلد . فعندما يذكر اسم القنصل ، كان الجميع يعرف أن المقصود هو القنصل الفرنسي . لقد بدلت احداث ١٨٤٠ هذه الحالة ، وكان من نتائجها المحلية تعرض الدروز للنفوذ الانكليزي . أن القوة البروتستانتية حطت اقدامها في سوريا ، وبدأ المرسلون البروتستانت في الظهور .

لقد لفتت مذابح ١٨٦٠ الانتباه العام نحو سوريا ، وأدى تنظيم ١٨٦١ إلى أشراف مباشر للقوى العظمى على ادارة الجبل . هذا ، مع العلم أن

النشاط البروتستانتي لم يتفاقم ويصبح مقلقاً إلا منذ سنوات عدة . أن الكلية الاميركية ـ ومدرسة الطب الاميركية ، والمستشفى الالماني ، والمؤسسة البروسية ، ومدارس الفتيات المتعددة التي تشرف عليها البعثات الانكليزية ، تشكل اليوم تهديداً جدياً لم نواجهه بالطريقة الملائمة بعد .

أما بالنسبة إلى التعليم الابتدائي ـ فإنه ، باستثناء بيروت ، في أيدي البروتستانت تقريباً .

ليس للايطاليين في بيروت سوى كلية غير مهمة ، ولكن يبدو أنهم لن يتراجعوا ، ليجعلوها في مستوى الكليات الأخرى في هذه المدينة .

كما يحاول الفرنسيسكان من جهة أخرى ، مضاعفة بعثاتهم والمدارس التي يشرفون عليها .

هكذا ـ اصبحت قضية التعليم في سوريا ، قضية سياسية بحتة . فكل مدرسة فيها ، تمثل نفوذاً اجنبياً . وفيما يتعلق بنا ، علينا أن نواجه القوى الكبرى البروتستانتية الثلاث التي تعمل ارادياً أم لا ، لمصلحة انكلترا ، وكذلك الدعاية الايطالية ، وعلينا لكي نحافظ على وضعنا ، أن نفتح المجال واسعاً أمام مؤسساتنا .

ولكن هناك سؤال يطرح نفسه في بادىء الأمر . هل نستمر في الاعتماد على التعليم الديني أم نلجأ إلى التعليم العلماني ؟

هذا السؤال نفسه طرحه البرلمان الايطالي مؤخراً ، ولم تكن نتيجته لمصلحة المدارس الدينية .

ومهما يكن السبب الذي اثر على قرار النواب الإيطاليين فإنني لا اتردد في القول بأنه كان قراراً حكيماً جداً . فلو صوّت هؤلاء لمصلحة المدارس الدينية لوجدوا أنفسهم مرغمين على أن يعهدوا لآباء الأرض المقدسة بتوسيع نفوذهم في سوريا .

إلا أن هؤلاء الآباء الذين حافظوا لعدة قرون على الأماكن المقدسة في

فلسطين ونشروا اللغة الايطالية ويعتبرون مواطنين إيطاليين صالحين ، لن يكونوا مربين جيدين ، فالمدارس التي تحت اشرافهم لا تحرز تقدماً . . . كما أن مدرسة « الأرض المقدسة » في حلب نتائجها غير مرضية .

إن البعثات الدينية لا تتشابه لحسن الحظ ، وحيث فشل الفرنسيسكان دائماً ، نجح الاباء اليسوعيون والاباء اللعازاريون بشكل تام . وإلى هاتين البعثتين ندين بقسم كبير من نفوذنا الذي نتمتع به في سوريا لأن اللغة الفرنسية بفضلهما حلت محل الايطالية واصبحت اللغة الأوروبية التي فرضت نفسها حتى على المدارس البروتستانتية .

لقد اعتبر البعض مؤخراً أنه من الخطأ أن نعتمد في سوريا على البعثات الدينية . إنني اعترف أن لهذا النظام بعض المساوىء بمعنى أن وجهة نظرنا لا تطابق دائماً تلك الخاصة بمدراء المدارس الدينية . ولكن إذا وافقنا على هذه الاعتراضات لا يسعني إلا أن اقدم أكثر منها جدية ضد التعليم العلماني .

فأولاً كيف يمكن أن نواجه التعصب البروتستنتي وهو تعصب قاتم وشديد ، بتعليم ليبرالي سوف يساعد إلى حد ما بطابعه الحيادي ، الرعاية البروتستانتية ، اي الدعاية الانكليزية . أن اللامبالاة أمام الانتقادات العنيفة للوزراء الاجانب أمر حسن في أوروبا ، أما في الشرق فإن ذلك يعني التخلي عن الصراع والهزيمة في المعركة . وفي بلد حيث تعتبر الوطنية ، أو الدين اصلا لكل جنسية ، يجب أن يكون المرء كاثوليكياً ، ارثوذكسياً ، بروتستانتياً ، أو أن لا يكون شيئاً على الاطلاق .

. . . أن ذلك لا يعني أن نتخلى نهائياً عن التعليم العلماني ، بل علينا أن نلجأ إليه حيث يكون مفيداً تماماً ، أي أن نعهد به إلى المدارس الخاصة . . . .

التوقيع : Sienkiewicz

عادل اسماعيل ـ المجلد ١٤ (١٨٧٨ ـ ١٨٨٣)

رسالة رقم ٧٢ .

وثيقة رقم (٦)

تركيا ـ سياسة داخلية

سوريا ـ لبنان ـ

مجلد ١٢٥

٢٥ ت ١ (اوكتوبر) .
١٨٩٧ ـ ١٨٩٩

سفارة فرنسا
لدى الباب العثماني

حضرة الوزير

لقد . . وجهت ملاحظة إلى الباب العالي للاحتجاج على الأساليب التعسفية التي تمارس في كلية الطب في القسطنطينية على خريجي كلية الطب في بيروت ، حاملي الدبلوم الفرنسي . هذا الدبلوم تمنحه لجنة مؤلفة من اساتذة كلية ليون .

. . . يمكننا محاربة تلك المعارضة المنظمة ضد تعليمنا الطبي . . .

. . . لقد اعلن السيد (الاسم غير واضح) عن المعادلة الفرنسية للشهادات التي تمنح في بيروت ، لالغاء الحجة التي يتمسك بها الاتراك في عدم اعترافنا نحن بهذه الشهادات .

. . . كما يجب علي ، من جهة ثانية ، أن أشير لكم ، بأنه يبدو أن الباب العالي يهتم بالملاحظات الموجهة إلى التعليم في كلية الطب في القسطنطينية ؛ وقد طلب من الحكومة الالمانية ، في برقية ، عرفت مضمونها بطريقة خاصة ، استاذاً قادراً على تبديل نمط التعليم في كلية الطب الملكية ، « بطريقة تلغي في المستقبل حاجة الطلاب المتخرجين من هذه الكلية لمتابعة دراستهم في أوروبا » .

التوقيع غير واضح .

وثيقة رقم (٧)

ليون ١٧ آب (أغسطس) ١٨٩٨

كلية الطب والصيدلة

في ليون

حضرة الوزير

اسمح لنفسي أن أرسل لكم طيّه رسالة من الأب Cattin مسؤول كلية الطب في بيروت . هذه الرسالة ستبين لكم مدى خطورة الوضع ، لأن الكثير من التلاميذ سيتركون الكلية . أي أن آخر ملجأ لنفوذنا في لبنان سيختفي قريباً إذا لم تحل قضية الدبلوم بشكل عاجل وايجابي في القسطنطينية .

التوقيع **Lortet**

عميد كلية ليون .

وثيقة رقم (٨)

سفارة فرنسا لدى الباب العالي .

الادارة السياسية

رقم ٢١٧

١٨ ت ١ (اوكتوبر) ١٨٩٨

سعادة الوزير Delcassé وزير الشؤون الخارجية في باريس .

حول كلية الطب في بيروت :

... تعود فكرة تأسيس هذه الكلية إلى « غامبيتا » والكاردينال « لافيجري » . والهدف من الفكرة ايجاد كلية فرنسية كبيرة في سوريا يأتي إليها شبان هذا البلد ليتعلموا فيها العلوم الطبية ، ويتمكنوا من دراسة لغتنا ، كي ينتشروا في المشرق ، فيما بعد ، على غرار الكثير من اصدقاء نفوذنا وحضارتنا .

إن الغاية الأولى للمؤسسين أن يجعلا من هذه الكلية فكرة سياسية ومؤسسة دعائية .

... ان الاساتذة الكرام الذين ارسلتهم وزارة التعليم الفرنسية ليشاركوا في الامتحانات السنوية في الكلية ، يتصرفون وكأنهم محكمة دولة . وباعتقادهم أن هذه الكلية تمثل التعليم الفرنسي في المشرق ، لذا يجب أن يتخرج منها علماء قبل أي شيء آخر . أن الهدف السياسي الذي وضعناه لأنفسنا قد أُخضع اليوم للفوائد العلمية المزعومة في هذه المؤسسة .

التوقيع غير واضح

وثيقة رقم (٩)

حول كلية الطب في بيروت

٣١ ك ١ (ديسمبر) ١٨٩٧

في ١٢ آب (اغسطس) ١٨٨٠ كتب المسؤول العام لبعثات جمعية يسوع في سوريا ، تقريراً حول انشاء مدرسة طب كاثوليكية في بيروت . ويشير في هذا التقرير ، إلى فائدة وضرورة الدفاع عن نفوذنا الوطني ، من خلال هذه المدرسة ، بوجه الدعاية النشطة للبعثات الانكليزية البروتستانتية ، خاصة عبر الكلية السورية الانجيلية التي تضم مدرسة طب فيها الكثير من الطلاب . وللاطباء في سوريا قيمة ونفوذ بارزين . لذا ، وانقاذاً لمصالحنا ، يجب أن نضم إلى جانبنا ، ونربي وفقاً لافكارنا عملاء لهم مثل تلك القيمة .

. . . لقد تم منح المؤسسات الاستشفائية ، وفقاً للقرض الخارق للعادة الذي وافق عليه البرلمان ، مبلغ ١٥٠٠٠ فرنك للمساهمة في بناء مدرسة عليا للطب إلى جانب كلية التعليم الثانوي الموجودة سابقاً . . . وقد اخبر سفير الجمهورية لدى الكرسي البابوي ، عن اجراء تقدم به الأب نورمان ، وافق عليه البابا نفسه .

. . . ابدى اليسوعيون رغبة في اختيار المعلمين بحرية مطلقة دون الخضوع لرقابتنا فيما يتعلق بامتحان القدرات العلمية والعملية لاساتذة المستقبل .

. . . بعد التفاوض . . تقرر أن يترك لليسوعيين اختيار الاساتذة ، على ألا يتم أي التزام نهائي معهم دون موافقة الحكومة .

. . . وبالرغم من الاتفاق التام ، حاول اليسوعيون في مناسبات عدة أن يتخلوا عن التزاماتهم .

. . . يمكن أن نأمل من الاطباء الشباب ، خريجي بيروت ، أن يمارسوا

أكثر فأكثر ، ودون صعوبات ، مهنتهم في تركيا . وأن يوسعوا النفوذ الفرنسي . على أن نهيأ امثالهم اعداداً وافرة من الطلاب لكلية الطب في جامعة القديس يوسف .

وثيقة رقم (١٠)

ادارة الشؤون السياسية بيروت ـ ١٧ أيار (مايو) ١٨٨٤

رقم ١٨٩

من السيد باتريمونيو ، قنصل فرنسا العام في بيروت ، إلى السيد Jules Ferry رئيس المجلس ووزير الشؤون الخارجية .

سيدي رئيس المجلس

. . . في بكفيا ، على السفح الغربي من لبنان ، في مقاطعة المتن ، يمتلك اليسوعيون مبنى يعود تاريخه إلى الأيام الأولى لعودتهم إلى سوريا . في تلك السنوات اتسع ذلك المبنى اتساعاً كبيراً نظراً لوجوده في منطقة مسيحية تماماً ، حيث غاب عنها العنصر الدرزي شيئاً فشيئاً . ويتجه هذا المبنى لأن يصبح مقراً صيفياً لجميع اعضاء بعثة اليسوعيين في سوريا . هناك مدارس للفتيات وأخرى للفتيان . وهذه الأخيرة تعتبر مدرسة ابتدائية جيدة في تلك القرية . فاللغة الفرنسية تُدرس فيها بواسطة معلم علماني فرنسي شاب من ليون ، يقدم له الآباء المسكن والطعام . أما الراتب الشهري فيجمع من أولياء الطلبة ؛ وهو أمر ملحوظ ونادر في هذه البلاد حيث ترغم المنافسة الاساتذة أن يدفعوا للطلاب كما يفعل المرسلون البروتستانت . بهذه الوسيلة فقط تمكن هؤلاء من التغلغل إلى بعض مناطق الجبل ، منتهزين فاقة السكان وحاجتهم للكتب . . . .

. . . تستقبل مدرسة القديس يوحنا مارون (في مقاطعة جبل لبنان) مئات التلامذة بقسط زهيد . . وتمنح حكومة الجمهورية عشرة منح لطلاب هذه المدرسة . . . وقد تمكنت من اختيارهم بعناية من بين أولاد العائلات المارونية في شمال لبنان .

التوقيع : **Patrimonio**

عادل اسماعيل ـ المجلد ١٥ (١٨٨٣ ـ ١٨٩٠)

رسالة رقم ١٦ .

وثيقة رقم (١١)

رقم ١٣

باريس ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٣

من السيد Jules Ferry ، وزير الشؤون الخارجية ، إلى السيد Patrimonio قنصل فرنسا العام في بيروت .

اتشرف بأن أرسل لكم نص الاتفاق المشترك حول تنظيم كلية الطب في بيروت ، الذي أعدته المديرية العامة للتعليم ومديرية الشؤون الخارجية .

ستلاحظون في هذا الاتفاق ، أننا تركنا لكم مسألة تعيين اللجان الفاحصة ولجان الامتحانات والتخرج ، وذلك لكي نبرز الطابع الفرنسي البحت للتعليم الذي يشرف عليه الآباء اليسوعيون . . . .

ملحق رقم (١) لتقرير (٨ كانون الأول ١٨٨٣ رقم ١٣)

كلية الطب في بيروت

١ ـ نظام ٢ أيار (مايو) ١٨٨٣

البند الأول : تدرّس كلية الطب مبادىء الفيزياء ، الكيمياء والتاريخ الطبي الطبيعي ، التشريح ، الفيزيولوجيا ، المادة الطبيّة ، الأمراض الداخلية والخارجية ، والمعالجة الطبية والجراحية .

البند الثاني : على من يرغب في الالتحاق بكلية الطب في بيروت أن يعرف الفرنسية بشكل مقبول .

وقد تأسست لهذا الغرض لجنة من خمسة اعضاء يعيّنها ويرأسها قنصل فرنسا العام في بيروت .

كما يخضع الطلاب لامتحانات خطية وشفهية . يتضمن الامتحان الخطي مسابقة في الفرنسية وأخرى في احدى اللغات الحية التي يختارها الطالب . أما الامتحان الشفهي فهو عبارة عن عدة اسئلة حول :

١ ـ مفاهيم الادب الفرنسي .

٢ ـ تاريخ أوروبا من القرن السابع عشر حتى يومنا هذا ، وحول الجغرافية الأولية لأوروبا وآسيا .

٣ ـ مبادىء الحساب والجبر والهندسة .

٤ ـ مبادىء الفيزياء والكيمياء ، والتاريخ الطبيعي .

٥ ـ مبادىء المنطق .

وعلى المرشحين أن يترجموا مقطعاً لأحد المؤلفين باحدى اللغات الحية التي يختارونها .

أما تفسير اللاتينية واليونانية القديمة فاختياري .

البند الثالث : توقع الكلية شهادات الطب .

البند الرابع : تستمر الدراسة لنيل دبلوم الطب ثلاث سنوات . . .

تتألف لجنة الامتحانات من ثلاثة اعضاء يعينهم القنصل العام من الهيئة التعليمية .

يمكن لعميد الكلية أن يكون عضواً في اللجنة .

إذا صادف وجود احد اساتذة المعاهد أو الكليات الفرنسية في بيروت ، يمكن أن يترأس الامتحانات بنفسه .

تتألف لجنة امتحانات نهاية الدراسة من أربعة اعضاء يختارهم القنصل العام ، بينهم اثنان على الأقل من افراد الهيئة التعليمية في الكلية ، واستاذ ترسله وزارة التعليم العام ، ليرأس اللجنة المذكورة .

يمكن لمدير الكلية أن يشارك في الاشراف على الامتحانات .

تجري الامتحانات في شهر حزيران .

البند الخامس : تمنح وزارة التعليم العام الشهادات ، بناء على التقرير الذي يقدمه رئيس اللجنة .

ملحق رقم ٢ لتقرير كانون الأول ١٨٨٣ رقم ١٣

جامعة القديس يوسف في بيروت .

تأسست جامعة القديس يوسف من أجل رفع مستوى الدراسات في الشرق ، ولتلبية رغبة العائلات التي تزداد يوماً بعد يوم ، في تربية اولادها تربية توازي تلك التي يتلقاها الأولاد في أوروبا .

. . . الدين هو أساس التربية ، ونحن نجتهد لنقدم للطلاب معرفة معمقة به ونعدهم لممارسة الواجبات التي يفرضها عليهم .

ويلي الدين انضباط صارم وأبدي ، وهو أشد أسس التربية .

. . . تشمل الدروس في الجامعة التعليم الثانوي والتعليم الابتدائي .

أ . التعليم الثانوي .

١ ـ القسم الأدبي : وفيه دراسة معمقة للغات : العربية ، الفرنسية ، اللاتينية واليونانية . وقد اثبتت التجربة اهمية اللغات الأخيرة لاعداد الفكر الوقاد . فما تحتويه من بلاغة وشعر ، وما تغني به دراسة العلوم بشكل عام ، والطب والحقوق بشكل خاص ، وأخيراً صلتها الحميمة مع اللغات الحديثة ، كل ذلك يجعلها ضرورية للتطور الذهني للشبيبة ، على غرار أفضل الكليات في أوروبا .

كما أثبتت التجربة أيضاً ، أن دراسة اللاتينية هي الطريق الأيسر والأقصر لمعرفة تامة باللغة الفرنسية .

وتلبية للرغبة المشروعة للعائلات الأجنبية ، التي تتمنى أن يتعلم اولادها لغتهم الأم ، بدلاً من العربية ، يمكننا أن نتابع دروساً خاصة في التركية ، اليونانية الحديثة ، الانكليزية ، الايطالية ، وغيرها . للتاريخ والجغرافيا مكانهما أيضاً في البرنامج . . .

٢ ـ **القسم العلمي** : ويتضمن دراسة الحساب ، الجبر ، الهندسة ، الميكانيك ، علم الفلك ، الكيمياء ، التاريخ الطبيعي بفروعه الاساسية ومنها : علم الحيوان ، الجيولوجيا ، علم التشريح ، الفيزيولوجيا الحيوانية .

كذلك تكمل بعض مبادىء الفلسفة محاضرات التعليم الثانوي ، الذي يستمر ٧ ساعات .

وفي نهاية التدريس يخضع الطالب لامتحان يعادل امتحان البكالوريا العملية ، ينال بموجبه الطالب الناجح شهادة ، تسمح له بالدخول إلى كلية الطب ، كما تيسّر له التوجه إلى دراسات اخرى ، لأنها افضل دليل على قدراته ومستوى تعليمه .

ب ـ التعليم العالي

يشتمل التعليم العالي على التدريس التام لمواد الطب ، الفلسفة ، واللاهوت .

تمنح الجامعة في نهاية كل اختصاص شهادة دكتور لمن يجتاز بتفوق الامتحانات المطلوبة .

تستمر دارسة اللاهوت مدة اربع سنوات . . .

تستقبل الجامعة طلاباً داخليين ، نصف داخليين ، وخارجيين . . .

التوقيع Patrimonio

عادل اسماعيل ـ مجلد ١٥ (١٨٨٣ ـ ١٨٩٠) .

رسالة رقم ١١ .

وثيقة رقم (١٢)

الفصل الخامس

البعثات الفرنسية والبروتستانتية والبعثات الأوروبية الأخرى

الفرنسية

- العازاريون .
- اخوات المحبة
- البون باستور
- الكبوشيون
- سيدات الناصرة
- الأخوة المريميون
- اخوة المدارس المسيحية
- العائلة المقدسة
- جمعية مريم الاصلاحية
- الكرمليون
- أخوات السان شارل .
- أخوات الزيارة .

البروتستانتية

- الجامعة الأميركية .

الأوروبية الأخرى.

- الإيطالية
- النمساوية
- الروسية
- الألمانية.

ملحق الوثائق.

البعثـات الفرنسيـة

لم تحمل البعثات الفرنسية التعليمية والتبشيريـة التي توافـدت الى سوريـا ولبنان مشاريـع مستقلة عن السياسـة الفرنسيـة فيها . إنمـا اقتصر أمـر التمايـز والاختلاف على المرحلة الأولى من عمل اليسوعيين التي احتلت موقع الصـدارة بـين البعثـات جميعـاً . وقـد شكلت هـذه البعثـات رافداً هـامـاً في « محـاربـة البروتستانتية ونفوذها » « ونشر الفرنسية وأفكـارها . وأبـرزها بعثـة العازاريـين التي تسلمت مراكز اليسوعيين أثر القرار الذي صدر بمنع جمعيتهم عام ١٧٧٣ .

العازاريون :

وكلية عينطورة

أسس هـذه البعثة Saint Vincent de Paul عـام ١٦٢٤ . أمـا تـاريـخ نشـاطها في لبنـان فيختلف عن تاريـخ النشاط اليسـوعي ، خاصـة فيـما يتعلق بالعلاقة مع فـرنسا ، لأن هـذه الأخيرة ارسلتهم وقـدمت لهم دعماً مبـاشراً من أجـل مواجهـة اليسوعيـين، والبروتستـانت. « ولأنها لاحـظت عـام ١٨٢٧ أن الكبـوشيين ورجـال دين البعثات الكـاثوليكيـة الذين تتـولى حمايتهم يـأتون من «حثالة أديـرة » إيطاليـا ، لذا سعت لتنـظيم جديـد يسمح بـأن تكون أفضليـة القـدوم الى الشرق لـرجال دين فـرنسيين . وأمـام نجاح الانجيليـين . . تمنت

الحكومة الفرنسية أن يتولى العازاريون وحدهم ، المسموح بنشاط جمعيتهم في فرنسا ، ويرأسها فرنسي ، مسؤولية اعادة تجديد نشاط المرسلين »[1].

وكان من الطبيعي أن تتطابق الرؤية السياسية لمسؤولي هذه البعثة ، مع تلك الخاصة بفرنسا ، خلافاً لما كان عليه أمر اليسوعيين . فخلال الصراعات التي عصفت بجبل لبنان عام ١٨٤٠ ، نفذ العازاريون سياسة فرنسا في تهدئة أهل الجبل الثائرين ضد الحكم المصري ، بينما وقف الأب « ريللو » اليسوعي يحرض الثائرين ضد الموقف الفرنسي .

أما أبرز المؤسسات العازارية فهي كلية عينطورة التي تركها اليسوعيون أثر رحيلهم من بلاد الشام ، وما انفكوا يطالبون بعودتها إليهم ، إلى أن تصالحوا مع فرنسا فكفوا عن ذلك .

كلية عينطورة :

تحولت الكلية إلى مركز رئيسي لنشاط العازاريين « لتعليم الشبان الفرنسيين الموجودين في سوريا ، وأطفال الموارنة الذين يتهيأون ليصبحوا موظفين، وكتبه، وتراجمة. . . »[2]. وقد ساعدت فرنسا العازاريين ، عبر تجديد المعونات من خلال اثني عشر منحة ، مخصصة لابناء العائلات الرئيسية ، لأن هذه المساعدة ، كما يعتبر الوزير غيزو « هي أحدى أهم الوسائل لتثبيت نفوذنا في لبنان ، التي نبرهن من خلالها على محاسن فرنسا في مجال التربية أيضاً ، وتوفيرها لأهم عائلات الجبل . وهو خير لا به وأن يعود بالفائدة على السكان كافة . هذه التربية يجب أن تساعد هؤلاء الناس على أعداء قادة انسانيين ومستنيرين » .

أما التعليم في كلية عنيطورة ، فهو نظير للتعليم في الكليات الفرنسية ، وهو سبب شهرتها كما يرى القنصل الفرنسي في بيروت ، فيقول : « إن شهرة

---

(١) شفالييه دومينيك . المرجع السابق . مجتمع جبل لبنان . بالفرنسية . ص ٢٥٦ .

(٢) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . المراسلات القنصلية والتجارية . ١٨٣٤ ـ ١٨٣٥ . رسالة بتاريخ ١٠ اكتوبر ١٨٣٤ . (راجع ملحق الوثائق) .

هذه الكلية تعود إلى طابعها الفرنسي في التعليم ، وإلى اعدادها لمهنة التجارة التي أظهر لها العرق السوري قدرة خاصة . إن من بين تلاميذ هذه الكلية من أصبحوا اليوم تجاراً وموظفين في مصر وسوريا . . . »[1] .

أما ماذا يتعلم اولاد العائلات ، والقناصل والسفراء في هذه الكلية ، فأولاً « الأخلاق ، والدين المسيحي ، واللغات الفرنسية والإيطالية والعربية ، ثم التاريخ والجغرافيا والحساب . أما باقي المواد كالفلسفة واللاتينية والبلاغة والهندسة ، فتعطى بناء لرغبة الأهل » .

ويسمح هذا البرنامج لطلاب الكلية بمتابعة دراستهم في فرنسا . ويحق لمن حاز على شهادة النجاح فيها ، أن يدخل إلى كليتي الطب والحقوق الفرنسيتين . إلا أن عدد الطلاب الذين تستقبلهم كلية عينطورة كان محصوراً بين ابناء العائلات التي تستطيع تسديد الف وخمسمائة قرش ذهبية رسوماً للتسجيل فيها . وقد بلغ هذا العدد في مطلع القرن العشرين ٤٠٧ موارنة ، ٢٥ روم كاثوليك، ١٠روم ارثوذكس ، ٢٠ مسلماً ، ١٥ درزياً . ويبدو أن الاهتمام الرئيسي في هذه الكلية ، أنصب على أعداد الطلاب في ميادين التجارة[2] ، « وهكذا وجد الفرنسيون . . في عينطورة فائدة مزدوجة في تربية أطفالهم . . وفي أعداد أمناء مخازن وتراجمة ، يوفرون عليهم اللجوء إلى الوسطاء . . . »[3] .

ويفخر العازاريون بهذه الفائدة ، ويعتبرون أنفسهم « أكثر الأرساليات الفرنسية مساهمةً في تحقيق انتداب فرنسا على سوريا ولبنان »، « لأن من بين الإثني عشر ألفاً من طلابهم ، كما يقول الأب لوروا »، سبعة كانوا وزراء أو

---

(١) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . رسالة من قنصلية فرنسا في بيروت . بتاريخ ١٧ آذار/مارس ١٨٨٤

(٢) goyau Georges: La congrégation de la Mission des Lazaristes. edition Grasset. Paris 1938- p.169.

(٣) guys Henri: Relation d'un séjour de plusieurs années à Beyrouth et dans le liban tome II. Paris 1847. p.200

سكرتيري دولة في مصر . . وأن مدراء الخدمات الرسمية في لبنان وسوريا وفي دولة العلويين آنذاك كانوا جميعاً من طلاب العازاريين » . هذه « الفائدة » التي نشرها العازاريون وسواهم من البعثات ، كانت مقياساً يحدد لهم سبل العمل وإمكانه . فاختيار طرابلس مثلاً في شمال لبنان مقراً للنشاط والدعوة ، يراه العازاريون من خلال اسباب ثلاثة :

أولاً : أن طرابلس مدينة من أهم مدن سوريا ، يتجاوز عدد سكانها ٢٥ ألفاً . كما أن وجودها بمحاذاة البحر يجعلها على صلة دائمة بالأوربيين .

ثانياً : لا يوجد أي مدرسة كاثوليكية في المدينة لتعليم اللغة الفرنسية .

ثالثاً : استعداد البروتستانت للقدوم إلى المدينة نظراً لغياب البعثات عنها[١] .

أخوات المحبة : Les Filles de la Charité

تنتمي بعثتهم إلى الجمعية التي ينتمي إليها العازاريون . وقد عملوا معاً . ولا يعتبر عمل العازاريين كاملاً الا بتضافره مع نشاط أخوات المحبة . « كما أن البعثات التي تنتشر في بعض انحاء العالم ، تشعر بالعجز عن تطوير مؤسساتها إن لم تطلب مساعدة أخوات المحبة »[٢]. لهذا السبب وصلت بعثة «المحبة » إلى لبنان لدعم العازاريين ، في الوقت الذي استدعى فيه اليسوعيون « أخوات القديس يوسف للظهور ». وقد تمكن « اخوات المحبة » من اجتذاب ابناء « الطبقات الاجتماعية المسيحية » في جبل لبنان ، بواسطة مؤسساتهم الخيرية ومدارسهم المجانية . كما انشأوا داراً للمعلمين لاعداء الكوادر في المراكز الكبيرة .

البون باستور Mission du Bon Pasteur

تلخص ما كتبته مسؤولة هذه البعثة ، في إحدى رسائلها ، دورها وأهدافها :

---

(١) مرجع سابق : revue d'histoire des Missions. p.522

(٢) مرجع سابق : goyau. Les Lazaristes. p.159.

« إن بعثة البون باستور في حمانا تأسست في أيلول ـ سبتمبر ـ عام ١٨٩٣ من أجل عمل الخير للشعب اللبناني ، وفي سبيل نشر اللغة الفرنسية وحسنات الدين الكاثوليكي . . »[١] .

الكبوشيون : Les Capucins

من أقدم البعثات التي وصلت إلى سوريا عام ١٦٢٥ . وهي ذات إدارة فرنسية بحتة . ينتمي تلامذتها إلى الطائفة الكاثوليكية . « أظهر الكبوشيون ، المرسلون المبدعون ، عبقرية فرنسا في دعايتهم الدينية في الخارج . . وكانوا يمهدون لتوسعها الاستعماري بطريقة غير مباشرة »[٢] .

سيدات الناصرة : Les Dames de Nazareth

وصلت البعثة إلى بيروت عام ١٨٦٨ . فبدأت العمل بتأسيس مدرسة مجانية ، ودير على تلة الأشرفية في بيروت . تحظى مؤسساتها بمنحة سنوية من القنصلية الفرنسية . والفرنسية هي لغة التدريس الوحيدة فيها . « عرف من طالباتها زوجتين لأثنين من رؤساء دولة لبنان اثناء الأنتداب »[٣] .

الأخوة المريميون : Les Frères Maristes

للبعثة وجود قديم في سوريا ، إلا أن مؤسساتها بدأت بالبروز عام ١٨٩٠ ، وأسسوا عام ١٨٩٦ مدرستين، بمساعدة الأليانس الفرنسية، مدرسة في رأس بيروت ، حيث يقطن الأوروبيون والموارنة بشكل أساسي ». شكل وجودهم « وإحساسهم الوطني وتضحيتهم دعماً قوياً لتعليم الفرنسية »[٤] أثر

---

(١) مرجع سابق . ص ٢٠٦ khozami victoria.
(٢) مرجع سابق : Ristelhueber. p.79.
(٣) مرجع سابق : giappesi . ص ٣٨٢ .
(٤) مرجع سابق : villeneuve . ص ٢١٧ .

ازدياد مدارسهم وانتشارها في جونيه وصيدا والبترون وجبيل ودير القمر وعمشيت . أما طلابها « فهم من المسيحيين وأغلبهم من الموارنة »[1] .

أخوة المدارس المسيحية : Frères des Ecoles Chrétiennes

تأسست في Reins عام ١٦٨٠ . وانتقلت من مصر إلى القدس وبيت لحم . استقرت البعثة في بيروت عام ١٨٨٩ . ومنها إلى طرابلس وبيت شباب . .

العائلة المقدسة Sainte Famille

وصلت إلى بيروت عام ١٨٩٤ .

جمعية مريم الاصلاحية Société de Marie Réparatrice

افتتحت منزلاً لها في بيروت عام ١٨٩٨ .

الكرمليون Les Carmélites

للبعثة وجود قديم في سوريا وفي فلسطين تحديداً . إلا أنها وصلت إلى بيروت في مطلع القرن العشرين .

أخوات السان شارل : Sœurs ST. Charles

كان لها مدرسة في بيروت عام ١٩٠٨ .

أخوات الزيارة Soeurs de la Visite

ساهمت هذه البعثات ، رغم وصولها المتأخر نسبياً ، في نهايات التاسع

(١) مرجع سابق : khozami . ص ٦٤ .

عشر وبداية القرن العشرين ، إلى جانب اليسوعيين والعازاريين فيما رغبت به فرنسا من « ربط الأمة المارونية بها » ، « عبر نشرها للغتها في أوساط العائلات الميسورة ، وغرس حب فرنسا الحامية في قلوب جميع سكان هذا البلد »(١) . « وفي اعداد نخبة فكرية ، تعمل معنا لنخلق بين الشرقيين وبيننا قرابة روحية »(٢) .

هذه المساهمة ، شكلت رافداً هاماً ومعيناً قوياً « رغم قلة مدارسها في بعض الأحيان» لأن أي مدرسة أو مؤسسة إضافية تنشر اللغة الفرنسية تبقى ذات فائدة . لأن هذه الحضارة ستكون فرنسية أو انكليزية وفقاً للجهود التي ستبذلها فرنسا هنا لنشر نفوذها . . . وإذا غرسنا بواسطة اللغة الفرنسية ، التعلم والأخلاق ، فإننا سنسيطر على الشعب وسيكون لفرنسا هنا في كل وقت جيش متفان . . »(٣) .

البعثات البروتستانتية

أثارت الحركة التبشيرية الانجيلية، منذ البداية خصومة الكنيسة المارونية ، منذ بدأ الأميركيون منهم يفدون إلى لبنان عام ١٨٢٠ ، ويتمركزون في بيروت . . . وقد بلغ من قلق الكنيسة المارونية لظهور المرسلين البريطانيين في مناطق الجبل أن البطريرك منع اتباعه من إرسال أولادهم إلى المدارس الانجيلية(٤)، وأصدر أمراً باحراق الأناجيل « المضلّلة » . و« هكذا رفض الانجيليون . . لأن وعظ المرسلين البروتستانت كان يهدد تماسك الطائفة . أي وجودها كجماعة »(٥) .

---

(١) rochementeix C.P.J: Le Liban et l'expédition française en syrie 1860-1861 (documents inédits du général A.Ducroit) Paris 1921. p.83.

(٢) مرجع سابق . j.Mélia ص. ١٠٦

(٣) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية . رسالة من jules de Breton الى غيزو بتاريخ ١٨ ـ ١ ـ ١٨٤١ . (راجع نص الوثيقة كاملاً في ملحق الوثائق) .

(٤) الصليبي . تاريخ لبنان الحديث . مرجع سابق . ص. ٩٠ .

(٥) شفاليه . مرجع سابق . ص. ٢٥٧ .

ولم تكن الحكومة الفرنسية أقل قلقاً من اقتراب البروتستانت من الموارنة . فها هي تأمر قناصلها في بيروت بمحاصرة نشاطهم لتفشيل اعمالهم . فقد ورد في رسالة موجهة إلى أحد هؤلاء : « إنني أطلب منك أن تراقب بانتباه وبطريقة سرية وسياسية ، قدر الامكان ، هؤلاء العملاء ، حملة الاناجيل والمواعظ الخاطئة . . . لا يمكن أن يجلب هؤلاء المبعوثون إلا الضرر العظيم على مصالح ديننا وعلى تجارتنا الوطنية . وعلينا، لحماية كل ذلك ، أن نستخدم كل ما نملك وأن نحافظ على حيادنا الظاهر »[1] الا أن القلق الفرنسي ، والرفض الماروني، للنشاط البروتستانتي حوّل اهتمام البريطانيين إلى الدروز ، الذين اعتبروا ذلك فرصة مناسبة لتدعيم مواقفهم في وجه الموارنة الذين تحميهم فرنسا ، حاصة « وأنهم شاهدوا حديثاً بعض الرهبان الموارنة يرفعون العلم الفرنسي على أديرتهم »[2].

في هذه الأثناء ، كان المرسلون الأميركيون قد بدأوا نشاطهم التربوي في بيروت وجبل لبنان . فأسسوا فيها عدة مدارس اضطرت للتوقف عن العمل أبان اضطرابات ١٨٤٠ . ثم استأنفت نشاطها بعد ذلك . وأسسوا في عبيه مدرسة « اصبحت من أهم المعاهد الانجيلية في البلاد لتدريب الطلاب على التبشير الأنجيلي »[3].

ويبدو أن المعاناة الصحية في المناطق اللبنانية ، كانت الثغرة الملائمة التي نفذ منها اليسوعيون والمرسلون البروتستانت على حد سواء ، وكما اصطحب اليسوعيون ممرضاً ضمن بعثتهم ، التحق بالبعثة البروتستانتية طبيب من بوسطن ، « والطب بالنسبة لبوسطن، كالتربية، وسيلة وليس غاية »[4].

أما وسائل الترغيب التي اعتمد عليها البروتستانت ، فهي كما يقول

---

(١) شفاليه المرجع نفسه . ص. ٢٥٧ .
(٢) الصليبي . المرجع السابق . ص. ٩١ .
(٣) الصليبي . المرجع السابق . ص. ١٧٥ .
(٤) ذكره سلام نواف . المرجع السابق . ص. ٥٥ .

اليسوعيون « تقديم الكتب والأوراق وحتى الثياب مجاناً . . . وكذلك تعليم القراءة العربية والكتابة والحساب . . . »[1] . وقد ساهمت مطبعة الأميركيين التي نقلوها من مالطا إلى بيروت في طباعة الكتب الضرورية للتعليم .

ولم يواجه النشاط البروتستاني ، ما واجهه النشاط الكاثوليكي في بداية عمل ارسالياته من اختلاف وتباين على الصعد العملية والسياسية ، فقد تعاونت « جمعية المدارس الأنكليزية في سوريا » التي تشكلت في لندن ، مع المرسلين الأميركان ، وتم افتتاح المراكز التعليمية للفتيان والفتيات، ومراكز للمعاقين والعميان .

أما أبرز الأنجازات التي توجت عمل « الانجليين » في لبنان فكان تأسيس « الكلية السورية الانجيلية » في بيروت .

« الكلية السورية الأنجيلية » (الجامعة الأميركية)

أدى تطور النشاط التعليمي البروتستانتي في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، إلى التفكير في كلية للتعليم العالي ، خاصة وأن النشاط اليسوعي يتنامى ومدارسهم تزداد في بيروت وباقي مناطق لبنان ، والتنافس السياسي والاقتصادي بين فرنسا وانكلترا يشتد حول المشرق العربي ، ومن أجل اعداد « نخب داخلية » تقود البلاد في المستقبل القريب » . كان ذلك هو المحرك لفكرة تأسيس الكلية في أذهان مسؤولي البعثة دانيل بلس والدكتور وليم طومسون . لذا انتقلت البعثة من عبيه الى بيروت . لأن هذه الأخيرة « نقطة اتصال ومركز إشعاع »، وفيها « نظموا نشاطهم من أجل تعليم مزدهر ، يسير بطيئاً ولكن بثقة . . »[2] .

هكذا افتتحت « الكلية السورية الأنجيلية » عام ١٨٦٦ . وبعد سنة

---

(١) مرجع سابق jullien. tome I. p.194-195

(٢) missiomaires de 20 ans. Paris 1931- p.27.

واحدة بوشر العمل في القسم الطبي فيها . أما مالياً فكانت ترتبط بأرصدة تجمع لها في أميركا .

ضمّت الكلية عام تأسيسها ستة عشر تلميذاً من بيروت ، وإثنا عشر من جبل لبنان ، وواحد من طرابلس . أما الأساتذة فكانوا ثلاثة « يرتدون الزي العربي ، ويدرسون باللغة العربية ».

قُسِّم التعليم في الكلية الى مراحل ثلاث : تحضيرية ، علمية ، وطبية .

تستمر المرحلة التحضيرية ثلاث سنوات ، يتعلم الطلاب خلالها مبادىء العربية ، البلاغة الانكليزية، الفرنسية ، الجبر ، الحساب ، والجغرافيا .

أما المرحلة العلمية فمدتها أربع سنوات . وهي تلي التحضيرية . يحصل التلميذ في نهايتها على دبلوم في العلوم . وكذلك تستمر المرحلة الطبية أربع سنوات أيضاً .

وقد عرفت اللغة العربية في « الكلية السورية الأنجيلية » مراحل ثلاث تعبّر فيما يبدو ، عن تبدلات واتجاهات سياسية لدى مسؤولي هذه الكلية . « فقد امتدت المرحلة الأولى اربعة عشر عاماً من ١٨٦٦ حتى ١٨٨٠، كانت خلالها لغة التعليم في جميع الفروع العلمية بما فيها الفرع الطبي . وطغت فيها على الانكليزية . أما المرحلة الثانية فبدأت عام ١٨٨٠ وانتهت بعد عشر سنوات في ١٨٩٠ اصبحت العربية خلالها لغة ثانوية . وتحول التعليم في الفروع العلمية إلى اللغة الانكليزية التي احتلت موقع الصدارة . إما المرحلة الثالثة فتميزت « بإعادة الاعتبار » إليها رغم استمرار الغلبة للغة الانكليزية »[1]. أدى هذا التحول في مسار اللغة العربية ، إلى قلق الطلاب المسلمين رغم قلتهم الذين انجذبوا إلى « الكلية السورية » ورأوا فيها بديلاً تعليمياً عن جامعة القديس يوسف ذات « الصبغة المارونية المسيحية ». وتؤكد احصاءات الخريجين في قسم الطب ، بعد أكثر من عشر سنوات على تأسيس

---

(١) المقتطف ، ١٩٠٣ ، ص. ٩٠٥ - ٩٠٦ .

الكلية ندرة المسلمين قياساً إلى الطوائف الأخرى . « فقد تخرج اثناء الفترة الممتدة بين ١٨٧١ و١٨٨٣ اثنين وستين طبيباً جلّهم من لبنان ومعظمهم من النصارى ، . . . بينهم مسلم واحد وثلاثة دروز . . . »[١] .

لذا ورغبة في اجتذاب المسلمين إلى إدارتها وتعليمها ، عمد مسؤولو الكلية عام ١٩٢٠ إلى استبدال « السورية الانجيلية » ، « بالجامعة الأميركية » ، لنزع الصبغة الدينية عنها ، ولمنافسة « جامعة القديس يوسف » بسهولة اكثر .

أضيف إلى كلية الطب ، كلية للصيدلة ، ومدرسة معلمين ، ومدرسة للتجارة ، ومدرسة زراعية، ومدارس ثانوية وتحضيرية . وبمبادرة من سميث وفانديك ، والبستاني واليازجي تلميذا البروتستانت ، تأسست « الجمعية السورية للعلوم والفنون » . أما بطرس البستاني فأسس المدرسة الوطنية العلمانية في بيروت التي « تحضر الطلاب لدخول الجامعة الأميركية »[٢] .

وقد تمكن المرسلون البروتستانت في خضم نشاطهم التعليمي ، وبواسطة مطبعتهم ، من نشر أفكارهم وكتبهم المدرسية ومجلاتهم الاسبوعية . « حتى بات من بين أربع جرائد تصدر في بيروت عام ١٨٧٠ ، ثلاث منها ذات ميول بروتستانتية. . . أما الحقيقة الكاثوليكية، كما يقول اليسوعيون ، فلا مجلة تعبر عنها . . . »[٣] .

لكن كل ذلك ، ورغم تأسيس « الكلية السورية الأنجيلية » المبكر ، فإن التعليم البروتستانتي لم يفلح في منافسة نظيره اليسوعي ، نظراً لتداخل النشاط التعليمي مع القوة السياسية والاقتصادية للدول الأوروبية ، حيث كانت فرنسا تحتل موقعاً متميزاً بين مثيلاتها في لبنان . أما البروتستانت، فيرون

---

(١) اسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفية ، مرجع سابق . راجع اسماء الاطباء بالتفصيل في الصفحات : ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

(٢) mathieuse-Akrawi- L'éducation dans le moyen orient arabe. Beyrouth. 1949- p.257.

(٣) مرجع سابق : les jésuites en syrie. Fascicule V-VI. p.8-25

أربعة أسباب لما أصاب نشاطهم من انحسار وهي : أولاً ـ عداء السلطات العثمانية .

ثانياً ـ المواجهة الأكليريكية للروم والموارنة .

ثالثاً ـ الدعم والإمكانيات التي وفرتها كل من فرنسا وروسيا لحماية مرسليها ، ولغاياتها السياسية .

رابعاً ـ تماسك العرق العربي وتضامنه(١) .

البعثات الأوروبية الأخرى(*)

تحول النشاط الارسالي عبر البعثات التعليمية والتبشيرية ، إلى صراع وتنافس « لكسب الموارنة » . ويعبر ممثل فرنسا عن هذه الحقيقة في قلقه من ابتعاد الموارنة عنهم : « لأن اختلافنا مع الكرسي الرسولي في روما ، وسوء تصرف قناصلنا سيستفيد منه منافسونا الطليان والروس والالمان الذين يسعون بجميع الوسائل لابعاد الموارنة عنا . » .

لذا ترافق النشاط التعليمي للبعثات وأماكن تواجدها مع النشاط التبشيري والسياسي بما يلائم مصلحة الدولة التي تدعم وتساعد . إلا أنها لم تفلح ، كما جرت الامور فيما بعد ، لا في منافسة السياسة الفرنسية ، ولا في منافسة بعثاتها .

المرسلون الطليان .

يعود وجود هؤلاء في لبنان إلى زمن العلاقة بين فخر الدين الثاني وإيطاليا . حيث سمحت الاتفاقات التجارية المعقودة آنذاك ، للّغة الايطالية أن تفرض نفسها في الشؤون الاقتصادية والتجارية وحتى في المعاملات اليومية . « وقد ساهمت عدة عوامل في نشر هذه اللغة وتغلغلها في الاوساط المختلفة .

---

(١) tibawi ، ذكره سلام المرجع السابق ، ص. ١٩١ ـ ١٩٢ .

(*) راجع ايضاً الوثيقة الأخيرة في ملحق الكتاب حول المدارس الاجنبية (رقم ٣٢) .

ففي البداية زرع طلاب الكلية المارونية القدامى حب هذه اللغة أينما حلّوا في لبنان . كذلك كانت المواصلات البحرية . . حتى زمن قريب في أيدي أهل جنوى والبندقية الذين كان لهم ولمدة طويلة مؤسسات عديدة على طول الشاطيء . . . والذين أصبحت لغتهم شيئاً فشيئاً اللغة الاجنبية الاكثر رواجاً في المشرق . »[1] .

إلا أن نجم هذه اللغة بدأ بالأفول في منتصف القرن التاسع عشر ، وغابت نهائياً ، بعد أن تركت آثاراً هامة في ألفاظ اللغة التجارية والاقتصادية . وتعلمت الاجيال الجديدة اللغة الفرنسية التي بات لا غنى عنها للاتصال بالأوروبيين . »[2] .

بقيت المدارس الايطالية قليلة العدد حتى الحرب العالمية الأولى . وكانت جميعها في شرقي بيروت . إلا أنها اقفلت أثناء الحرب ، لتعاود نشاطها فيما بعد . وبين عامي ١٩٢٢ ، و١٩٢٣ ، وبفضل مساعدات « الجمعية الوطنية للبعثات الايطالية في الشرق » ، افتتحت عدة مدارس في طرابلس ، والقبيات ، وبشري ، كما افتتح في بيروت مدارس تشرف عليها الاخوات . إلا أن عدد المدارس لم يتجاوز حتى عام ١٩٢٤ أربعة عشر مدرسة .

البعثات النمساوية :

اقتصر نشاطها على المساعدات المادية وعلى بعض « الأعمال الانسانية » . وقد حاولوا الوقوف إلى جانب اليسوعيين ، وتأييدهم أثناء خلافهم مع فرنسا ، لجذبهم إلى فلك السياسة النمساوية . . .

البعثات الروسية :

اتجهت اساساً نحو الروم الارثوذكس . فبقيت خارج حلبة الصراع التي اشتدت بين البروتستانت والكاثوليك .

---

(١) Eugène Y : Les Puissances devant la révolte arabe . Paris 1966 - p . 196 .

(٢) عبد النور . المرجع السابق ، بالفرنسية ، ص. ٥٥ ـ ٥٦ .

امتدت من فلسطين إلى لبنان عام ١٨٨٢ بناء على قرار« الجمعية الارثوذكسية الملكية في فلسطين » . وتم افتتاح أول مدرسة لها في بيروت عام ١٨٨٧ . تلتها مدارس أخرى في صور وحاصبيا ومرجعيون وراشيا وكسروان والمتن والكورة وطرابلس . . أما لغتا التدريس فهي العربية والروسية .

كان « للجمعية الارثوذكسية » في فلسطين مدرسة لاعداد المعلمين تستقبل الطلاب الممنوحين من لبنان ومن سائر مناطق الشرق الاوسط . حيث التدريس باللغة الروسية فقط ، إلى جانب بعض مبادىء العربية . ومن ينهي دراسته في هذه المدرسة ، يسافر إلى روسيا لمتابعة تحصيله ليعود بعد ذلك إلى التعليم في المدارس الارثوذكسية .

البعثات الالمانية :

افتتحت مدارسها في بادىء الامر لتعليم أطفال الالمان . ثم دخل بعض ابناء الارثوذكس إليها . إلا أنها لم تحقق نفوذاً ملحوظاً بين البعثات المتنافسة . ويقول أحد الفرنسيين معلقاً على نشاطهم « على المهندسين الالمان أن يتعلموا لغتنا كي يسمعهم الناس ، ويتفاهموا مع موظفيهم »[١] . وذلك اشارة إلى قلة انتشار هذه اللغة وقلة الذين يعرفونها .

---

(١) عبد النور . المرجع السابق . ص. ٥٦ .

ملحق وثائق الفصل الخامس

(١) فوائد كلية عينطورة للفرنسيين .

(٢) حث على الاهتمام بكلية عينطورة خدمة للنفوذ الفرنسي عبر العائلات المارونية .

(٣) المدارس الاجنبية في بيروت ، اللاذقية ، حمص ، حماه ، طرابلس ، صيدا ، وجبل لبنان ، والمدارس الاميركية في طرابلس مع جداول بانتشارها في الاقضية المختلفة . .

المراسلات القنصلية والتجارية

تركيا - بيروت ١٨٣٤ - ١٨٣٥

مجلد واحد(٣) 1 ter

بيروت ١٠ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٨٣٤

قنصلية فرنسا في عكا وتوابعها .

الإدارة التجارية .

رقم ٧١

سعـادة الاميرال الكـونت دي ليريـين Comte de lirigny وزير الشؤون الخارجية في باريس .

إن رجال الدين الذين يتعلقون بنـا (العازاريـون) ، لا يكتفون بتقليـد اسلافهم ، لان حاجات اليوم أكبر من حاجـات الزمن المـاضي ، بل يـريدون أن تكون كلية عينطورة لابناء الفرنسيين وابناء الموارنة أيضاً الذين يتهيأون لكي يصبحوا تجاراً وكتاباً وتراجمة ، وان تكون كذلك إلى من يرغب في تعلم الفرنسية والايطالية . سيكون لهذه المؤسسة فائدة مزدوجة بالنسبة لفرنسيي سوريا وقبرص والمناطق المجاورة : في تربية أطفالهم أولاً ، وفي اعداد تجار وتراجمة وكتاب يتقنون الفرنسية ويتعاملون معهم مباشرة ، دون اللجوء إلى مترجمين .

لقد فكرت ، سعادة الوزير ، أن مؤسسة كهذه ، تستحق تشجيع غـرفة تجارة مرسيليا التي تهتم ولا شك بازدهار تجارتنا في الخارج .

التوقيع : غيزو

وثيقة رقم (١)

مراسلات القناصل السياسية

تركيا ـ بيروت

مجلد ٤

قنصلية فرنسا في بيروت

الإدارة السياسية

رقم ٥٣

بيروت ٧ تموز (اغسطس) ١٨٤١

سعادة السيد غيزو وزير سكريتير الدولة في قسم الشؤون الخارجية في باريس .

منذ مدة وأنا أقترح أن تهتموا بكلية العازاريين في عينطورة اهتماماً خاصاً . . . إن هذه المدرسة ، ولسبب النقص في الاموال اللازمة ، قد توقفت عن التقدم حالياً .

يبدو لي ، سعادة الوزير ، أنه بالاضافة إلى ما يحققه توسع هذه المدرسة لنفوذنا ، فإنها تقدم للملك أيضاً فائدة مباشرة . فإذا وهبنا لها عشر منح ، أو خمس عشرة . . وإذا كان بالامكان توفير قسم من هذه المنح لبعض أطفال الأسر المارونية ذات الارتباط الوثيق بفرنسا ، فإن حكومة الملك ستخلق بين هذه العائلات من خلال نشر اللغة والثقافة الفرنسيتين ، نقاط اتصال جديدة معها ومع البلد ، ورموز جديدة وثمينة للاعتراف بفضلها .

التوقيع غير واضح

وثيقة رقم (٢)

إدارة الشؤون السياسية

رقم ٢٧ — بيروت ٣١ أذار (مارس) ١٨٩٦

من السيد SOUHART ، قنصل فرنسا العـام في بيروت ، إلى السيـد BERTHELOT وزير الشؤون الخارجية .

سيدي الوزير

منذ وصولي إلى هنا ، شُغلت بما نواجهه من منـافسة مؤسسـات البعثات الاجنبية ، الايطالية ، والبروتستانتية والارثوذكسية ، التي تتنامى يوماً بعد يوم . فوجدت أنه من المفيد أن أجمع في تقرير شامـل المعلومات المتعلقـة بهذا الشـأن التي جمعها وكلاؤنا .

كـما اتشرف أن انقـل لسعادتكم ، هـذا العمـل الـذي يبـدو لي مكمـلاً للتقارير التي ترسل كل سنة إلى سفارة فرنسـا في القسطـنطينية بمنـاسبة طلبـات المنح للمؤسسات الدينية التي ندعمها في سوريا .

التوقيع : سوهار

ملحق لتقرير ٣١ اذار (مارس) ١٨٩٦ رقم ٢٧

I المدارس الاجنبية في بيروت

إن المـدارس الفرنسيـة أو المـدارس التي نسـاعـدها ، حيث يحتـل تعليم الفرنسية المرتبة الأولى فيها ، هي المدارس الأكثر عدداً بين جميع المدارس الأجنبية في بيروت . وما يمتلكه خصومنا في هـذه المدينـة ، من مؤسسات ، لا يمكن أن يقـارن بتلك التي نسيطر عليهـا . إن الايـطاليـين والانكليـز والالمـان يـطورون مؤسسـاتهم ويجـذبـون إليهم أولاد السكـان المحليـين . كـما يجب أن نضيف إليهم ، من ضمن المدارس الاجنبية ، المـدارس الاسرائيليـة والمدارس الارثوذكسية .

وثيقة رقم (٣)

١ ـ المدارس الايطالية :

يبدو أن الايطاليين هم من أكثر خصومنا بذلاً للجهود والتضحية . لقد اضطروا ، منذ خمس سنوات ، ولاسباب اقتصادية ، أن يقفلوا قسماً كبيراً من مدارسهم التي اسسوها في المشرق ؛ وقد ركزوا جهودهم على عدد من المؤسسات التي احتفظوا بها في المدن الكبرى ، خاصة في بيروت .

وتشير المعلومات التي حصلنا عليها ، إلى أن نفقات هذه المدارس تصل إلى ما يقارب خمسين الف فرنك في السنة . أما النتائج ، فلا تتلاءم مع هذا المبلغ الضخم . لقد كفتّ اللغة الايطالية منذ عدة سنوات ، في بلاد المشرق ، عن أن تكون اللغة السائدة في التجارة واستبدلت بالفرنسية . اَن السكان يفضلون اذن مؤسساتنا ، أما ازدهار المدارس الايطالية في رأس بيروت فلا يفسر سوى بالغياب التام للمدارس الأوروبية الاخرى من جهة ، وبالهبات المادية من كل نوع التي تقدمها إيطاليا للاطفال في مؤسساتها من جهة أخرى لهذا السبب توزع إدارة المدرسة الكتب واللوازم المدرسية مجاناً ، وتهب الطلاب المحتاجين ثياباً ، ومالاً في بعض الاحيان ، كما تمنح المرضى منهم الأدوية المناسبة التي يقترحها الطبيب الذي ترسله هذه الإدارة . كان لا بد وأن تجذب هذه الوسائل الطلاب في بلد سكانه فقراء وينتهزون الفرص على أنواعها للاستفادة من وجود الاجنبي . كما يجب أن نضيف إلى كل ذلك أن حي رأس بيروت أصبح أكثر الاحياء سكاناً ويتسع يوماً بعد يوم .

لكن ، وبالرغم من جهود الحكومة الايطالية ، فإننا حين نقرر افتتاح مدرسة مجانية في هذا القسم من المدينة سوف تفرغ مؤسسة منافسينا من معظم طلابها . وقد استقبلت القنصلية العامة في السنوات الاخيرة ، طلبات عدة من زعماء الطوائف المختلفة ، من أجل إقامة « أخوات العقيدة المسيحية » في رأس بيروت ؛ إلا أن بعض الصعوبات المالية حالت دون استجابة هذا الطلب ، الذي يستحق من ناحية نفوذنا السياسي ، أن يؤخذ بعين الاعتبار . إن التقديرات . . لتأسيس مدرسة فرنسية في رأس بيروت تتراوح بين ستة الاف

وسبعة الآف فرنك للسنة الاولى وأربعة الآف للسنوات اللاحقة .

يبلغ عدد المدارس الايطالية في بيروت أربعاً ، هي :

١ ـ مدرسة ابتدائية للبنين في رأس بيروت ، تضم حوالي ١٥٠ تلميذاً ، أغلبهم موارنة ، وخمسة معلمين ايطاليين وأربعة من السكان المحليين . الايطالية هي اساس التعليم .

٢ ـ مدرسة ابتدائية للبنات في الحي نفسه ، تضم أكثر من ثلاثمئة طالبة وست معلمات ايطاليات واثنتين من أهالي البلاد . إلى جانب هذه المدرسة هناك مؤسسة للشبان الصغار تشرف عليها معلمتان ايطاليتان .

٣ ـ مدرسة تجارية تأسست عام ١٨٩٤ وهدفها نشر اللغة والنفوذ الايطاليين في هذا البلد وكذلك منتجات شبه الجزيرة . في البداية ، كان مدير المدرسة يرأس وكالة تجارية . . . تضم المدرسة التجارية أربعة صفوف ، أما التلاميذ الذين يتابعون جميع الدروس بانتظام فيقبلون مجاناً في المدارس العليا للتجارة في ايطاليا . يتضمن البرنامج ، بشكل عام ، مبادىء المحاسبة والرياضيات ، والجغرافيا التجارية . التعليم بالايطالية ، إلا أنهم اضطروا لتعليم الفرنسية أيضاً ؛ لقد باتت معرفة لغتنا أمراً لا غنى عنه في الشرق .

وتعتبر هذه المدرسة حديثة العهد أمام ما تتوخاه من نتائج جدية ؛ ويبدو أنها لن تتمتع بمستقبل مشرق . فعدد الطلاب الذي كان ٢٥ طالباً إبان افتتاحها في تشرين الأول (اوكتوبر) عام ١٨٩٤ أصبح ٢٤ مع بداية عام ١٨٩٥ ، وهو اليوم اثنان وعشرين . ولا تعود ضآلة هذا النجاح إلى قلة التعاطف مع المدارس الايطالية فقط ، بل وإلى اضطرار الطلاب لتعلم اللغة الايطالية التي تبدو فائدتها قليلة جداً .

من المؤكد إذن ، أننا حين نفتتح مدرسة مهنية وتجارية ، سوف سيترك معظم الطلاب المعهد الايطالي ويلتحقوا بنا .

هذه المدارس الثلاث هي مدارس رسمية إيطالية وتخضع لاشراف

القنصل الايطالي العـام مباشـرة . أما الـرابعة فهي أقـل أهمية ، وهي مـدرسة خاصة للسيد Benetti .

٤ ـ مدرسة Benetti : أسسها قبل عدة سنوات أحد الايطاليـين الذين مارسوا لمدة طويلة مهنة التدريس في مـدرسة اليسـوعيين في بيـروت . لا تضم هذه المدرسة أكثر من أربعين تلميذاً يتلقون تعليماً ابتـدائياً صـرفاً ، والفـرنسية إلى جانب الايطالية . يقوم بالتدريس Benetti نفسه ويعاونه معلمان من اهالي البلاد .

إلى جـانب هذه المـدارس التي تشرف عليهـا القنصلية العـامة لايـطاليـا مباشرة ، أرى أن أضيف عدداً آخر من المـدارس الدينيـة التي تنافسنـا ، والتي يشـرف عليها آبـاء الفرنسيسكـان « للارض المقـدسـة » في مختلف المـدن حيث تنتشر هذه البعثات ذات العواطف الايطالية . وأبرزها مدارس طرابلس للبنين والبنات لتعليم الايطالية ، ومدرسة الناصـرة التي يُنافس الفـرنسيسكان فيهـا ، بكل الوسائل الممكنة ، مدرستنا التي يشرف عليها « الاخوة Les Frères » .

أمـا خارج هـاتين المـنطقتين فـلا يبقى سوى بعض المـدارس الصغيـرة الملحقة بأديرة « الأرض المقدسة » ، حيث التعليم غير ذي فائدة .

٢ ـ المدارس الالمانية :

يمتلك الالمـان في بيروت مؤسستـين هامتـين : مستشفى تستخدم بمثـابة عيادة لكلية الطب الاميركية ، ومدرسة للفتيات في حي رأس بيـروت . يشرف على هاتين المؤسستين ويديرهما الرهبان البروتستانت .

يؤم المـدرسة أطفـال الجاليـة الالمانيـة بشكل خـاص وعدد من السكـان المحليين من طائفة الارثوذكس الذين يتعاطفون في الشرق ، مع البروتستانتية ، وبالتالي مع انكلترا . كذلك بعض أولاد العائلات الفرنسية نظراً لقربها . يبلغ عـدد التـلاميـذ الاجمـالي ٦٥ طـالبـاً ، بينهم أربعـون داخليـاً وخمسة وعشـرين خارجياً ؛ أما عدد المعلمات فهو تسعة ، ست راهبات وثـلاث من أهالي البلاد .

التعليم بالعربية والالمانية أما الفرنسية فتحظى ببعض الدروس الخاصة لمن يرغب في امتلاكها .

وهناك مدرسة أخرى في بكفيا ، للفنون والمهن يشرف عليها راهب كاثوليكي هو الاب شميت ، وهي تحت الحماية الالمانية . . . . أسس الاب شميت هذه المدرسة عام ١٨٩٤ ، بعد أن سافر إلى فرنسا والمانيا ليجمع المال اللازم لذلك ، ثم عاد إلى بيروت ومعه ستة أشخاص ذوي أصول المانية .

وقد اكتشف بعد مدة وجيزة استحالة تلبية متطلبات المدرسة ، فلجأ إلى جميع الابواب ؛ وبما أنه لم يلق اذناً صاغية لدينا ، فقد اتجه نحو القنصلية الالمانية التي وهبته فوراً مساعدة من حكومتها . هكذا أصبحت تلك المدرسة تحت الحماية الالمانية .

مهما يكن من أمر هذه المدرسة ، فإنها الآن في وضع لا تحسد عليه ؛ فهي في وسط ماروني شديد الميل لفرنسا ، واساتذتها لا يعرفون سوى الالمانية ، ولم تستطع أن تكسب ثقة العائلات التي لم ترسل إليها سوى بضعة أولاد فقط . وقد حاول المدير ، الذي أدرك صعوبة الظروف المحيطة به ، أن ينتقل بها إلى وسط أكثر ملائمة ، إلا أنه لا يزال لغاية اليوم ، يصطدم بنفوذ الاهالي ، ورفضهم بيع أو تأجير أي مكان آخر .

٣ ـ المدارس الاميركية :

١ ـ أسس المرسلون الاميركان ، منذ خمس عشرة سنة تقريباً ، كلية للطب في رأس بيروت . مجهزة جيداً وينفقون عليها بسخاء كبير. في هذه الكلية التي تنافس كليتنا سبعة أساتذة أميركيين، ستة منهم للطب والآخر للصيدلة . وتضم حالياً ٧٧ تلميذاً . تعطى الدروس بالعربية بعد ترجمتها مباشرة من الانكليزية. استمر هذا النظام طيلة السنوات الأخيرة ، لكن مساوئه كثيرة لان اللغة العربية تفتقد للمصطلحات العلمية . وقد احرز تدريس الانكليزية في مدارس البعثات تقدماً ملحوظاً ، لذا الغيت الترجمة إلى العربية واقتصر التعليم على الانكليزية مباشرة .

٢ ـ إلى جانب كلية الطب ، اسس الاميركيون نوعاً من المدرسة التحضيرية حيث تدرس العربية ، الانكليزية ، ومبادىء العلوم . أما الفرنسية فاختيارية . ويلتقي معظم طلاب الطب تقريباً في هذه المدرسة التي تضم مئتي تلميذ .

٣ ـ للاميركيين أيضاً مدرسة للفتيات مجاورة للمدرسة السابقة ، تضم أربعين داخلياً وخمسين خارجياً وثلاث معلمات أميركيات وأربعاً من سكان البلاد . تدرس فيها الانكليزية ، العربية ، أشغال الابرة والموسيقى ، والفرنسية اختيارية .

وتقع جميع هذه المدارس في حي واحد ، على المرتفع الغربي من رأس بيروت . انها أجمل مؤسسة مدرسية في المدينة ، بالاضافة إلى كلية الآباء اليسوعيين .

٤ ـ مدارس البعثات الانكليزية :

لهذه البعثات أيضاً أربع مدارس مهمة :

١ ـ معهد للفتيات مجاور لمؤسسة اخوات القديس يوسف ومنافس لها . يضم ستين داخلياً وعدد مماثل من الخارجين . التعليم بالانكليزية والعربية بواسطة ست معلمات ، ثلاث منهن انكليزيات ، وثلاث من سكان البلاد .

٢ ـ مدرسة ابتدائية للبنين في رأس بيروت تضم ثمانين تلميذاً وثلاثة اساتذة .

٣ ـ مدرسة ابتدائية للفتيات في الحي نفسه ، تضم اربعين تلميذاً .

٤ ـ مدرسة ابتدائية أخرى للفتيات في حي الروم الارثوذكس ، تضم خمسين تلميذاً واستاذين . في هذه المدارس الابتدائية الثلاث يقتصر التعليم على العربية فقط .

٥ ـ المدارس الارثوذكسية :

للروم الارثوذكس في بيروت مدارس هامة ، بينها اثنتان تتولى أمرها الحكومة الروسية .

١ ـ مدرسة ابتدائية للبنين في حي المزرعة ، تضم مئتي تلميذ وثلاثة اساتذة . التعليم بالعربية والفرنسية .

٢ ـ مدرسة ابتدائية للبنين في حي المصيطبة ، فيها ثلاثة اساتذة واربعمائة تلميذ يتعلمون العربية والفرنسية أيضاً .

٣ ـ مدرسة للبنين في حي القديس نيقولا ، وفيها اربعة اساتذة ومائتي تلميذ .

٤ ـ مدرسة ابتدائية للصبيان في حي Télat AHmar ، حيث التعليم بالعربية ، والفرنسية واليونانية . تضم هذه المدرسة مئة وتسعين طالباً وستة اساتذة .

٥ ـ مدرسة للفتيات ملحقة بالسابقة ، تستقبل مئتي تلميذ ؛ والتعليم فيها مماثل لتعليم الصبيان .

التعليم في جميع المدارس السابقة غير مجاني . إلا أن القسط الشهري غير مرتفع ويختلف وفقاً لإيراد الاهل .

٦ ـ مدرسة داخلية للبنات « باكورة الاحسان » ، تدعمها بشكل أساسي سيدة غنية من اهالي البلاد « مدام جورج سرسق » . تضم المدرسة مئتي تلميذ بينهم مئة وأربعين يدفعون اقساطاً ، وستين يتيماً مجانياً . وفيها خمسة عشر استاذاً ومعلمة (بينهم معلمتان فرنسيتان) يعلمون بالعربية والفرنسية .

وتتولى الحكومة الروسية من جهة أخرى ، الاشراف على مدرستين :

١ ـ مدرسة مجانية مختلطة في حي المزرعة ؛ تضم مئة وخمسين تلميذاً يتعلمون العربية ويتلقون دروساً في اللغة الروسية .

٢ ـ مدرسة مجانية أخرى في المصيطبة . عدد تلاميذها حوالي المئتين . والتعليم فيها بالعربية . والروسية أيضاً .

لقد بدأت روسيا الاهتمام بمدارس بيروت مؤخراً . لذا فإن نشاطها لا يزال ضيقاً . ولكن يجب أن نتوقع اتساعاً في جهودها ، وليس غريباً أن نرى مؤسساتهم في غضون سنوات ، تجتذب الروم الارثوذكس كافة ، وتنافس مؤسساتنا بقوة .

٦ ـ المدارس الاسرائيلية :

١ ـ تأسست الاليانس الاسرائيلية العالمية في بيروت منذ سنوات عدة ، مدرسة للبنين والبنات من الطائفة اليهودية .

تضم هذه المدرسة ستة وتسعين تلميذاً وأربعة أساتذة ، اثنان منهم لتعليم الفرنسية ، واثنان لتعليم العربية ، ومئة وتلميذتين ، ومعلمتين فرنسيتين ومعلمتين من أهالي البلاد .

جميع الطلاب خارجيين . بعضهم يدفع قسطاً زهيداً يتراوح بين أربعة وخمسة فرنكات في الشهر، أما الباقون فمعظمهم مجاناً. لذا تتحمل الاليانس تبعات ثقيلة ، ويبدو من المعلومات التي حصلت عليها ، أنهم يفكرون في اقفالها لأنها لم تحقق النتائج المرجوّة .

٢ ـ مدرسة خاصة أسسها السيد « شانتوب » . تتلقى تلامذة خارجيين فقط ، وعددهم ثمانين. يعود نجاح هذه المدرسة إلى تماسك التعليم فيها الذي يعطيه المدير واستاذين آخرين . الفرنسية هي أساس التعليم أيضاً ؛ لكن تعليم العبرية يحتل مكاناً خاصاً ويمارس بشكل جدي ، مما دفع الكثير من العائلات الميسورة من الجالية اليهودية في بيروت لارسال اولادهم إليها .

٣ ـ المدرسة الداخلية في حي « مار متري » التي أسسها السيد « كوهين » . اغلب تلامذتها ، وعددهم حوالي الخمسين ، هم من خارج بيروت ، من مصر أو من شمال سوريا . فيها خمسة اساتذة يدرسون بالفرنسية

والعربية . إلا أن المدرسة لا تتقدم ، ويبدو أن مديرها يفكر بصرف الموظفين والتلامذة لما يعانيه من صعوبات مادية .

II المدارس الأجنبية في اللاذقية .

ليس لنا في اللاذقية سوى مدرسة واحدة للفرير تضم حوالي ثمانين تلميذاً . أما البعثات الانكليزية ـ الاميركية فلها مؤسستين هامتين تملأ حياً بأكمله من المدينة .

١ ـ مدرسة للبنين تضم ٣٥ داخلياً و٨٠ خارجياً ينتمي معظمهم لطائفتي الروم الارثوذكس والارمن غير الكاثوليك . . يتألف الجسم التعليمي من أربعة اساتذة اميركيين وأربعة محليين . التعليم بالعربية والانكليزية فقط .

٢ ـ مدرسة للفتيات تضم ١١٠ داخليين اغلبهم من الروم الارثوذكس . يبلغ عدد المعلمات ثمانياً ، انكليزيتان واميركية لتعليم اللغة الانكليزية ، وخمساً من أهالي البلاد لتعليم العربية .

أما على المستوى الديني فالنتائج التي حصلت عليها البعثات الانكليزية ـ الاميركية تكاد تكون معدومة . وبالرغم من التشدد في اتباع الطقوس البروتستانتية في المدرسة ، هناك قلة قليلة من الذين يعتنقونها بصدق وصراحة . لأن التلاميذ عندما يعودون إلى بيوتهم ، يسارعون أيضاً إلى العودة لمعتقدات آبائهم ، ومن يبقى منهم بروتستانتياً يفعل ذلك بدافع المصلحة فقط .

أما النتائج الملحوظة فهي على مستوى نشر اللغة الانكليزية . فقد تأسست المدرستان قبل خمسين سنة ، بينما يعود تاريخ الفرير إلى بضع سنوات فقط . أي أن البعثات الانكليزية الاميركية لم تواجه أية منافسة ، فعملت بحرية على نشر النفوذ واللغة الانكليزيين . . . .

III المدارس الأجنبية في حمص وحماه

لليسوعيين في حمص مدرسة تضم ثمانين تلميذاً . انهم المرسلون اللاتين الوحيدون الذين يساهمون في نشر النفوذ واللغة الفرنسيين ؛ أن مدارس المونسينيور عطا بطريرك الروم الكاثوليك ليس لها سوى وجود شكلي ، رغم مساعدتنا لها عام ١٨٩٥ ، وتنافسها البعثات الانكليزية الاميركية التي تمتلك في حمص ثلاث مدارس هامة هي :

١ ـ مدرسة في المدينة نفسها ، وواحدة في محيطها . تضم الأولى ثلاثين تلميذاً من الروم الارثوذكس ، والثانية خمسين تلميذاً وتلميذة .

٢ ـ مدرسة للفتيات تديرها معلمة واحدة من أهالي البلاد . وتلامذتها خمسة وثلاثين من الارثوذكس واليعاقبة .

وللبعثات الانكليزية في حماه أيضاً مدرسة للصبيان وأخرى للبنات ، إلا أنها لم تنجح في اجتذاب الطلاب إليها فاقفلت أبوابها .

على رهباننا إذن أن يواجهوا ، في حمص ، مؤسسات الروم الارثوذكس التي تعج بالطلاب . ومن المفيد أن اذكر هنا أيضاً أهمية بعض المدارس المحلية . فللروم في هذه المدينة مدرسة للصبيان لا يقل عدد طلابها عن الـ ٦٥٠ طالباً . بينهم خمسة وستين يتابعوه دروساً في الفرنسية ، ومدرسة للفتيات فيها ٢٨٠ تلميذة . كما يمتلكون مدرستين في ضواحي حمص واحدة للصبيان وواحدة للبنات .

وقد انتقلت هذه المدارس منذ بضعة أسابيع ، بالاضافة إلى مدارس اخرى في حماه ودمشق ، إلى اشراف الجمعية الروسية الارثوذكسية في الجليل ، وذلك أثر اتفاق بين هذه الجمعية وبطريركية الروم الارثوذكس في القدس . وتنص احدى بنود الاتفاق على الغاء تعليم الفرنسية في هذه المؤسسات .

١٧ المدارس الأجنبية في طرابلس

ـ المدارس الفرنسية .

تمتلك في طرابلس مدرستين للصبيان يديرهما الفرير ، واحدة في طرابلس ـ المدينة وفيها مئة وعشرة تلاميذ، والثانية في طرابلس ـ البحرية وفيها ١٥٩ تلميذاً . كما يوجد في طرابلس ـ المدينة مدرسة للفتيات تديرها اخوات المحبة وتضم حوالى ٥٥٠ طفلة .

تواجه هذه المدارس منافسة مدارس البعثات الأميركية ومدارس الارثوذكس .

٢ ـ المدارس الاميركية :

يتسع نشاط البعثة الاميركية في طرابلس إلى كل من . سنجق طرابلس ، وسنجق حماه ، واقضية البترون والكورة في لبنان . وكان الاميركيون حتى وصول اليسوعيين عام ١٨٨٢ ، الوحيدين الذين يهتمون بمنطقة شمال طرابلس . وقد أوقف رهباننا تقدمهم وجذبوا إليهم بعض طلابهم .

يشرف الاميركيون في المنطقة على المدارس التالية :

١ ـ مدرسة للفتيات في طرابلس ، المدينة . وفيها مديرة اميركية ، وأربعة معلمات من أهالي البلاد ، و٩٥ طالبة ، بينهم ٤٥ داخليين غير مجانيين ، وخمسين خارجيين مجانيين .

٢ ـ مدرسة للصبيان في طرابلس ـ المدينة وفيها استاذين محليين وخمسة وثلاثين تلميذاً مجانياً .

٣ ـ مدرسة للفتيات في طرابلس ـ البحرية وفيها مديرة محلية وخمسين تلميذاً خارجياً .

التعليم في هذه المدارس الثلاث بالعربية والانكليزية .

للبعثة الاميركية خارج طرابلس عدة مدارس صغيرة يشرف عليها اساتذة محليون فقط ولا تعلم سوى العربية ؛ بعض الطلاب فقط يتلقون دروساً في الانكليزية . أهم هذه المدارس موجود في منطقة عكار ، في دابورا ، جبرايل، منيارا، صافيتا ، مشتا ، برج صافيتا ، وفي الحصن والكورة . وسيبين لنا الجدول اللاحق تفصيلياً توزيع المدارس التي تدعمها وتشرف عليها البعثات الاميركية في طرابلس .

٣ ـ المدارس الارثوذكسية :

إن منافسة الاميركيين لمؤسساتنا لا تقاس بما يفعله الروم الإرثوذكس . فبطريرك هذه الطائفة ، المونسينور غريغوريوس ، يبذل جهوداً واسعة لمضاعفة مدارسها ، ويحاول الحصول على مساعدة الـ Saint- synode الروسي والجمعية الروسية في فلسطين لتحقيق ذلك .

ولكي يواجه مدرسة الفرير ، أسس المونسينور غريغوريوس مدرسة للصبيان في « كفتين » ، على بعد ساعتين من طرابلس . إلا أنها اقفلت ابوابها نظراً لسوء ادارتها .

كما يشرف البطريرك الارثوذكسي على المدارس التالية :

١ ـ مدرسة للصبيان في طرابلس ـ البحرية ، فيها ١٤٠ تلميذاً ، بينهم ٤٠ يتعلمون الفرنسية ، ومدرسة للفتيات تضم ١١٠ طالبات ـ ولا يُعلم فيها إلا العربية والاشغال اليدوية .

٢ ـ مدرسة للصبيان في طرابلس ـ المدينة ، فيها ١٩٠ طالباً ، يتابع البعض منهم دروساً في الفرنسية .

لقد جعل المونسينور غريغوريوس لهذا المدارس شأناً هاماً ، بعد أن ضاعف عدد الاساتذة فيها وأضاف إليها تعليم لغتنا .

V المدارس الأجنبية في صيدا .

على مدارس اليسوعيين ومدارس راهبات مار يوسف الظهور في صيدا - أن تواجه مؤسسات الكنيسة الكلفانية الاميركية التي تضم :

١ - مدرسة للصبيان يتعلم فيها ٨٠ طالباً داخلياً وخمسين خارجياً الانكليزية والعربية . كما يعطى فيها بعض الدروس في الفرنسية بطريقة غير منتظمة للايحاء بأن لغتنا جزء من برنامج التدريس .

وقد أضاف المرسلون إلى هذه المدرسة ، مدرسة للفنون والمهن جلبوا إليها خياطاً وحداداً ونجاراً . . . ويحق للطلاب الداخليين فقط أن يتعلموا المهنة التي يرغبون بها . ويبدو أن هذه المدرسة التي افتتحت هذه السنة ستكون ، بعد أن تتطور ، وسيلة دعائية ممتازة بين الأهالي الذين سيجدون فيها فرصة سانحة لتعليم اولادهم مهنة ما .

٢ - مدرسة للفتيات يتعلم فيها ستين طالبة داخلية وخمسين خارجية العربية والانكليزية فقط .

ويفكر المرسلون الاميركيون بتأسيس مدرسة زراعية في ضواحي صيدا . وقد اختاروا أرضاً واسعة في « الميه وميه » دفعوا ثمناً لها مئة ألف فرنك . إلا أن المفاوضات لم تنته لغاية الآن ، فعمدوا إلى البحث عن مكان آخر في « درب السيم » على مسافة ساعة واحدة من صيدا .

يجب أن نضيف إلى البعثة البروتستانتية في صيدا ، مدرسة الصبيان في صور وثمان مدارس صغيرة في منطقة مرجعيون ؛ ويبدو أن هذه الأخيرة لا تضم اعداداً واسعة من الطلاب .

IV المدارس الأجنبية في جبل لبنان

إن التقرير السابق حول اوضاع المدارس البروتستانتية في ولاية بيروت يبقى ناقصاً إذا لم نضف إليه بعض التفاصيل حول النفوذ البروتستانتي في

حكومة لبنان العامة . وفقاً لاحصاء البعثات البروتستانتية نفسها ، يوجد في لبنان تسع عشرة مدرسة للفتيات وخمس وخمسين مدرسة للصبيان تشرف عليها وتساعدها الجمعيتين الانكليزية والاميركية الموجودتين في سوريا . ويبين لنا الجدول اللاحق تفاصيل ذلك .

باستثناء برمانا حيث توجد مستشفى يشرف عليها طبيب انكليزي ، وبعض المدارس الملحقة بها ، فإن المدارس المذكورة بدائية جداً . . . وأنا أشك في رقم الثلاثة آلاف طالب الذي قدم لي على أنه عدد الطلاب اللبنانيين في المدارس البروتستانتية كما لا أشك في أن عدد هذه المدارس قد تضاعف كثيراً في السنوات الأخيرة ، وإذا لم نحاربها ونواجهها بقوة كما هي الحال مع المدارس الأهلية التي يدعمها اليسوعيون ، فإننا سنواجه خطراً راهناً ومستقبلياً على نفوذنا . ان المسيحي من سكان البلاد الذي لا يبحث سوى عن مصلحته الخاصة سوف يعتاد تدريجاً على التوجه إلى انكلترا ، ويكف عن اعتبار فرنسا القوة التي تحميه .

التوقيع : سوهار

I جدول المدارس البروتستانتية في جبل لبنان .

١ ـ قضاء المتن

القرى	مدارس البنات	مدارس الصبيان
المتين	-	١
كفر عقب	-	١
عين القبو	-	١
الشوير	١	١
رأس المتن	-	١
برمانا (مع المستشفى)	١	١
روميه	-	١

القرى	مدارس البنات	مدارس الصبيان
بيت مري	١	١
المنصورية	-	١
نابية	-	١
عاريا	١	١
برج البراجنة	١	١
حمانا	-	١
كفرشيما	-	١
وادي شحرور	-	١
القداد	-	١

٢ ـ منطقة جزين

القرى	مدارس البنات	مدارس الصبيان
الهلالية	-	١
صالحية	-	١
جزين	-	١

٣ ـ منطقة دير القمر

القرى	مدارس البنات	مدارس الصبيان
دير القمر	١	١

٤ ـ منطقة الشوف

القرى	مدارس البنات	مدارس الصبيان
بحمدون	١	١
عاليه	١	١
سوق الغرب	١	١
شملان	١	١
عيناب	١	١
كفر متى	١	١
المختارة	١	١
غريفة	١	١
الباروك	١	١
عين زحلتا	١	١

القرى	مدارس البنات	مدارس الصبيان
الشويفات	١	١
عين بعال	١	١
عين عنوب	١	١
عرمون	-	١
معلقة الدامور	-	١
الدبيه	-	١
المطلة	-	١
عماطور	-	١
بعقلين	-	١
بشامون	-	١
بتلون	-	١
القماطية	-	١
دير قوبل	-	١
جون	-	١

٥ ـ منطقة زحلة

زحلة	١	١

٦ ـ منطقة الكورة

كوسبا	١	-

٧ ـ منطقة البترون

البترون	-	١

٨ ـ منطقة كسروان

غرزوز	-	١
المنصف	-	١

ملاحظة : يبين لنا الاحصاء أن مدارس البروتستانت تتوزع بكثافة في مناطق الشوف والمتن حيث يغلب العنصر الدرزي وحيث يمكن بالتالي ، للنفوذ الانكليزي أن يتغلغل بقوة أكثر .

II جدول المدارس التي تديرها وتشرف عليها البعثة الاميركية في طرابلس :

١ ـ قضاء طرابلس

الامكنة	عدد الاساتذة	عدد الطلاب	والطالبات
طرابلس المدينة (فتيات)	٥	-	٩٥
طرابلس المدينة (فتيان)	٣	٣٥	-
طرابلس البحرية	-	-	٥٠

٢ ـ قضاء عكار

الامكنة	عدد الاساتذة	عدد الطلاب	والطالبات
دابورا	١	٤٠	-
شيخ محمد	١	٣٥	-
جبرايل	١	٥٠	-
منياره	٢	-	٣٠
بينو	١	٣٠	١٥

٣ ـ قضاء صافيتا .

الامكنة	عدد الاساتذة	عدد الطلاب	والطالبات
برج صافيتا	١	٤٥	-
مشتا (فتيان)	٣	١٥٠	-
مشتا (فتيات)	٢	-	٧٠

٤ ـ قضاء الحصن

الامكنة	عدد الاساتذة	عدد الطلاب	والطالبات
دير عمار	١	؟	-
خريبه	١	؟	-
عمرا	١	؟	-
مار مارتيا	١	؟	-

٥ ـ قضاء حماه

الامكنة	عدد الاساتذة	عدد الطلاب	والطالبات
حماه	١	-	٣٥
مهردا	٢	١٥٠	-

٦ ـ قضاء حمص.

الامكنة	عدد الأساتذة	عدد الطلاب	والطالبات
حمص (فتيان)	٢	١٠٠	-
حمص (فتيات)	١	-	٦٠
فيروزه	١	٤٠	-
ام دربال	١	٣٠	-

III مدارس جبل لبنان التي تشرف عليها البعثة الاميركية :

قضاء الكورة

بشمزين	٢	١٥٠	-

عادل اسماعيل ـ مجلد ١٦ (١٨٩٠ ـ ١٨٩٧) .

رسالة رقم ٦٦ .

مراجع البحث

بالعربيــة :

- **اسماعيل عادل ـ خوري اميل** : السياسة الدولية في الشرق العربي ـ اربعة اجـزاء ـ بيروت ١٩٦٠ .

- **الصليبي كمال** : تاريخ لبنان الحديث. دار النهار للنشر . ١٩٧٨ .

- **ابـو فاضـل . ميشال** : التعليم العـالي في لبنان خـلال القرنـين الاخيرين . رسـالة كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانية . بيروت ١٩٧٢ .

- **اسكندرينيه** : مدرسة عين ورقة ودورها التربـوي في لبنان . رسـالة كفـاءة في كلية التربية الجامعة اللبنانية . بيروت ١٩٧٠ .

- **اليسوعيون في الشرق الاقصى والعالم** : دار النهار للنشر . بيروت ١٩٧١ .

- **الكوسا نعيم** : المدارس الاسلامية في لبنان في القرن التاسع عشر . رسالة كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانية . بيروت ١٩٧٢ .

- **بشـور منير** : بنيـة النظام التـربوي في لبنـان ـ المركـز التربـوي للبحوث والانمـاء ـ بيروت ١٩٧٨ .

جميل محمد نور : المدارس المارونية في لبنان في نهاية القـرن التاسـع عشر . رسـالة كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانية . بيروت ١٩٧٢ .

- **حوراني البرت** : الفكر العربي في عصر النهضة . دار النهار للنشر . بيروت ١٩٧٢ .

- **حايك شكري** : التنظيم التربوي الماروني . رسالة كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانية - بيروت . ١٩٧٢ .

- **خالدي م . فروخ . ع** : التبشير والاستعمار في البلاد العربية . بيروت **١٩٧٣** . الطبعة الخامسة .

- **زين زين** : الصراع الدولي على المشرق العربي وولادة دولتي سوريا ولبنان . دار النهار للنشر - بيروت ١٩٧٨ .

- **شلق سالم** : مدارس الارساليات الاجنبية في لبنان في القرن التاسع عشر . رسالة كفاءة في كلية التربية . الجامعة اللبنانية . بيروت **١٩٧٣** .

- **عطية نعيم** : الفكر التربوي في البلاد العربية في القرن الماضي . الجامعة الاميركية . دون تاريخ .

- **عيد بيار** : الدور التربوي للاكليروس الماروني في جبل لبنان خلال القرن التاسع عشر . رسالة دبلوم في علم اجتماع التربية . معهد العلوم الاجتماعية . الفرع الاول . بيروت ١٩٨٥ .

١٦ - **عوض محمد عبد العزيز** : الادارة العثمانية في ولاية سوريا . **١٨٦٤ - ١٩١٤** دار المعارف .

بالفرنسية

مراجع عامة :

— **Abdel nour Jabbour:** La contribution des libanais à la renaissance littéraire arabe au XIX's, thèse de Doctorat d'Etat- Paris 1952.

— **Aboussouan Benoit:** Le problème politique syrien- Paris 1925.

— **Adel Ismail:** Documents Diplomatiques et consulaires- les sources françaises- Ministère de l'Education National- Beyrouth- 32 Tomes jusqu'au 1986.

— **Archives du Ministère des Affaires Etrangères Françaises:**

Série: Correspondance Politique des Consuls Turquie-Beyrouth. Vol.: 2- 3- 4- 5- 6- 7- 8- 18. 1840- 1861.

Série: Correspondance Politique et commerciale Turquie. Politique intérieure. Syrie- Liban. 1897- 1899- vol. 105-125.

Série: Correspondance Consulaires et Commerciale Turquie-Beyrouth. Tome I (1821- 1828) 1Bis (1830- 1833) 1tr (1834-1835). 7 (1854- 1863). 8.9 (1864- 1888).

5- **Baudicour- Louis:** La France en Syrie- Paris 1860 2ème édition.

6- **Boumalhab Daad:** Les relations entre le Liban et la France entre les années 1831 et 1845 thèse 3ème cycle- Paris 1969.

7- **Chevallier Dominique:** La société du Mont Liban à l'époque de la révolution industrielle en Europe. Paris 1971.

8- **Cuinet Vital:** Syrie Liban et Palestine- Géographie administrative, statistique des criptive et raisonnée- Paris 1896.

9- **De Dainville François S.J.:** La naissance de l'humanisme moderne. Les Jésuites et l'education de la société française- Tome I- paris 1939.

10- **Durkheim:** L'evolution pédagogique en France. P.U.F. (1969).

11- **Guys Henri:** Relation d'un sejour de plusieurs années à Beyrouth et dans le Liban- tome I.II. Paris 1847.

— Voyage en Syrie- peinture des mœurs musulmanes, chrétiennes et israélites. Paris 1855.

— Esquisse de l'etat politique et commercial de la Syrie- Paris 1862.

12- **Giappesi-Christiane:** Structures communautaires et idéologie politique au Liban à lépoque du Mandot français (1919-1946) thèse 3eme cycle Paris 1974.

13- **Gontaut-Biron conte R.de:** Comment la France s'est installée en Syrie- 1918-1919- Paris 1922.

14- **Hajjar Joseph:** L'Europe et les destinées du proche orient (1815-1848)- Belgique 1970.

15- Histoire universelle des Missions catholiques sous la direction de M.S. De la croix.

Tome I- les Missions des origines au XVI S^{e}me-1956
II- les Missions Modernes 1957.
III- les Missions contemporaines 1958.
IV- L'Eglise catholique en face du monde mon chrétien. 1959.
Librairie Grund.

16- **Murad Nicolas S.G.MGR:** Sur l'origine de la nation Maronite et sur ses rapports avec la France Paris 1844.

17- **Primo J.L.François:** Histoire universelle des Missions catholiques. Tome II. Paris 1957.

18- **Rist elhueber René:** Traditions françaises au Liban-Paris 1918.

19- **Rochemonteix C.P.J:** Le Liban et l'expédition française en Syrie 1860-1861 (documents inédits du Gènéral A.Ducroit) Paris 1921.

20- **Rondot Pierre:** Les institutions politiques au Liban des communautés traditionnelles à l'Etat moderne. Paris 1947.

21- **Salam Nawaf:** L'listoire de le rôle de l'influence et de la pénétration française et Anglo-Américaine dans lénseignement au Liban de 1840 à 1914- Mérnoire de l'histoire sociale- Paris 1974.

22- **Schimberg A.:** L'Education Morale dans les colléges de la compagnie de jésus en France sous l'ancien régime (XVI, XVII, XVIII,S) Paris 1913.

23- **Sedès Jean:** Histoire des Missions Françaises. Q.S.J. Paris 1950.

24- **Tyan Ferdinand:** France et Liban-Défense des intérêts français en Syrie-Paris 1917.

25- **Vaulx B.:** Histoire des missions catholiques françaises. Fayard. Paris 1951.

٢ ـ خاصة باليسوعيين :

26- Bernoville Gaetan: Les jésuites. édition Grasset 1934.

27- Camuzet Luce: L'œuvre en Syrie des sœurs de st. J. de l'apparition. Paris 1931.

28- Charmot. F.S.J: La pédagogie des jésuites. Ses principes son actualité. SPES. Paris 1951.

29- Charles H.S.J: Jésuites missionnaires. Syrie- Proche orient. 1929.

30- Dumas François Ribadeau: Grandeur et misère des jésuites Paris 1963.

31- Gogou Georges: Les Filles de la charité-edition Grasset. Paris 1936.

32- Guillermou Alain: Les jésuites. Q.S.J, Paris 1961.

— St ignace de loyola et la compagnie de jésus. seuil. 1960.

33- Guichard. Alain: Les jésuites. Paris 1974.

34- Histoire Religieuse, politique et littéraire de la compagnie de jésus. Tome I.II.III.IV.V.VI. Paris 1859.

35- Les Jésuites en Syrie- 1831- 1931- université st joseph.

I- Séminaire oriental.
II- Faculté Française de Médecine.
III- L'Ecole du Droit.
IV- L'Ecole d'Ingénieurs.
V- Le collége et le cercle.
VI- Les œuvres de presse.
VII- L'Apostolat social.

Paris 1931.

36- Jullien (R.P.M): La nouvelle Mission de la compagnie de jésus en Syrie (1831-1895) Tome I,II. Paris 1899.

39- Khozami Victoria: L'enseignement au Liban- Thèse d'université- Paris 1952.

38- **Levenq. G. S.J:** La nouvelle mission de la compagnie de jésus au Liban et en Syrie 1831- Beyrouth 1925.

39- **Mélia Jean:** Chez les chétriensd'Orient - Paris 1929.

40- Missionnaires de 20.ans. Paris 1931- sans auteur.

41- Les Missions catholiquesfrançaises au XIXeme s.: La France a dehors- Tome premier Missions d'orient- sans date.

42- **Ravier André s.j:** Ignace de loyola fonde la compagnie de jésus Paris 1974.

٣ ـ مقالات ومجلات :

43- **Chevallier Dominique:** «Aspects sociaux de la question d'Orient- aux origines des troubles agraires au Liban en 1858», in Annales- 14eme année- No1- janvier Mars- 1959.

44- **Prelot (H.S.J):** Nos congrégations enseignantes en Syrie p.576-602., in Etudes publié par les p. de la c. de jésus tome 86- Paris 1901.

45- **Vaumas E.de.:** La répartition confessiomielle au Liban: in Revue de geographie Alpine. XLIII- Paris 1955- p.511-603.

46- **Revue d'histoire des Missions:** Revue trimestrielle. No 1- 8eme année- Paris 193.

47- **Revue historique:** No CCVII- 67 année- 1952.

48- **EMERIT M.:** Lacrise syrienne et l'expansion économique française en 1860. p.211-232.

49- **Bertrand L.:** «Les écoles d'Orient-écoles chrétiennes et israëlites.» in Revue de deux mondes: LXXIX année- cinquième période tome 52- Aôut 1952.

50- **Villeneuve H.:** Les écoles Françaises et étrangères en Syrie in Revue des universités de Midi. tome III-No2- 19eme année- 1897. article p.206-240.

51- **Canuti (Louis S.J.):** Rapport sur les écoles. TVII- 1873. 74.

52- Corneau (Simon S.J.): Les écoles des P.P. jésuites. T. VI- 1870-72.

53- Ducot (Louis S.J): Les écoles des p.p jéuites de la compagnie de jésus du Mont-Liban. Janvier 1863. Les établissements et les œuvres de la mission- T IX- 1876.

Les troix articles in Bulletin de l'œuvre des Ecoles D'orient.

فهرست الوثائق

الفصل الثالث

(١) تأسيس كلية في سوريا واثرها الايجابي على مصالح فرنسا ، وتلبيتها لحاجات المسيحيين . تولي اليسوعيين ادارة هذه الكلية . نشر اللغة الفرنسية يعني خلق نواة متفانية في كل وقت في سبيل فرنسا .

(٢) : مشروع يسوعي لبناء كلية للأطفال في بيروت . قلق فرنسي من النشاط اليسوعي ، ومن منافسته للبعثات الفرنسية .

(٣) شك فرنسي في النشاط اليسوعي .

(٤) دعوة فرنسية لطرد بعثة اليسوعيين من سوريا .

(٥) حسنات وسيئات استقرار اليسوعيين في بيروت . المقارنة بينهم وبين العازاريين . ضرورة ابعاد اليسوعيين .

(٦) توجه اليسوعيين نحو النمسا ـ تصميمهم على مهاجمة فرنسا . توسع مشاريعهم .

(٧) الخوف الفرنسي من منافسة البعثات الأخرى . تأسيس الكليات لمواجهة النفوذ ـ أهمية مدينة زحلة مسيحياً ـ ضرورة تأسيس كلية فيها .

(٩) استعداد فرنسي للتقرب من اليسوعيين .

(٩) اصرار فرنسي على جعل اليسوعيين تحت سلطتهم .

(١٠) اتفاق بين روما وفرنسا حول جمعية يسوع .

(١١) مدرسة غزير اليسوعية ـ رغبة اليسوعيين في دعم حكومة الملك ـ أهمية الكاثوليك في مدينة زحلة ـ ضرورة تحويل بعثة اليسوعيين إلى بعثة فرنسية .

(١٢) قدوم بعثة اخوات القديس يوسف ـ مواجهة الأب بلانشيه اليسوعي ـ تحذير من النشاط اليسوعي ـ المؤسسات التعليمية أفضل خدمة للمسيحيين .

(١٣) نداء فرنسي لوضع حد لمنافسة اليسوعيين .

(١٤) أهمية سوريا وأهمية المسيحيين لنشر الحضارة الفرنسية فيها عبر المدارس .

(١٥) الموارنة اكثر الطوائف استعداداً للعمل مع فرنسا . البعثات تخدم النفوذ الفرنسي .

(١٦) دعم فرنسا للكاثوليك والتظاهر بالحياد .

(١٧) موارنة لبنان يلتمسون حماية فرنسا .

الفصل الرابع

(١٨) اهتمام يسوعي بالمدرسة الابتدائية . مراقبة فرنسية للنشاط اليسوعي الذي يقترب من النمسا .

(١٩) المنح الفرنسية تجذب ابناء العائلات .

(٢٠) اعداد اشخاص ينشرون اللغة الفرنسية . أهمية مؤسسات اليسوعيين ـ ضرورة التعاون معهم لنشر الفرنسية .

(٢١) تعليم الأطفال ، أفضل وسيلة لنشر النفوذ الفرنسي . ضرورة توسيع المدارس إلى انحاء لبنان كافة .

(٢٢) علاقة التعليم بالبعثات الدينية . تنبيه إلى كيفية الحفاظ على المعارف الفرنسية التي يتلقاها الطلاب العرب .

(٢٣) أهمية سوريا . أهمية العنصر المسيحي فيها . امجاد فرنسا عام ١٨٤٠ ـ القلق من منافسة البروتستانت . تحول التعليم إلى قضية سياسية . تساؤل حول اللجوء إلى التعليم العلماني . اعتراف بفضل اليسوعيين والعازاريين في نشر النفوذ الفرنسي . تشديد على أهمية التعليم الديني .

(٢٤) قلق من التضييق العثماني على كلية الطب الفرنسية وعلى خريجيها . رغبة الباب العالي في تطوير كلية الطب الملكية .

(٢٥) خشية فرنسية من تزعزع وضع كلية الطب بسبب أزمة الدبلوم .

(٢٦) أهداف كلية الطب سياسية ودعائية ، قبل أي فائدة علمية .

(٢٧) مدرسة طب فرنسية لمواجهة النفوذ البروتستانتي ـ اعتماد على الاطباء المتخرجين لنشر النفوذ الفرنسي في تركيا .

(٢٨) مدرسة اليسوعيين في بكفيا .

(٢٩) نص الاتفاق المشترك اليسوعي ـ الفرنسي حول هذه الكلية ـ مواد التدريس ـ اللجان ـ الامتحانات ـ فترة الدراسة ـ ملحق جامعة القديس يوسف ـ التعليم الثانوي واقسامه ـ التعليم العالي ومواده .

الفصل الخامس

(٣٠) فوائد كلية عنيطورة بالنسبة للفرنسيين .

(٣١) حث على الاهتمام بكلية عينطورة ، لما فيه خدمة للنفوذ الفرنسي عبر العائلات المارونية .

(٣٢) المدارس الاجنبية في بيروت ، اللاذقية ، حمص وحماه ، طرابلس ، صيدا ، جبل لبنان . والمدارس الاميركية في طرابلس مع جداول بانتشارها في الأقضية المختلفة .

الفهرس

- تقديم ٩

الفصل الأول : التبشير المسيحي :

من الكنيسة إلى أوروبا الاستعمارية ١٩

- جمعية يسوع : تأسيسها وسيرة مؤسسها ٢٨
- نشاط الجمعية ٢٩
- الجمهورية اليسوعية ٣١

الفصل الثاني : التعليم الرسمي والاهلي ٣٥

- مؤشرات التعليم والثقافة عند الموارنة ٣٨
  - مقررات المجامع وصعوبة التنفيذ ٣٨
  - مقررات « مجمع اللويزة » ٣٩
  - خريجو روما ، التأثير الضائع ٤٢
  - « تحت السنديانة » ٤٥
- التعليم الرسمي العثماني ٥١
  - الكتّاب ٥٢
  - مراحل الدراسة المنظمة ٥٣
- التعليم عند المسلمين ٥٥

● جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ٥٥
● التعليم في جبل عامل ٥٧

. الفصل الثالث : اليسوعيون في سوريا ولبنان ٦٣
● البعثة الأولى ٦٥
● البعثة الثانية ٦٧
I ـ اليسوعيون وفرنسا : ـ مرحلة الاختلاف ٦٩
ـ مرحلة الاتفاق ٧٣
II ـ اليسوعيون بين التنافس الدولي وانعكاساته المحلية ٧٤
ـ دخول رأس المال الاجنبي مدينة ليون : الاقتصاد والتبشير ٧٦
ـ حماية الطوائف وانتشار البعثات ٧٨

III ـ اليسوعيون والموارنة ٨٠
● الطب / الوسيلة ٨١
● اعداد الاكليروس المحلي ومشكلة اللغة ٨٢
● «دونية الموارنة » وفحص عقائدهم ٨٤
IV ـ ملحق وثائق الفصل الثالث ٨٩

الفصل الرابع : التعليم اليسوعي واعداد النخبة : ١١٩
● المدرسة الابتدائية واسلوب التربية اليسوعي ١٢١
● مدارس الفتيات ١٢٥
● التعليم الثانوي ١٢٦
● التعليم الجامعي « جامعة القديس يوسف » ١٢٩
● المطبعة الكاثوليكية ١٣٣
● ملحق وثائق الفصل الرابع ١٣٧

الفصل الخامس : البعثات الفرنسية والبروتستانتية
والبعثات الأوروبية الاخرى ١٥٩
● البعثات الفرنسية ١٦١

● البعثات البروتستانتية ١٦٦
● البعثات الأوروبية الاخرى ١٧٢
● ملحق وثائق الفصل الخامس ١٧٥
المراجع ١٩٧
فهرست الوثائق ٢٠٥
الفهرست ٢٠٩